

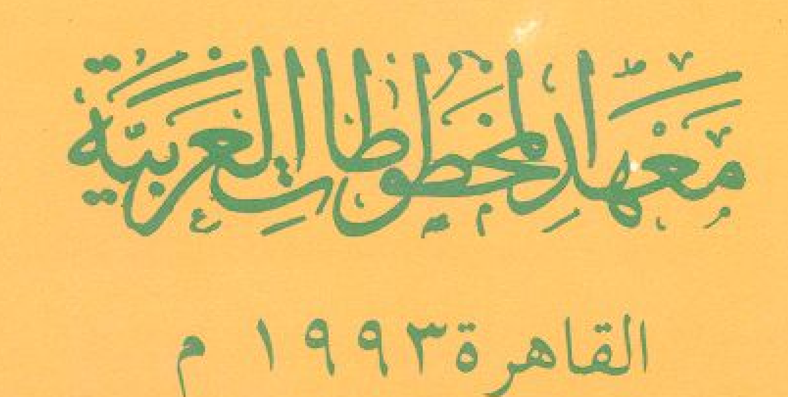
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

تفسير
رسالة أدب الكتاب

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي
المتوفى سنة ٣٤٠ هـ

حققه وعلق عليه

دكتور عبد الفتاح سليم



معهد المخطوطات العربية

القاهرة ١٩٩٣ م

تفسير
رسالة أدب الكتاب

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي

المتوفى سنة ٣٤٠ هـ

حققه وعلق عليه

دكتور عبد الفتاح سليم

تفسير رسالة أدب الكُتَّاب ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، حقَّقه وعلَّق عليه : د. عبد الفتاح السيد سليم . القاهرة : معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م - ٢٠٨ ص .

ط/١٩٩٣/١١/٠٠٧

تصـــدير

الأستاذ محمد الميلي إبراهيمي

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

خدمة التراث واجب مقدَّس ، نهدت له منظمتنا القومية ، إدراكًا منها أن الحاضر لن يقوم إلا على الماضي ، وأن أمة بدون حاضر لا مستقبل لها .

وقد قام معهد المخطوطات العربية ، وهو الجهاز المتخصص الذي يخدم هذا التراث ، بالمهام المسندة إليه ، سائرًا في أكثر من مسار ، منها : اختيار نصوص تراثية هامة ، وتحقيقها على وَفْق أسس علمية ، وفهرستها ، ونشرها .

وفي هذا المسار يأتي نشر هذا الكتاب « تفسير رسالة أدب الكُتَّاب » لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، أحد أعلام القرن الرابع الهجري .

وقد بذل الأستاذ الدكتور عبد الفتاح السيد سليم جهدًا كبيرًا ، في ضبط الكتاب وتحقيقه ، وذيَّله بفهارس وافية تكشف ما فيه من فوائد ، وتجعل الوصول إلى المعلومة المطلوبة ميسورًا .

إننا إذ نقدم هذا الكتاب ، ليسعدنا أن نَشُدَّ على يد المحقِّق ، ونبارك جهد المعهد في الاختيار والإشراف والمتابعة ، آملين أن يحقق سعيُنا هدفه في خدمة هذه الأمة ، وإضاءة الطريق أمام أبنائها ، حتى يلحقوا بَرَكْب الحضارة ، ويسايروا العصر على أساس متين من الوعي بقيمة تراث أمتهم .

تقـديم

هذا كتاب جديد يقدمه معهد المخطوطات العربية ، وهو يشعر بالسعادة ، لما تَمكَّن من إنجازه في السنوات الثلاث الماضية ، التي استأنف فيها عمله من القاهرة . والفضل يرجع للمعاونة المادية والمعنوية التي تقدمها الإدارة العامة للمنظمة .

ويكتسب هذا الكتاب أهميته من أن « متنه » وهو « رسالة أدب الكُتَّاب » لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المتوفى ٢٧٠ هـ ، يُعَدُّ مع كتب ثلاثة أخرى ، هي : الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والنوادر للقالي – أصولًا لفن الأدب .

والشارح أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، عَلَمٌ مشهودٌ له برسوخ القدم في العربية ، وقد جمع في شرحه هذا ميزتين : أولاهما السَّبْق الزمني ، وثانيهما تلك الغزارة العلمية ، فقد أوضح المحقق الكريم الدكتور عبد الفتاح السيد سليم الأستاذ بقسم اللغويات في كلية اللغة العربية (جامعة الأزهر) أن تفسير الزجاجي هو أوسع شروح « أدب الكتاب » لغة وتصريفًا، وإعرابًا واستشهادًا ، واستطرادًا إلى ذكر النوادر والأخبار والأشعار .

نأمل أن يجد هذا الكتاب القبول لدى جمهرة المهتمين بتراثنا الغني ، وأن ينفع الله به .

كمال الدين عفيفي
مدير المعهد بالإنابة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

تُعَدُّ (رسالة أدب الكُتَّاب) لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠هـ - أَوَّلَ رسالة مُدَوَّنةٍ ، تَنْعَى حَظَّ العربية على ألسنة أهليها ، وفيما تَرْعُف به أَسَلاتُ أقلامهم ، منذ أوائل القرن الثالث الهجري ، وتُصَوِّرُ إلى حَدٍّ بعيدٍ مقدارَ ما أصاب الفصحى من لحن وإهمال وازدراء ، في لغة الكُتّاب ومُنْشِئِي الدواوين آنَذَاكَ ، وتضرب - على ذلك - الأمثلةَ ، وتقترح وسائل التقويم والإصلاح ، كُلُّ ذلك بتوضيح وتفصيلٍ ، لم يُؤْثَرْ عن أحد من قَبْلُ .

وقد نالت هذه الرسالة من العناية والشرح ما تستحقه ، وماهَيَّأَ لها مزيدًا من الذيوع والانتشار .

ويأتي في مقدمة هؤلاء الشُّرَّاح : الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ المتوفى سنة ٣٤٠هـ ، فهو أوَّلُ من نظر في هذه الرسالة نظرةً واسعةً ، تخطت مسائل اللغة - بفروعها - إلى الأدب والفلسفة والمساحة ، فجمع شرحه بين ذلك كُلِّه ، مضافًا إلى فضل السبق والتقدم الزمنيّ . وكان مَثَارَ العجب أَنْ بَقِيَ هذا الشرحُ بلا تحقيق ولا دراسةٍ - فيما أعلم - مع أن غيره - مما هو دُونَهُ زمنًا وعلْماً - قد وجد طريقه إلى النشر والتداول بين الباحثين .

وشاء الله أن يظهر هذا الشرح ؛ لِيُفِيدَ منه البَحَثَةُ في شَتَّى نواحي العلم ، فَهَيَّأَ لي أن أَصِلَ إلى نسختين منه : إحداهما من محفوظات (مكتبة يهودا بجامعة برنستون) ، والأخرى من محفوظات (دار الكتب المصرية) . ثم يَسَّرَ له أن يظهر في شكل يليق بمضمونه ، وبمكانة مؤلفه ، بعد أن عَرَضْتُهُ على الإخوة الكرام المهتمين بنشر التراث في معهد المخطوطات العربية ، فصادف منهم القبولَ

الحَسَنَ ، وحَرَصُوا على أن يُضِيفوُا – بذلك – إلى أفضالهم على العربية وأهلها فضلًا يَقْصُـرُ عن الوفاء بحقه كُلُّ شكر وتقدير .

الجمعة : ١٥ من ربيع الآخر سنة ١٤١٤هـ .
أول أكتوبر سنة ١٩٩٣م .

دكتور : عبد الفتاح سليم

تـمهيد

أوّلًا

الرسالة الـمفَسَّرة

مؤلفها :

أبو محمد عبد الله بن مُسْلِم بن قتيبة الـمَرْوزِىّ الدِّينَوَرِىّ(*) ، ولد في أواخر خلافة الـمأمون – في الكوفة ، أو في بغداد – سنة ٢١٣هـ ، وتُوُفِّى في بغداد سنة ٢٧٠هـ – أو سنة ٢٧٦هـ ، على خلافٍ .

لَقِىَ علماءَ العربية على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ، فأخذ عنهم ، كما أخذ عن غيرهم فى سائر الـمعارف . ثم استوعب ذلك دَرْسًا وفهمًا وحفظًا ، مستعينًا بما رُزِقَ من ذهن صافٍ ، وذوق نقىٍّ ، وفكر منظم ، فكان نِتَاجُ ذلك كُلُّه مؤَلفاتٍ نافعةً فى شَتَّى مناحى العلم ، تناولت جميع معارف عصره ، نهج فيها منهج الجاحظ وأبى حنيفة الدينورى وغيرهما ، ممن كانت عنايته منصرفة إلى تيسير اللغة والشعر والأخبار وسائر الـمعارف ؛ لتكون في متناول طبقة الكُتَّاب ، الذين أخذ شأنهم يعلو ، بما كان لهم من نفوذ وسلطان يَعْدِلُ سلطانَ الخلفاء ، في تصريف

---

* عن حياة ابن قتيبة ومصنفاته ، انظر :
(١) إنباه الرواة ، للقفطي ٢ / ١٤٣ – ١٤٧ .
(٢) بغية الوعاة ، للسيوطي ٢ / ٦٣ – ٦٤ .
(٣) تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ٢ / ٢٢١ – ٢٣٠ .
(٤) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ١٠ / ١٧٠ – ١٧١ .
(٥) تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد صقر (الـمقدمة) .
(٦) تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي ٢ / ٢٨١ .
(٧) مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي ١٣٦ – ١٣٧ .
(٨) نزهة الألباء ، للأنباري ٢٠٩ – ٢١٠ .

أمور الدولة ، وربما يزيد .

يقول عنه القِفْطِيّ : « كان صادقًا فيما يرويه ، عالـمًا باللغة والنحو ، وغريب القرآن ومعانيه ، والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتأليف ، وكُتُبُهُ بالجَبَل (منطقة واسعة تتبعها دِينَوَرُ وغيرها) مرغوبٌ فيها » . ويقول عنه الأنباريُّ : « كان فاضلًا في اللغة والنحو والشعر ، مُتَفَنِّنًا في العلوم» .

ويقول عنه الخطيب البغدادي : « كان رأسًا في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس » .

وعن عدد مؤلفاته يقول النَّوَوِيُّ : « نسيت عَدَدَهَا ، وأُظُنُّها تزيد على ستين مصنفًا في أنواع العلوم » .

ومن أشهر هذه الـمؤلفات : الـمعارف ، والشعر والشعراء ، وتأويل مشكل القرآن ، وعيون الأخبار ، وأدب الكاتب .

شُرَّاحُها :

تقع رسالة أدب الكاتب (أو أدب الكُتّاب) في صدر كتاب يضم أربعة كتب ، هي : (كتاب الـمعرفة ، وكتاب تقويم اليد ، وكتاب تقويم اللسان ، وكتاب الأبنية) .

ومن العلماء من شرح الكتاب كُلَّه ، ومنهم من اقتصر على شرح صدره فقط ، ومنهم من شرح أبْيَاتِهِ فقط .

* **أما الذين شرحوا الكتاب كُلَّهُ بمقدِّمته ، فهم :**

(١) إسحاق بن إبراهيم الفارابي ، الـمتوفي سنة ٣٥٠هـ (مفقود) .

(٢) أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسيّ ، الـمتوفي سنة ٥٢١هـ ، (وهو مطبوع ومحقق) .

(٣) أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، الـمتوفى سنة ٥٣٩هـ ، (وهو مطبوع) .

(٤) أبو علي الحسن بن محمد البطليوسي ، المتوفى ٥٧٦هـ ، (مفقود) .

(٥) أحمد بن داود الجذامي ، المتوفى سنة ٥٩٨هـ (مفقود) .

(٦) سليمان بن محمد الزهراوي (؟) (مفقود) .

* **وأما من شرح مقدمة الكتاب فقط ، فهم :**

(١) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، المتوفى سنة ٣٤٠هـ (موضوع التحقيق) .

(٢) أبو بكر محمد بن عبد العزيز بن القُوطِيَّة ، المتوفى سنة ٣٦٧هـ (مخطوط) .

(٣) عبد الباقي بن محمد ، المتوفى سنة ٣٩٠هـ . (ذكر بروكلمان أنه في : ليبزج . أول ٨٨٧) .

(٤) مبارك بن فاخر النحوي ، المتوفى سنة ٥٠٠هـ ((وهو (مفقود) .

* **وأما من شرح أبيات الكتاب ، فاثنان هما :**

(١) أحمد بن محمد الخازرنجيّ ، المتوفى سنة ٣٤٨هـ (مفقود) .

(٢) أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسيّ ، المتوفى سنة ٥٢١هـ ، وشرحه في القسم الثالث من الكتاب المحقق – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

مضمونها :

في عصر ابن قتيبة ، امتد نفوذ الكُتّاب ، وأصحاب الدواوين ، وعلا شأنهم ، حتى غدا سلطانهم فوق سلطان الحكام ، وأقبل كثير من الناس على هذه الصنعة – وإن لم يكن لها أهلًا – حُبًّا فيما لها من مكانة ، وما تجلبه لصاحبها من حظ وفير .

ورأى ابن قتيبة ذلك ، فَفَزَّعَهُ ، فَعَقَدَ عَزْمَهُ على أن يُقَوِّمَ من هذه الحرفة ، ويُبَصِّرَ محترفيها بما ينبغي أن يكونوا عليه ، من وَعْيٍ لُغَوِيٍّ أَوَّلًا ، وإلمامٍ بسائر المعارف التي تخص كل صنعة ثانيًا .

وضع ابن قتيبة هذه الرسالة صارخًا ، مستصرخًا ، حَاثًّا على إصلاح حِرْفَة الكتابة الديوانية ، والرُّقِيِّ بمن يَلِي أمرها . وهي في مجملها تتضمن غرضين أَسَاسَيْن .

أحدهما : تصوير الحال السيئة ، التي غَدَتْ عليها مهنة الكتابة ، والـمُتَوِلِّينَ أَمْرَهَا . والثاني : بيان الوسائل التي تَكْفُلُ إصلاحها ، وإصلاحهم ؛ لينهضوا بأعبائها على الوجه الأكمل .

أما الغرض الأول ، فيمكن تلخيصه فيما يأتي :

* أن أكثر الناس في زمنه – وفي مقدمتهم الكُتّاب – قد انصرفوا عن التعلم ، وزهدوا في التأدب ، وانشغلوا بما يوفر لهم وسائل العيش ، من أيسر طريق .

* وأنهم قد أقبلوا على الـملذات الحسِّية ، وانغمسوا فيها ، منصرفين عن فضائل النفس ، وتهذيب الخلق .

* وأن حال الكُتّاب قد ساءت ، وجَهْلَهُم بما ينبغى أن يتوفر فيهم قد تَفَشَّى وعَمَّ ؛ إذ ظنوا أن هذه الصنعةَ يكفي فيها حُسْنُ الخط ، وقليل من الـمعرفة ، وترديد أُبَيَّاتٍ من الشعر ، وَازْدَرَوْا من ينصحهم بغير ذلك .

* وأنهم – لِقِلَّةِ حَظِّهم من الثقافة وسذاجة تفكيرهم – قد اغْتَرُّوا بما يُرَدِّدُه الفلاسفة والهندسيّون ، من ألفاظ مستحدثة جوفاء ، لا طائل تحتها ، إلا الطنطنة ، وضَرَبَ أمثلةً لذلك كُلِّه .

أما الوسائل التي رآها ابن قتيبة كفيلةً بإصلاح حال الكتابة والكُتّاب – وهو الغرض الثاني في الرسالة – فيمكن تلخيصها فيمايلي :

* أن على الكُتّاب أن يكونوا ذَوِي دراية نظرية – تَدْعَمُها ممارسةٌ عمليةٌ – بعلوم مساحة الأَرَضِينَ على تشعّبها واختلافها .

* وأنه يلزمهم أن يُلِمُّوا بكل مُهِمٍّ من مسائل الفقه ، ومعرفة أصوله ، من حديث رسول الله ﷺ .

* ولابُدَّ لهم من دراسة كتب الأخبار وسِيَر السابقين ، وتَحَفُّظِ عيون الحديث ؛ ليستعينوا بذلك إذا كتبوا أو حاوروا .

* وأن العناية بالظاهر والمظاهر ، لا تكفي وحدها ، بل لابُدَّ من الاهتمام بالنواحي النفسية والخلقية ، وذلك بتهذيب النفس ، وصون المروءة عن الغِيبَةِ والكذب ، وسائر ما يَشِينُ .

* وأن عليهم أن يَتَخَيَّروا في كلامهم ومخاطباتهم الألفاظَ السهلةَ المنقادةَ ، والتراكيبَ السَّلِسَةَ التي تسبق معانيها إلى النفس أَلْفَاظَهَا ، وذلك بأن يهجروا كل مُسْتَغْلَقٍ من الغريب والتقعير والتقعيب ووَحْشِيّ الكلام ، وكُلَّ ما يُحْوِجُ فَهْمُه إلى مشقة وتأويل .

* وأن عليهم مراعاةَ حال من يُلْقَىٰ إليه الكلام أو يُكْتَبُ إليه ، فَيُنَزِّلُونَ ألفاظهم على قَدْرِ الكاتب والمكتوب إليه ، فلا يُعْطَى خسيسُ الناسِ رفيعَ الكلام ، ولا رفيعُ الناسِ وضيعَ الكلام ، ولا يُوجَزُ في موطن الإطناب ، ولا يُطْنَبُ في موطن الإيجاز .



ثانيًا

الكتابُ المُفَسِّر

مؤلفه :

أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجّاجيُّ(*)، ذكر القِفْطِيُّ وغيره أنه نَهَاوَنْدِيٌّ من أهل الصَّيْمَرَةَ (بلدة بين ديار الجبل وديار خوزستان) ، ثمَ انتقل إلى بغداد ، فلزم أبا إسحاق الزَّجَّاجَ ، وقرأ عليه علوم العربية ، ولذا نُسِبَ إليه ، فقيل : (الزَّجَّاجِيّ) ، ثم انتقل إلى الشام ، فأقام فى حلب مدةً ، يُدَرِّس لطلابها ، ثم رحل إلى دمشق ، وأقام بها ، يُدَرِّسُ في جامع بني أمية ، ويُمْلِي على طلابه ، ويصنف الكتب ، وقد جاور بمكة زمنًا ، ألف فيه كتابه (الجُمَل فى النحو) ثم عاد إلى دمشق ، ومكث فيها ، حتى خرج إلى طبرية مع ابن الحارث عامل الضياع الإخشيدية ، فمات هناك .

ولم تذكر كتب الطبقات شيئا عن مولد الزجاجى ، كما لم تتفق على السنة التي مات فيها : فمن قائل : مات في طبرية – في شهر رجب ، أو شهر ذي الحجة – من سنة ٣٣٩هـ ، ومن قائل : مات في دمشق سنة ٣٣٧هـ ، ومن قائل : مات

---

* في حياة الزجاجي ، ومصنفاته ، وأخباره ، انظر :

(١) إشارة التعيين ، لليمني (خ) ٢٦ .
(٢) إنباه الرواة ، للقفطي ٢ / ١٦٠ .
(٣) بغية الوعاة ، للسيوطي ٢ / ٧٧ .
(٤) طبقات ابن قاضي شهبة ٢ / ٦٥ .
(٥) كشف الظنون ، لحاجي خليفة ٤٨ ، ١٦٤ ، ٢١٠ ، ٦٠٣ ، ١٦٢٥ .
(٦) نزهة الألِبَّاء ، للأنباري ٣٧٩ .
(٧) هدية العارفين ، للبغدادي ١ / ٥١٣ .
(٨) وَفَيَات الأعيان ، لابن خَلّكَان ٢ / ٣١٧ .

في رمضان من سنة ٣٤٠هـ .

وقد حَرَصَ الزجاجيُّ على الإفادة ممن لَقِيَهُ من أشياخ بغداد وغيرهم ، وذكر بَعْضَ هؤلاء في كتابيه (الأماليّ ، والإيضاح في علل النحو) ، ومنهم : أبو إسحاق الزجاج (−٣١١هـ) ، وأبو الحسن بن كَيْسَان (− ٢٩٩هـ) ، وأبو بكر بن شُقَيْر (− ٣١٥هـ) ، وأبو بكر بن الخياط (− ٣٢٠هـ) ، وأبو بكر بن السَّرَّاج (− ٣١٦هـ) ، والأخفش الصغير ، عليّ بن سليمان (− ٣١٥هـ) ، وأبو موسى الحامض (− ٣٠٥هـ) .

وأغلب الظن أن الزجاجيَّ لم يذكر كُلَّ أساتذته ، وإنما اقتصر على من تَلَقَّى عنه العربية ، فقد كان له أساتذة في علوم الفقه والحديث والتفسير والفلك ومساحة الأَرَضِينَ والفلسفة وعلم الكلام وغير ذلك ، لكنه لم يشأ أن يذكرهم ، مكتفيًا بمن غلبت عليه نزعته من النبوغ في علوم العربية .

وأكبر شاهد على ذلك هذا الكتاب الذي نحققه ، فقد اهتم فيه بتفسير رسالة (أدب الكُتّاب) ، وفَصَّلَ القول عن الأنواء ومنازل القمر والبروج ، وعن المساحة والأشكال الهندسية وكلام الفلاسفة ، تفصيلًا يَنِمُّ عن سَعَةِ اطِّلاع ، وممارسةٍ طويلة ، إلى جانب مسائل اللغة والفقه والحديث الشريف .

أما عن مؤلفاته فتناهز العشرين مُؤَلَّفًا ، أغلبها في علوم العربية المختلفة ، ومن أشهرها : الجُمَل في النحو ، والإيضاح في علل النحو ، والأماليّ ، ومجالس العلماء .

اسم الكتاب :

أما الكتاب (موضوع التحقيق) فقد ورد ذكره في كتب الطبقات بأسماء مختلفة اللفظ :

ففي كشف الظنون (١ / ٥٥) ، ومثله في خزانة الأدب للبغدادى (٦ / ٢٠٧) ورد باسم (شرح خطبة أدب الكاتب) .

وفي هدية العارفين (١/ ٥١٣) ورد باسم (شرح أدب الكاتب لابن قتيبة) .

وفي إنباه الرواة (٢ / ١٦٠) ورد باسم (شرح مقدمة أدب الكاتب) . وفي لسان العرب (خلق) ورد باسم (شرح رسالة أدب الكاتب) . وفي دار الكتب المصرية نسخة بعنوان (شرح خطبة أدب الكُتّاب) . وفي النسخة موضوع التحقيق أن الزجاجي (فسر رسالة أدب الكُتّاب) . وهذا الخلاف في اسم الكتاب ، أَمْرٌ واردٌ ، وتأويله سهل ، إذا راعينا الأمور الآتية .

أوّلًا : أن الزجاجيَّ يشرح كتابًا لابن قتيبة ، وقد ورد هذا الكتاب باسم (أدب الكاتب) أحيانًا ، وباسم (أدب الكُتّاب) أحيانًا أخرى .

فممن ذكره بصيغة الإفراد (أدب الكاتب) : ابن النديم ، وابن خَلِّكَان ، والسمعاني ، والطيب في قلادة النحر ، والقِفْطيّ ، وابن العماد الحنبليّ .

وممن ذكره بصيغة الجمع (أدب الكُتّاب) : ابن خَلِّكان ، والأنباريّ ، وابن بَشْكَوَال ، وابن شُهْبة ، وحاجي خليفة ، والبطليوسيّ .

ولا شك أن النسخة التي وصلت إلى الزجاجي كانت بصيغة الجمع (أدب الكُتّاب) ، وعليها دار تفسيره .

ثانيًا : أن أصحاب كتب الطبقات اختلفت نظرة كل منهم إلى ما افتتح به ابن قتيبة كتاب (أدب الكاتب) أو (أدب الكُتّاب) . فمنهم من عَدَّهُ خطبة للكتاب ، ومنهم من عَدّه مقدمةً له ، ومنهم من عَدَّهُ رسالة منفصلة عن الكتاب ؛ لِمَا تميزت به من الطُّول غير المعتاد في مقدمات الكتب آنذاك ، ولما تضمنته من تفصيل لأحوال كتبة الدواوين في عصره ، ومن شرح وتوضيح لما ينبغي أن يكونوا عليه ، ولما يلزمهم من ثقافة واسعة في مختلف نواحي المعرفة .

جاء في كشف الظنون (١ / ٥٩) : « قيل : هو خطبة بلا كتاب ؛ لطول خطبته ، مع أنه قد حوى من كل شيء » .

وجاء في وفيات الأعيان (٢ / ٢٤٧) : « والناس يقولون : إن أكثر أهل العلم يقولون : إن أدب الكاتب خطبة بلا كتاب ، وإصلاح المنطق كتاب بلا خطبة ، وهذا فيه نوع تعصب عليه ، فإن أدب الكاتب قد حوى من كل شيء ،

وهو مُفَنَّنٌ ، وما أظن حَمَلَهُمْ على هذا القول إلا أن الخطبة طويلة ، والإصلاح بغير خطبة » .

ثالثا : أن الزجاجيَّ لم يشرح أدب الكاتب كُلَّه بما تضمنه من كتب أربعة ، هي : (كتاب المعرفة ، وكتاب تقويم اليد ، وكتاب تقويم اللسان ، وكتاب الأبنية) على خلاف مافعله البطليوسيّ من بعده ، وإنما اقتصر على شرح مقدمتهُ .

ومن هنا يستوي قول من قال : إنه شَرَحَ مقدمة أدب الكاتب ، ومن قال : شَرَحَ أدب الكاتب ، فالمقصود واحد . يَدُلُّكَ على ذلك أسماء الكتاب ، فقد ورد فيها : « شرح مقدمة » ، أو « شرح رسالة » ، أو « شرح خطبة » . كما يَدُلُّكَ عليه قول حاجي خليفة في كشف الظنون عند ذكر شرّاح أدب الكاتب : « وشرح بعضهم خطبته خاصة ، كأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي » .

رابعًا : أن من المؤلفين القُدَامَى من لم يكن يهتم باختيار عنوان يُصَدِّرُ به مُؤَلَّفَهُ ، أو كان يُجْمِلُ العنوان في كلمة ، ثم يأتي التلاميذ ومَنْ بَعْدَهُمْ فيضعون هُمْ العُنْوَانَ ، أو يكْمِلُونَ مُجْمَلَهُ ، حين يشتبه مع عنوان لمؤلف آخر ، أو في فرع آخر . وهنا قد يحدث تفاوت في اختيار اللفظ فقط ، كأن يتردد العنوان بين (شرح كتاب كذا) أو (تفسير كتاب كذا) .

أنا أُرَجِّحُ أن يكون عنوان هذا الكتاب واحدًا من اثنين : إما (شرح رسالة أدب الكُتّاب) وإما (تفسير رسالة أدب الكُتّاب) . وقد فَضَّلْتُ العنوان الثاني ؛ إذ غلب على ظني أنه عنوانٌ كان الزجاجيُّ نفسه يميل إليه ، ويختاره دون سواه ، ودليلي على ذلك ماجاء في مقدمة الكتاب ، وفي أثنائه ، وفي آخره :

أما في مقدمته ، فقد قال الزجاجي : « فرأيت أن أشرح رسالة الكتاب الموسوم بـ (أدب الكُتّاب) » .

وأما في أثنائه فقد قال : « وقيل فيهما من الأشعار وكلام الأدباء والحكماء ما هو مشهور ، لو جُمِعَ لكان ضِعْفَ الكتاب الذى قصدنا لتفسير رسالته » .

كذلك قوله : « فهذا تفسير الألفاظ التي ذُكِرَتْ في هذا الكتاب » .

وأما في آخره فقد قال : « تمت رسالة أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، التي جعلها تفسيرًا لرسالة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة » – على اعتبار أنه هو الذي كتب خاتمة الكتاب ، أو كتبها أحد تلاميذه من بعده .

زمن تأليفه :

أُغلب الظن أن الزجاجيَّ أَلَّفَ هذا الكتاب في أُخْرَيَاتِ حياته ؛ ومما يرجح هذا ما يلي:

(١) أنه اقتصر على تفسير مقدمة أدب الكاتب ، دون أن يُكْمِلَه بشرح باقي الكتاب ؛ وليس ذلك إلا لأن العمر لم يمتدَّ به حتى يفعل ذلك ، ولا شك أن في الكتب الأربعة ، التي ضمها كتاب (أدب الكاتب) مجالًا واسعًا لمناقشة ابن قتيبة ، والرَّدِّ عليه في تخطئة ما خطَّأَ ، على نحو ما فعل البطليوسيّ فيما بَعْدُ ، وهو مجالٌ للنقاش والرَّدِّ ، يكشف عن تمكن الزجاجي ، وغزارةِ مادته اللغوية والنحوية والصرفية ، ولو أن العمر امتدَّ به ، لرأينا شرحًا وافيًا لهذا الكتاب ، يفوق شرح غيره له ، ويجعله عالةً عليه .

(٢) أن الزجاجيَّ أشار في مقدمة كتابه إلى أن مِنْ مُنَافِسيهِ من كان يَغُضُّ من مكانته ، ويجتهد أن يصرف الناس عنه ، خاصَّتَهُمْ وعَامَّتَهُمْ ، وأنه كتب هذا التفسير ، يَرُدُّ عليهم ، ويُبينُ عن تمكنه العلمي الذي لا يزال عليه ، ونحن نعرف أن تنافسًا قويًّا دَبَّ بين الزجاجي ومن عاصره من العلماء ، ولا سِيَّمَا أبو علي الفارسيّ وتلميذه ابن جِنّي ، وأن الفارسيَّ قال – بعد أن قرأ كلامًا له في النحو – عبارته المشهورة : « لو سمع أبو القاسم الزجاجي كلامنا في النحو ، لاستحيا أن يتكلم فيه » .

من هنا وجدنا الزجاجي يُورِدُ في مقدمة تفسيره هذا عبارة تُذَكِّرُ بدُنُوِّ الأَجَل ، مثل قوله : « فَيَبْقَى ذكرهم وذكر من صُنِّفَ من أجله ضَرْبٌ من تلك المصنفات ، على مرور الأيام ، وتطاول الأزمان ، يتلقاه غابر عن سالف ،

ويتداوله الرواة ونقلة الأخبار ، قرنًا بعد قرن » .

كما يُورِدُ عبارةً أخرى تشير إلى حَسَدِ منافسيه ، ومحاولتهم الغَضَّ من شأنه عند الرؤساء ، مثل قوله : « وإني لما أنعم الله عَلَيَّ من حسن رأيك ، وَمَنَحنيهِ من أفضالك ، والتقلب في نعمائك ، أحببت وقوفك على جُمَلٍ من كلامي ، في ضروب من العلم ، تتبين بها موقعي من هذا العلم ، الذي أنتحله وغَيْرِه من العلوم » .

وإذا عرفنا أن الزجاجيَّ تُوُفِّيَ سنة ٣٤٠هـ ، وأن أبا علي الفارسيَّ توفي سنة ٣٧٧هـ – أي بعده بأربعين سنة تقريبًا – ، وأن ابن جني ولد سنة ٣٢١هـ وتوفي سنة ٣٩٢هـ – أدركنا أن التنافس بينهم قد بلغ أَوْجَهُ في خَمْسِ السنوات الأخيرة من حياة الزجاجي ، وهي التي نُرَجِّحُ أنه ألف في أثنائها هذا الكتاب .

ويُقَوِّي ذلك ما نلاحظه على ما صدر به الزجاجيُّ سائر مؤلفاته ؛ فمنها ما لم يُصَدِّرْ له أصْلًا ، بل شرع يشرح مسائل العلم ، أو يَسْرُدُ الأخبارَ والنوادر – على نحو ما فعل في كتابه المشهور (الجمل في النحو) وكتابه الآخر (الأماليّ) ، فليس للكتابين مقدمةٌ أصْلًا ؛ ثِقَةً بعلمه وشهرته ، وعدم المنافس له ، وذلك إنما يكون أيام الشباب وقبل ظهور من يزاحم .

ومن كتبه ما صَدَّرَه بمقدَمة ، بَيَّنَ فيها غرضه من التأليف ، وأشار من طَرْفٍ خفيٍّ إلى بعض مُنَافِسِيه ، وأنه يفوقهم بعلمه ، وتيسير مادته ، وكشف الغامض منها ، وهم لم يستطيعوا ذلك . تجد هذا واضحًا في مقدمة كتابه (الإيضاح في علل النحو) ، وهذا يَنِمُّ عن أنه ألّف ذلك في زمن لاحق ، بعد ظهور المنافس ، وقبل أن يطعن في السن . أما كتابه هذا ، فقد أبان فيه عن إحساسه بزعزعة منزلته لدى الرؤساء وغيرهم ، وأن منافسيه قد نجحوا في الحَطِّ من قدره ، وأنه لم يستسلم ، ولن يُسَلِّمَ لهم ، وإنما هو يؤلِّف ، ليُبِينَ عن موقعه من العلم الذي عُرِفَ به ، وذلك يشير إلى أنه في مرحلةٍ ، هي أقربُ ما تكون إلى نهاية العمر ودُنُوِّ الأجل .

(٣) أن الإمام عبد القادر البغدادي نقل نَصًّا من هذا التفسير في كتابه (خزانة الأدب) عند شرح الشاهد رقم (٤٩٣) وهو قول الشاعر :

ونحن قتلنا الأُسْدَ ، أُسْدَ خَفِيَّةٍ فما شربوا بَعْدًا على لذة خمرا

وقال – بعد أن ذكر الأوجه الجائزة في (قَبْل وبَعْد) – : « وقد لَخَّصَ هذا الكلام أبو إسحاق الزجاجي ، في شرح خطبة أدب الكاتب ، وهو عندي بِخَطِّه ، وتاريخ كتابته سنة سبع وسبعين (كذا) وثلثمائة » . وإذا عرفنا أن السنة التي مات الزجاجي فيها تتردد بين (٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠) أدركنا أن كلام البغدادي وقع فيه تحريف ، وأن صحته سنة (سبع وثلاثين وثلثمائة) ، ويفهم منه أن الزجاجي كتب بخطه هذه النسخة في السنة التي مات فيها ، أو قبل موته بسنتين ، أو بثلاث سنوات – على حسب اختلاف الروايات .

لمن أُلِّف ؟ :

يَبْعُدُ أن يكون الزجاجي ألّف كتابه هذا من تلقاء نفسه ، رغبةً في التأليف ، على نحو ما فعل في تأليف (الجمل في النحو) و (الأمالي) و (مجالس العلماء) . كما يبعد أن يكون ألّفه استجابةً لمن سأله ، على نحو ما ذكر في مقدمة كتابه (حروف المعاني) ، وفي تلك المسائل الإحدى عشرة التي بعث بها أبو بكر الشيباني من طبرية إليه في دمشق ؛ ليُجيب عنها ، وهي مذكورة مع أجوبتها في (الأشباه والنظائر ، للسيوطي ٣ / ٩١ – ١٠٧) .

وإنما الثابت من مقدمته أنه ألّف هذا الكتاب لواحدٍ من عِلْيَةِ القوم ، ممن بيده الحَلّ والعَقْد ، فقد قال داعيًا له : « أما بعد – أَمْتَعَ الله الكرم ببقائك ، وزَيَّن الدنيا بِعِزَّتِك ، وعَضَّدَ أهل العلم بامتداد أيامك مغبوطًا – فإنه لم تَزَلْ العلماء في كل عصر يتقربون إلى الرؤساء والسادة بلطائف يخترعونها ، ومصنفات يبتدعونها ... » .

كما قال في المقدمة أيضًا : « وإني لِمَا أنعم الله عَلَيّ من حُسْنِ رأيك ، وَمَنَحَنِيهِ من أفضالك ، والتقلب في نعمائك ، أحببت وقوفَك على جُمَلٍ من كلامي في ضروب من العلم ...» .

أما معرفة اسم هذا الذي أُلِّفَ الكتابُ له ، فليس إليه سبيلٌ قاطعةٌ ، وأغلب

الظن أنه أحد الخلفاء أو الولاة العباسيين الذين امتدَّ سلطانهم في السنوات الخمس الأخيرة من حياة الزجاجي ، وهم : عبد الله المستكفي بالله ، الذي وَلِيَ الخلافة منذ سنة ٣٣٣هـ إلى سنة ٣٣٤هـ . والفضل بن المطيع لله ، الذي وَلِيَ الخِلافة منذ سنة ٣٣٤هـ إلى سنة ٣٦٤هـ . ومُعِزّ الدولة ابن بُوَيْه الدّيْلَمِيّ ، الذي كان قَيِّمًا على سلطان الخليفة المطيع ، حتى إن الخليفة لم يكن له من الخلافة إلا الاسم .

توثيقه :

سبق أن ذكرنا أن كثيرًا من كتب الطبقات أوردت هذا الكتاب منسوبًا إلى الزجاجي ، وإن اختلفت ألفاظ عنوانه ، ما بين شرح خطبة أدب الكاتب ، أو شرح رسالة أدب الكاتب ، أو شرح خطبة أدب الكتاب ... إلخ .

وأضيف هنا نَصَّيْنِ منقولين من الكتاب ، يُوَثِّقَان نسبته إلى الزجاجي : أحدهما : ما نقله الإمام عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب (٦ / ٢٠٧) : وهو قوله : « وقد لخص هذا الكلام أبو إسحاق الزجاجي في شرح خطبة أدب الكاتب ، وهو عندي بخطه ، وتاريخ كتابته سنة سبع وسبعين (كذا) وثلثمائة ، وقال : هذا الذي اختاره الفراء من نصب المنادى المفرد في ضرورة الشعر ، هو مذهب أبي عمرو بن العلاء وأصحابه ، والمذهب الأول – وهو رفعه مُنَونًا – هو مذهب الخليل وسيبويه وأصحابه ، وذلك أن أبا عمرو قال : المنادي المفرد ، إذا اضْطُرَّ الشاعر إلى تنوينه ، فَسَبِيلُهُ أن ينصبه ؛ لأنه في موضع نصب » .

وهذا الكلام موجود نصًّا في تفسير الزجاجي هنا .

والثاني : ما جاء في لسان العرب (خلق) من قول ابن منظور : « قال الفراء : وإنما قيل له : (خَلَقٌ) بغير هاء ؛ لأنه كان يستعمل في الأصل مضافًا ، فيقال : أعطني خَلَقَ جُبَّتك ، وخَلَق عمامتك ، ثم استُعْمِلَ في الإفراد كذلك بغير هاء . قال الزجاجي في شرح رسالة أدب الكاتب : « ليس ماقاله الفراء بشيء ؛ لأنه

يقال له : فَلِمَ وجب سقوط الهاء في الإضافة ، حتى حُمِلَ الإفراد عليها ؟ ألا ترى أن إضافة المؤنث إلى المؤنث ، لا توجب إسقاط العلامة منه ، كقوله : مِخَدَّةُ هند ، ومِسْوَرَةُ زينب ، وما أشبه ذلك » .

وهذ الكلام موجود نَصًّا في تفسير الزجاجي هنا .

نُسَخُه :

ذكر بروكلمان أن من هذا الكتاب نسخةً في المتحف البريطاني : (أول ٤٢٦ رقم ٨) وأخرى في شهيد علي باشا (٢٥١) وثالثة في القاهرة (ثاني ٣ / ١٩٧) .

وقد عَثَرْتُ على نسخة رابعة مكررة في مخطوطات مركز تحقيق التراث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، برقم ٥٨٤ مجاميع ، وبرقم ٤٩٩ مجاميع ؛ وهذه النسخة الأخيرة مصورة عن مجموعة يهودا (رقم ٣٥٨٦) بمكتبة جامعة برنستون . ويَشْغَلُ كتاب الزجاجي (المجموعَ الخامس) منها .

وقد اعتمدت في التحقيق نسختين : إحداهما نسخة دار الكتب المصرية ، والأخرى النسخة المصورة عن مجموعة يهودا المشار إليها سابقا .

وفيما يلي وصف هاتين النسختين :

أما نسخة دار الكتب المصرية : فرقمها (٣٩ ش أدب) ، ومنها صورة بالميكروفيلم رقمها ٣٣٧١ ، وعنوانها : هذا كتاب فيه تفسير رسالة ابن قتيبة في أدب الكاتب ، تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي – رحمه الله .

وفي آخرها : تمت رسالة أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، التي جعلها تفسيرًا لرسالة كتاب أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على نبيه ، سيدنا محمد وأهل بيته الطاهرين .. فرغ من نسخها في العشر الأخر من المحرم سنة ست وثمانين وخمسمائة (٥٨٦هـ) .

وعدد أوراق هذه النسخة إحدى وسبعون ورقة ، بكل ورقة صفحتان ، بكل

صفحة ثلاثة عشر سطرًا ، بكل سطر زُهَاءُ عشر كلمات .

* وأما النسخة الثانية : فهي نسخة مركز تحقيق التراث بمكة المكرمة ، المصورة عن مجموعة يهودا ، وعنوانها في المجموع هو : شرح أدب الكاتب للزجاجي ، نسخة العبد الفقير إلى الله تعالى ، عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد بن راشد – بيده لنفسه ، سنة ٩٦٣هـ .

وفي آخرها : تم تفسير الرسالة ، بحمد الله وعونه ، وصلى الله على محمد نبيه .

وعدد أوراق هذه النسخة خمس وعشرون ورقة ، وتشغل في المجموع الأوراق من الورقة (١٨١) إلى الورقة (٢٠٥) ، وبكل ورقة صفحتان ، بكل صفحة ستة وعشرون سطرًا ، بكل سطر زُهَاءُ خَمْسَ عَشْرَةَ كلمةً ، كتبت بخط النسخ المعتاد .

وقد اعْتَمَدْتُ النسخةَ الأولى (نسخة دار الكتاب المصرية) أصْلًا ، طابقت عليه النسخة الثانية ؛ لِتَقَدُّمِ الأولى زمنًا ، يناهز ثلثمائة وثمانين عاما .

مصادره :

(الآراء) :

اعتمد الزجاجي في تفسير الرسالة على آراء كثير من الأئمة في فروع العلم المختلفة ، وقد أشار إلى ذلك في أثناء الكتاب ، ويأتي في مقدمة هؤلاء : الخليل ، وسيبويه ، والمبرد ، والفراء ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، والزجاج ، ونِفْطَوَيْهِ ، وأبو عبيدة ، والأخفش ، وابن دُرَيْد ، والكِسَائِيّ ، وأبو بكر الأنباري ، وابن الأعرابي ، والأصمعي ، وهؤلاء جميعًا من أئمة اللغويين والنحاة البصريين والكوفيين .

أما في مجال الفلك والفلسفة والمساحة ، فقد أشار إلى إقليدس وبعض الفلاسفة ، وبعض المُنَجِّمِين – من غير تحديد لأسمائهم .

(**الشواهد**) :

تضمن تفسير الزجاجي بعض الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، وقليلًا من الأمثال ، ولكنه أكثر من الشعر في مَجَالَيْ اللغة والأدب عمومًا ، ومن الشعراء الذين اختصهم بذكر الاسم : الـمرّار الأسدي ، والـمثقّب العبدي ، وأبو صخر الهُذَليّ ، والأعشي ، وعمرو بن كلثوم ، وأبو النجم ، وعُرْوَة الصعاليك ، والنابغة الذبياني ، والشمّاخ ، وعديّ بن الرقاع ، وبُرْج بن مِسْهر الطائيّ ، والحارث بن حِلِّزَةَ . كذلك أورد أشعارًا لكل من : الفرزدق ، وجرير ، وعمر ابن أبي ربيعة ، والأحوص ، وذي الرُّمَّة ، والكُمَيْت ، وحسان بن ثابت ، والقُطَامِيّ ، وكُثَيِّر عَزَّةَ ، وعلي بن أبي طالب .

وأورد أشعارًا أخرى لبعض الـمولَّدين ، على سبيل الاستطراد ، أو لذكر بعض النوادر ، لا على سبيل الاستشهاد اللغوي ، ومن هؤلاء : أبو تمام ، والبحتري ، والحسن بن الحُمَام ، وابن بَسّام ، وخالد القناص . وكانت السِّمَةُ الغالبة على أشعاره ، أنه يذكرها منسوبةً إلى أصحابها ، اللهم إلا قليلًا من الشعر ، ذكره غير منسوب .

غرض تأليفه :

وضح الزجاجي في الـمقدمة أن له غرضًا عامًّا ، وأغراضًا خاصةً ، من وراء إقباله على تفسير رسالة أدب الكُتاب :

* **أما غرضه العام** : فهو الحفاظ على مكانته العلمية ، وحُظْوَته الدنيوية ، لدى الرؤساء في زمنه ، وإشعارهم بأنه لا يزال – على ما عهدوه فيه – العالـمَ الـمُتَمَيِّزَ ، الفائقَ أَقْرَانَهُ ، البَازَّ منافسيه ، وإن تقدم به الزمن ، وكَثُر منافسوه وحُسَّاده ، تستشعر ذلك وأنت تقرأ قوله : « أحببت وقوفك على جُمَل من كلامي ، في ضروب من العلم ، تتبين بها موقعي من هذا العلم ، الذي أنتحله وغَيْرِه من العلوم » .

* **وأما أغراضه الخاصة** : فنجملها فيمايلي :

(١) تفسير ما تضمنته رسالة أدب الكُتّاب ، من ألفاظ لغوية ، ببيان اشتقاقها وتصاريفها .

(٢) توضيح ما تضمنته الرسالة من مسائل نحوية ، مع ذكر علل ذلك وقياسه .

(٣) تفصيل ما أجمله ابن قتيبة ، مما يحتاج إليه الكتاب ، من معرفة المصادر والأبنية ومسائل الإعلال والإبدال .

(٤) تفصيل ما أجمله ابن قتيبة ، من ذكر أخبار الرسول ﷺ ، مع إضافة ما يتصل بذلك من أخبار .

(٥) توضيح ما ذكره ابن قتيبة ، مما يتصل بمصطلحات أهل المنطق والهندسة والمساحة .

(٦) بَثّ بعض الأخبار الطريفة ، والأبيات النادرة ، في أثناء ذلك كُلِّه ؛ ترويحًا للقارئ ، ودفعًا للسآمة والملل .

وكُلُّ ذلك في عبارة موجزة غاية الإيجاز ، من غير إخلال بالمراد ؛ لِيَقِلَّ حَشْوُه ، وتكثر فائدته .

ومن يتتبعُ الزجاجي في تفسير الرسالة ، يَجِدْهُ قد أَوْفَى بكل ما وعد به ، أو أشار إليه من غرض في مقدمتها .

منهجه :

إذا كان الزجاجي قد أَوْجَزَ غرضه من تفسير رسالة أدب الكُتّاب ، في مقدمة كتابه – كما مَرَّ – فمن المفيد هنا أن نوضح المنهج الذي سلكه في هذا التفسير ، ونجمل ذلك فيما يأتي :

* حرص الزجاجى على توثيق الآراء التي يُورِدُها ، بإسنادها إلى أصحابها ، وإسناد الروايات اللغوية وغيرها ، إلى رُوَاتها :

ونجد فى كتابه عباراتٍ تَدُلُّ على ذلك ، مثل قوله : « وأنشد سيبويه »[1] ،

---

(١) انظر ص ٥٢ ، ٨٣ من هذا الكتاب .

« وأنشدنى أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : أنشدنى المبرد »[1] ، « وأخبرني أبو إسحاق الزجاج ، وأبو الحسن الأخفش ، عن المبرد ، أنه قال : أنشدني أعرابي . . »[2] .

اهتمامه بذكر مختلف آراء النحاة في المسألة الواحدة ، مُرَجِّحًا بعض الآراء على بعض :

ومن ذلك ما ذكره من رأى كل من سيبويه والمبرد ، في جواز إظهار الفعل مع (أمّا) مفتوحة الهمزة – وقوله عقب ذلك : « والقول ما قال سيبويه ؛ لأن هذا الكلام جرى كالمثل ، والأمثال قد تخرج عن القياس ، فتحكى كما سمعت ، ولا يَطَّرِدُ فيها القياس ، فتخرج عن طريقة الأمثال »[3] . ومن ذلك ما نقله عن الفراء من أن العرب تحذف التاء من الوصف للمؤنث في بعض الاستعمال ، فتقول : جُبَّةٌ خَلَقٌ – بمعنى بالية – لأنه كان يستعمل في الأصل مضافًا ، فيقال : أعطنى خَلَقَ جُبَّتك ، ثم استعمل في الإفراد كذلك بغير هاء . قال الزجاجي عقب ذلك : « وليس بشيء ؛ لأنه يقال له : « فَلِمَ وجب سقوط الهاء منه في الإضافة ، حتى حُمِلَ الإفراد عليه ؟ »[4] .

ومن ذَلك أيضا ما ذكره من اختلاف الفراء والخليل وسيبويه وأبى عمرو بن العلاء ، في رفع المنادى المفرد أو نصبه ، إذا اضْطُرَّ الشاعر إلى تنوينه ، وقوله عقب ذلك : « ومذهب أبي عمرو أَقْيَسُ »[4] .

* اهتمامه بحصر بعض المسائل اللغوية ، أو الأعاريب النحوية : ومن ذلك ما ذكره من استعمال العرب (أمّا) ، وأن لها في كلامهم وجهين فقط ، وقال : « وليس لها ثالث في جميع كلام العرب »[5] .

---

(١) انظر ص ٥٤ ، ٦٢ من هذا الكتاب .
(٢) انظر ص ١٣٤ من هذا الكتاب .
(٣) انظر ص ٥٣ من هذا الكتاب .
(٤) انظر ص ٩٥ من هذا الكتاب .
(٥) انظر ص ٥٣ من هذا الكتاب .

ومن ذلك ما ذكره من أحوال (قبل وبعد) ، وما يترتب عليها من إعراب أو بناء[1] .

ومن ذلك أيضا ما نقله عن ابن دريد ، من أن العرب قد تكلمت بأسماء مصغرة ، لم يتكلموا بها مكبرة ، وهي أربعون اسْمًا ، أخذ يَسْرُدُهَا ويشرح كُلًّا منها[2] .

* عنايته بعرض المسألة اللغوية ، أو النحوية ، ومعها أَدلَّتُها : ومن ذلك أنه ذكر أن (إمّا) لا تكون حرف عطف ، إذا سُبِقَتْ بالواو نحو : قام إمّا زيد وإمّا عمرو ، واستدل لذلك فقال : « وذلك لتقدمها على الاسم ، وحرف العطف لا يتقدم على الاسم المعطوف عليه . ودليلٌ آخر ، أنك قد جمعت بينها وبين الواو ، ولا يجوز الجمع بين حَرْفَيْ عطف »[3] . ومثل ذلك ما ذكره من بناء (قبل وبعد) على الضم ، إذا كانا غير مضافين ، وإعرابهما في غير ذلك ، فقد استوفى آراء النحاة ، ودليل كل رأي[4].

* عرض بعض المسائل النحوية بمزيد من التوسع ، فَبَعْدَ أن كان يذكر المسألة كان يُورِدُ عليها اعتراضاتٍ وتفريعاتٍ ، يبدؤها بقوله : « فإن قال قائل .. » ، وذلك واضح فيما ذكره من عدم جواز الجمع بين حَرْفي عطف ، وما أنشأه بعد ذلك من اعتراض ، ثم رَدَّ عليه[5] .

* التعمق في توجيه الآراء المختلفة ، والإجادة في استنباطها ، وإدراك الأصل الذي ترجع إليه جميعًا .

ومن ذلك أنه بعد أن أفاض في ذكر الخلاف بين النحاة في (قبل وبعد)

---

(١) انظر ص ٥٧ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٨٧ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٣) انظر ص ٥٥ من هذا الكتاب .

(٤) انظر ص ٥٧ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٥) انظر ص ٥٥ وما بعدها من هذا الكتاب .

إعرابًا وبناءً وتعليلًا ، قال : « وهذا كُلُّه قول الفراء ، ولولا كراهة التطويل ، لبَيَّنتُ ما يلزمه في فَصْلٍ فَصْلٍ من هذا ، ومن أين أخذه ، وكيف وَلَّدَهُ ؛ لأنه كُلُّه مأخوذ من معاني قول سيبويه »[1] .

* الاستطراد اللغوي ، وغير اللغوي بذكر مايتصل باللفظة ، أو المسألة المفسَّرة ، أو بذكر بعض النوادر والأخبار :

فمن الاستطراد اللغوي أنه عند شرح (المصطفى) من كلام ابن قتيبة ، ذكر أنه يُصَغَّرُ على (مُصَيِّف) ، ثم استطرد فقال : « ولأصحابنا في هذا الباب مسألة ، وهي تصغير (أَحْوَىٰ) ، ولهم فيها أربعة أقوال .. » ، ثم سَرَدَ هذه الأقوال ، بمالها من أدلة ، وعليها من اعتراضات[2] . ومن ذلك أيضًا ، أنه عند شرحه قول ابن قتيبة : « والخبر ينقسم على تسعة آلاف وكذا وكذا مِائَةٍ من الوجوه » أورد اعتراضًا على جَرّ (كذا) في هذا التعبير ، وأفاض في التفصيل ، ثم استطرد فقال : « وهذه مسائل من باب (كذا) تُبَيِّنُه لك » ، وأطال في ذكر هذه المسائل[3] .

ومن ذلك أيضًا ، أنه عند شرح قول ابن قتيبة : « فعرف الصَّدْر والمصدر والحال والظرف » استطرد إلى ذكر أنواع المصدر ، وإلى طريقة صوغه من الثلاثي ومن غير الثلاثي[4] .

ومن ذلك أيضًا ، أنه عند شرح قول ابن قتيبة : « وشيئا من التصاريف والأبنية ، وانقلاب الياء عن الواو ، والواو عن الياء ، والألف عنهما » استطرد فذكر مواضع الإعلال بين هذه الأحرف الثلاثة تفصيلًا ، وزاد عليها إبدال الهمزة[5] .

---

(١) انظر ص ٥٩ من هذا الكتاب .
(٢) انظر ص ٦٥ من هذا الكتاب .
(٣) انظر ص ١١٧ من هذا الكتاب .
(٤) انظر ص ١٢٤ من هذا الكتاب .
(٥) انظر ص ١٢٦ من هذا الكتاب .

ومن ذلك أيضًا ، أنه عند شرح (الثُّرَيَّا) ذكر أنها لم تستعمل في كلامهم إلا مُصَغَّرَةً ، لم يُنْطَق بمكبّرها ، ثم استطرد فقال : « قال أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد : وقد تكلمت العرب بأسماء مصغرة ، لم يتكلموا بها مكبرة ، وهى أربعون .. » وذكر هو هذه الأسماء الأربعين مشروحة[1] .

ومن الاستطراد غير اللغوي ، أنه عند شرح قول ابن قتيبة : « وخَوَىٰ نجم الخير » استطرد إلى ذكر توزيع الأنواء على مدار السنة ، واسم كل نَوْء ، واشتقاق هذا الاسم ، وبيان سائر ما يتصل به ، وكُلُّ ذلك نقله عن شيخه أبي إسحاق الزجاج[2] .

ومن الاستطراد غير اللغوي أيضًا ، أنه عند شرح قول ابن قتيبة : « ومن اسمه متطيرين » شرع يذكر طرائق العرب في التفاؤل والتشاؤم ، وماجاء عنهم في ذلك من الأشعار ، وماكان من تَطَيُّرِ ابن الرومي ، ثم ماجاء عن النبي – ﷺ – في ذلك[3] .

ومن ذلك الاستطراد أيضًا ، ما ذكره عند شرح قول ابن قتيبة : « فَأَبْعَدُ غايات كاتبنا في كتابته ، أن يكون حسن الخط ، قويم الحروف » ، إذ قال : « وقد جاءت في الخط والقلم آثار ، وقيل فيهما من الأشعار ، وكلام الأدباء والحكماء ، ما هو مشهور ، لو جُمِعَ لكان ضعف هذا الكتاب ، الذي قصدنا لتفسير رسالته ، وَلَكِنَّا نذكر من ذلك هاهنا شيئًا يسيرًا ، يليق ذكره به ، ولا يخرج عن مقصدنا » ، ثم ذكر بعض ما اختاره من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام المفسرين ، والأعراب ، والفلاسفة ، والأشعار[4].

ومن الاستطراد غير اللغوي أيضًا ، أنه شرح ما أورده ابن قتيبة من أحاديث

---

(١) انظر ص ٨٨ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٧٩ من هذا الكتاب .

(٣) انظر ص ٦٨ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٤) انظر ص ١٠٢ من هذا الكتاب .

نَهَى فيها الرسولُ – ﷺ – عن بعض أنواع البيوع ، ثم استطرد فقال : « وللنهي ألفاظ أُخَرُ ، قد وردت عن النبي – صلى الله عليه وآله – ، في البيوع وغيرها ، أنا أذكر بعضها هاهنا ، فإن فيه فائدة للمتفقهين وأهل اللغة » ، ثم شرع يذكر ذلك[1] .

* الحرص على ذكر أصل كلمة لغوية يشرحها من كلام ابن قتيبة ، مع ذكر المعانى المختلفة للمادة ، وإن لم تكن هذه المعانى مرادةً في موضوع الرسالة :
ومن ذلك ، أنه عند شرح قول ابن قتيبة : « والعلماء مغمورون » قال : المغمور : المستضعف ، وأصله من الذي غَشِيَهُ ماء كثير ، فَعَلَاهُ وغمره ، وكذلك المستضعف المتحيِّر منه . والغمر : الماء الكثير . وفرس غمر : إذا كان كثير الجرى . ورجل غمر الرداء » إلخ[2].

ومن ذلك أيضًا ، أنه عند شرح قول ابن قتيبة : « ليدخل في جملة المجدودين » قال : « ويقال : رجل جديد حظيظ ، ومجدود محظوظ : إذا كان ذا جَدٍّ وحظ من الدنيا . والجَدّ (بالفتح) : الحظ والبخت . والجَدّ : القطع. والجدّ : أب الأب ، وأب الأم . والجد : العظمة . والجِدّ (بالكسر) : خلاف اللعب ، والجِدّ : الانكماش في الأمور »[3] إلخ .

وقراءة الكتاب تُغْنِيكَ عن الإكثار من ضَرْبِ الأمثلة على ذلك ، فهو كثير ، يضيق عنه هذا المقام .

* أنه لم يَكْتَف بشرح كلام ابن قتيبة ، بل كان أحيانًا ناقدًا له ، مُبْدِيًا رأيه فيما يقول ، إمّا موافقًا ، وإمّا معارضًا ، وإما مخطِّئًا :

فممّا أبدى فيه الموافقةَ ، ماقاله ابن قتيبة – منكرًا على كُتَّاب عصره – : « فَأَبْعَدُ غايات كاتبنا في كتابته ، أن يكون حسن الخط ، قويم الحروف » ، أَيَّدَهُ

---

(١) انظر ص ١٤٢ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٧٧ من هذا الكتاب .

(٣) انظر ص ٧٦ من هذا الكتاب .

الزجاجي هنا وقال : « هذا إنما أنكره على من اقتصر من الكُتّاب على حسن الخط ، دون ما سواه من الآداب ، ورأى أنه قد تناهى في الكمال ، إذْ حَسُنَ خطه . وهذا – لَعَمْرِي – كما قال ، مُنْكَرٌ على من كان هذا من رأيه ومذهبه ، ورضي به مرتبة ؛ لأنه إنما هو في تلك الحال بمنزلة مُزَوِّقٍ نَقّاشٍ مَحَالٍّ ، وليست هذه من المنازل التي يرضى بها كاتب لنفسه »[1] .

ومما أبدى فيه المخالفة ، أن ابن قتيبة عاب الكتابَ ؛ لانخداعهم بألفاظ المناطقة والفلاسفة ، وحرصهم على حفظها وترديدها في محافلهم وفي مكاتباتهم ، وعَدَّ ذلك هذيانًا كثيرًا .

عَلَّقَ الزجاجي على ذلك فقال : « ما رأيت أطرف من كلامه في هذا الفصل ؛ لأنه جمع بين الحكاية عن المنطق والهندسة وعاب الجميع ، وجعله هذيانًا ، من غير أنْ رَدَّ مسألةً على القوم ، ولا أبان فساد شيء مما يذهبون إليه بحجة ولا دليل ، أكثر من أن سَمَّاه هذيانًا ، وهذا هو العِيُّ البَيِّنُ ، والتَّعَجْرُفُ التام .. » ، إلى أن قال : « وجملة القول في هذا الفصل أن كلام ابن قتيبة أَوْلَى أن يُسَمَّى هذيانًا ، من الحكاية التي لم ينقضها ، ولم يَدُلَّ على فسادها »[2] .

ومما أَبْدَى فيه المخالفة أيضًا ، ما عَلَّق به على قول ابن قتيبة : « ويُمْتَحَنُ معرفته بالعمل في الأَرَضِينَ ، لا في الدفاتر ، فإن المُخْبَر ليس كالمُعَايِن » . قال الزجاجي : « ليس كما قال ؛ لأن كتب الرياضيات والهندسة – نحو كتاب إقليدس ، والمِجَسْطِي ، واختلاف المناظر ، وسائر ذلك – إنما يُدْرَكُ علمها من الكتب ، لا من الأرضين . ومع ذلك فليس بين شكل الأرضين المستوية وبين صورتها في الدفتر فَرْقٌ لمرأى العين ، فالعامل لذلك والمحصل له من الكتب ، قد أدركها عِلْمًا ومعاينةً ، وليس بِمُخْبَرٍ فقط ، بل هو مُخْبَرٌ مُعَايِنٌ »[3] .

---

(١) انظر ص ١٠٢ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ١٠٩ من هذا الكتاب .

(٣) انظر ص ١٦٢ من هذا الكتاب .

ومما خطَّأه من كلام ابن قتيبة ، قوله حاكيًا عن المنطقيين : « والخبر ينقسم على تسعة آلاف وكذا وكذا مائةٍ من الوجوه » بتكرير (كذا) وخفض (مائة) .

قال الزجاجي : « وهذا خطأٌ من وجوه : أحدها : أن أحدًا لا يقول : إن الخبر لا ينقسم على تسعة آلاف وجه ، ولا أدرى : من أين نقله ؟ ، والآخر : أنه كلام ملحون في اللفظ ، غَلَطٌ في التقدير .. »[1] إلخ .

* عنايته بالإشارة إلى تخطئة بعض الروايات في الشعر[2] ، أو الخلاف في نسبة بعض الأبيات إلى قائليها[3] ، أو الأبيات التي لم تذكر في ديوان بعض الشعراء[4] .

موازنة بين شروح الرسالة :

ذكرنا – فيما سبق – أن الموجود من شروح رسالة أدب الكاتب أربعة هي : شرح الزجاجي المتوفى سنة ٣٤٠هـ ، وشرح ابن القُوطِيَّة المتوفى سنة ٣٦٧هـ ، وشرح البطليوسيّ المتوفى سنة ٥٢١هـ ، ثم شرح الجواليقيّ المتوفى سنة ٥٣٩هـ . وأَقْدَمُ هذه الشروح جميعها شرح الزجاجي ، الذي بين يديك ، وقد عرضنا منهجه من قَبْلُ .

وكُنَّا نظن أن الشُّرَّاح من بعده سوف يحتذون حَذْوَهُ ، وينهجون نَهْجَهُ ، ولكنْ خاب الظن ! ، إذ لم نجد في كتبهم مايدل على أنهم قد تأثروا به ، بل لا نبالغ إذا قلنا : إنهم لم يذكروا في شروحهم اسم « الزجاجي » مطلقًا ، لا نَقْلًا عنه ، ولا نقْدًا له ، ولا اعتراضًا عليه ، في حين ذكروا غيره ممن هو دونه : منزلةً وعلمًا وزمنًا .

وليس لَدَيَّ من تفسيرٍ لذلك إلا واحدًا من احتمالات ثلاثة :

---

(١) انظر ص ١١٦ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ١٤٥ من هذا الكتاب .

(٣) انظر ص ٨١ من هذا الكتاب .

(٤) انظر ص ٧٠ من هذا الكتاب .

* أحدها : أن الكتاب لم يصل إلى كل منهم ، وهو أمْرٌ أَسْتَبْعِدُهُ ؛ لشهرة الزجاجيّ ، وَجِدَّةِ آرائه ، وتَمَيُّزِ منهجه عن منهج من سبقه ، ونحن نعرف أن كتابَهُ (الجمل في النحو) قد شرَّق وغرَّب ، ووضعت عليه شروح كثيرة ، تزيد على الأربعين شرحًا ، بخلاف شروح شواهده ، التي تبلغ العشرين شرحًا ، حتى قال أحد المعاصرين : « إن لهذا الكتاب حُظْوَةً عندِ المغاربة تُدَانِي كتاب سيبويه عند المشارقة »[1] ومثل هذا كَفِيلٌ أن يُحْرزَ لصاحبه الشهرةَ وذيوعَ الصِّيت في مختلف الآفاق ، ولا نَنْسَىٰ أن للبطليوسيّ صاحب الاقتضاب كتابًا آخر أكثر فيه من الاعتراض على الزجاجي في (الجمل) .

* والاحتمال الثاني : أن الكتاب وصل إليهم ، واطَّلعوا عليه ، ولكنهم حسدوا الزجاجيَّ ، وحاولوا الغَضَّ من شأنه بعدما مات ، سعيًا إلى أن ينساه مُرِيدُوه والمُفْتَتَنُونَ بعلمه على مَرّ الأيام ، وذلك بعدم الإشارة إلى اسمه في شروحهم .

وربما رَجَّحَ هذا الأمر عند البطليوسيّ ما تعقب به الزجاجي في (الجمل) بكتاب سَمّاه (الحُلَل في إصلاح الخَلَلِ الواقع في الجُمَل) ، ومَنْ يقرأه يَجِدْ فيه تحاملًا كثيرًا عليه ، وتَصَيُّدًا للهفوات من أبعد طريق .

* والاحتمال الثالث : أن الكتاب وصل إليهم ، وأنهم درسوه ، ولكنهم آثروا أن يكون لكل منهم منهجه الخاص ، حتى لا يقال : إنه عالة على الزجاجيّ ، وإن كتاب الزجاجي يغنى عن كتاب كل منهم – والفضل للمتقدم – وهو أَمْرٌ يَضَعُ من شأنهم العلمي ، ويصرف الناس عنهم .

أنا أُرَجِّحُ هذا الاحتمال الثالث ؛ إذ يبدو لمن يقرأ شروح هؤلاء أن كُلًّا منهم يَتَّجِهُ في الشرح والاستشهاد اتجاهًا يغاير الآخر ، وأن ثَلَاثَتَهَا تُغَايِرُ شرح الزجاجي ، ولو ذهبنا نستقصى مواضع الاختلاف بين هذه الشروح جميعًا ، لطال المقال ، من حيث لا يَتَّسِعُ له مجال .

---

(١) انظر مقدمة كتاب الجمل في النحو ص ٢٤ .

ولكن يكفي أن نقول : إن شرح الزجاجي هو أوسع هذه الشروح لغةً وتصريفًا ، وإعرابًا واستشهادًا ، واستطرادًا إلى ذكر النوادر ، وطرائف الأخبار والأشعار – فضلًا عما يميّزه من السَّبْق الزَّمَنِيّ – فهو أول هذه الشروح جميعها ، ويليه شرح البطليوسيّ ، ثم شرح الجواليقي . وأما شرح ابن القوطية – وهو مخطوط – فقد راعى الإيجاز الشديد ، الذي لا يتجاوز ذكر الكلمة ومعناها ، مع خُلُوِّه من الشواهد والإعراب والاستطراد غالبًا .

ولا نُبْعِدُ إذا قلنا : إن هذه الشروح لا يغنى أحدها عن الآخر ، بل يُكْمِلُ بعضها بعضًا ، وفي كُلٍّ مِن الـميزات والتفرد ما يجعل له منهجًا خاصًّا ، وسِمَةً واضحةً تَنِمُّ عن شخصية صاحبه .



رسالة أدب الكتاب *

للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

المتوفى سنة ٢٧٠ هـ

* رأينا إثبات نص الرسالة نقلاً من « أدب الكاتب ، لابن قتيبة » بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٦٣ (مطبعة السعادة بمصر) ، وذلك لتكون بين يدي تفسير الإمام الزجاجي .

قال أَبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مسلمِ بْنِ قُتَيْبَةَ – رحمه الله تعالى :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ بجميع محامده ، والثناءِ عليه بما هو أَهْلُهُ ، والصلاةِ على رسوله المصطفي وآلِهِ .

فإني رأيتُ أَكْثَرَ أَهْلِ زماننا هذا عن سبيلِ الأدبِ نَاكِبِينَ . وَمِنْ اسْمِهِ مُتَطَيِّرِينَ . وَلِأَهْلِهِ هاجرين .

أَمَّا النَّاشِئُ منهم فَرَاغِبٌ عن التَّعَلُّمِ . والشَّادِي تَارِكٌ لِلازْدِيَادِ ، والمتأدبُ في عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ ، نَاسٍ أَوْ مُتَنَاسٍ ؛ لِيَدْخُلَ في جملة المَجْدُودِين ، ويَخْرُجَ عن جملة المَحْدُودِينَ . فالعلماءُ مَغْمُورُونَ ، وَبِكَرَّةِ الْجَهْلِ مَقْمُوعُونَ . حين خَوَىٰ نَجْمُ الخير ، وَكَسَدَتْ سُوقُ الْبِرِّ ، وَبَارَتْ بضائعُ أهله ، وصار العِلْمُ عَارًا على صاحبه ، والفضلُ نَقْصًا ، وأموالُ الملوكِ وَقْفًا على شهوات النفوس . والجَاهُ الذي هو زكاة الشَّرَفِ يُبَاعُ بَيْعَ الْخَلَقِ . وآضَتْ المُرُوءَاتُ في زخارف النَّجْدِ وتشييد البنيان ، وَلَذَّاتُ النفوسِ في اصْطِفَاقِ الْمَزَاهِرِ ، وَمُعَاطَاةِ النُّدْمَانِ . وَنُبِذَتْ الصَّنائع ، وَجُهِلَ قَدْرُ المعروف ، وماتت الخواطرُ ، وسَقَطَتْ هِمَمُ النفوس ، وزُهِدَ في لسان الصِّدْقِ وعَقْدِ الْمَلَكُوتِ .

فَأَبْعَدُ غايات كاتبنا في كتابته ، أن يكون حَسَنَ الخَطِّ ، قَوِيمَ الحروف . وَأَعْلَىٰ منازل أَدِيبِنَا أَنْ يقولَ من الشعر أُبَيَّاتًا في مَدْحِ قَيْنَةٍ ، أَوْ وَصْفِ كَأْسٍ . وَأَرْفَعُ درجات لَطِيفِنَا أن يُطَالِعَ شَيْئًا من تقويم الكواكب ، وَيَنْظُرَ في شيءٍ من القضاء وَحَدِّ المنطق ، ثم يَعْتَرِضُ على كتاب اللهِ بِالطَّعْنِ ، وهو لا يَعْرِفُ معناه ! ، وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب ، وهو لا يَدْرِي مَنْ نَقَلَهُ ! قَدْ رضِيَ عِوَضًا من الله ومِمَّا عنده بأن يُقَالَ : فُلَانٌ لطيفٌ ، وفلانٌ دقيقُ النَّظَرِ ، يَذْهَبُ إلى أَنَّ لُطْفَ النَّظَرِ قد أخرجه عن جُمْلَةِ الناس ، وَبَلَغَ به عِلْمَ مَا جَهِلُوه ، فهو يدعوهم : الرَّعَاعُ والغُثَاءُ والغُثْرُ ! وهو لَعَمْرُ اللهِ بهذه الصفات أَوْلَىٰ ، وهي به أَلْيَقُ ؛ لأنه جَهِلَ ، فَظَنَّ أَنْ قَدْ عَلِمَ ، فَهَاتَانِ جَهَالَتَانِ ، ولأن هؤلاء جَهِلُوا وعَلِمُوا أنهم يَجْهَلُونَ .

ولو أن هذا الـمُعْجَبَ بنفسه ، الزَّارِي على الإسلام بِرَأْيِه ، نَظَرَ مِنْ جِهَةِ النظر ، لَأَحْيَاهُ اللهُ بِنُورِ الهُدَىٰ وثَلْجِ الْيَقِينِ ، ولكنه طال عليه أن يَنْظُرَ في عِلْمِ الْكِتَاب ، وفي أخبار الرسول – ﷺ – وَصَحَابَتِهِ ، وفي علوم العرب ولُغَاتِهَا وآدَابِها ، فَنَصَبَ لذلك وعَادَاهُ ، وانْحَرَفَ عنه إلى عِلْمٍ قَدْ سَلَّمَهُ له وَلِأَمْثَالِهِ الـمسلمون ، وَقَلَّ فيه الـمتناظرون ، له تَرْجَمَةٌ تَرُوقُ بِلَا مَعْنًى ، وَاسْمٌ يَهُولُ بِلَا جِسْمٍ .

فإذا سَمِعَ الْغُمْرُ وَالْحَدَثُ الْغِرُّ قَوْلَه : الْكَوْنَ والْفَسَادَ ، وسَمْعَ الْكِيَانِ ، والأسماءَ الـمفردةَ ، والْكَيْفِيَّةَ ، والْكَمِّيَّةَ ، والزمانَ والدليلَ ، والأخبارَ الْمُؤَلَّفَةَ – رَاعَهُ ما سَمِعَ ، وَظَنَّ أَنَّ تحت هذه الألقاب كُلَّ فائدةٍ ، وَكُلَّ لطيفةٍ ، فإذا طالعها لَمْ يَحْلَ منها بطائلٍ ، إنما هو : الْجَوْهَرُ يَقُومُ بنفسه ، والْعَرَضُ لا يَقُومُ بنفسه ، ورَأْسُ الخَطِّ النقطةُ ، والنقطةُ لا تَنْقَسِمُ ، والكلامُ أربعةٌ : أَمْرٌ ، وَخَبَرٌ ، وَاستخبارٌ ، وَرَغْبَةٌ : ثَلَاثَةٌ لا يدخلها الصِّدْقُ والكذبُ ، وهي : الأمر ، والاستخبار ، والرغبة . وواحدٌ يدخله الصِّدْقُ والكذبُ ، وهو الْخَبَرُ ، والآنُ حَدُّ الزَّمَانَيْنِ – مع هَذَيَانٍ كثير .

والخبر ينقسم إلى تسعة آلاف وكذا وكذا مِائةٍ من الوجوه ، فإذا أراد الـمتكلمُ أن يَسْتَعْمِلَ بَعْضَ تلك الوجوهِ في كلامه كانت وَبَالًا على لفظه ، وقَيْدًا لِلِسَانِهِ ، وَعِيًّا في الـمحافل ، وَعُقْلَةً عند الـمتناظرين .

ولقد بلغني أن قَوْمًا من أصحاب الكلام ، سألوا مُحَمَّدَ بْنَ الْجَهْمِ الْبَرْمَكِيَّ أَنْ يذكر لهم مسألةً من حَدِّ الـمنطق حَسَنَةً لطيفَةً ، فقال لهم : ما مَعْنَى قَوْلِ الحكيم : أَوَّلُ الْفِكْرَةِ آخِرُ الْعَمَلِ ، وَأَوَّلُ الْعَمَلِ آخِرُ الفِكْرَةِ ؟ فسألوه التأويل ، فقال لهم : مَثَلُ هَذَا كَمَثَلِ رَجُلٍ قال : إني صانعٌ لنفسي كِنًّا ، فَوَقَعَتْ فِكْرَتُهُ على السَّقْفِ ، ثم انْحَدَرَ فَعَلِمَ أن السَّقْفَ لا يكون إلَّا على حائطٍ ، وأن الحائطَ لا يَقُومُ إلا على أُسٍّ ، وأن الأُسَّ لا يَقُومُ إلا على أَصْلٍ ، ثم ابتدأ في العمل بِالْأَصْلِ ، ثم بِالْأُسِّ ، ثم بالحائط ، ثم بالسقف . فكان ابتداءُ تَفَكُّرِهِ آخِرَ عَمَلِهِ ، وآخِرُ عَمَلِهِ

بَدْءَ فِكْرَتِهِ ، فَأَيَّةُ مَنْفَعَةٍ في هذه المسألة ؟ وهل يَجْهَلُ أَحَدٌ هذا حتى يحتاج إلى إخراجه بهذه الألفاظ الهائلة ؟ وهكذا جميع مافي هذا الكتاب ! .

وَلَوْ أَنَّ مُؤَلِّفَ حَدِّ المنطق بَلَغَ زَمَانَنَا هذا حتى يَسْمَعَ دقائقَ الكلامِ في الدِّينِ والفقه والفرائض والنحو ، لَعَدَّ نَفْسَهُ من البُكْمِ ، أَوْ يَسْمَعَ كلام رسول الله – ﷺ – وصحابته ، لأَيْقَنَ أن للعرب الحكمةَ وَفَصلَ الخطابِ .

فالحمدُ للهِ الذي أعاذ الوزير أبا الحسن – أَيَّدَهُ اللهُ – من هذه الرذيلة ، وَأَبَانَهُ بالفضيلة ، وَحَبَاهُ بِخِيمِ السَّلَفِ الصالح ، وَرَدَّاهُ رِدَاءَ الإيمَانِ ، وَغَشَّاهُ بِنُورِهِ ، وجعله هُدًى من الضلالات ، ومِصْبَاحًا في الظلمات ، وَعَرَّفَهُ ما اختلف فيه المختلفون ، على سَنَنِ الكتابِ والسُّنَّةِ ، فَقُلُوبُ الخيار له معتلقةٌ ، ونُفُوسُهُمْ إليه مائلة ، وأيديهم إلى الله فيه – مظانَّ القبول – مُمْتَدَّةٌ ، وأَلسِنَتُهُمْ بالدعاء له شافعةٌ ، يَهْجَعُ ويستيقظون ، ويَغْفُلُ ولا يَغْفُلُونَ ، وَحُقَّ لِمَنْ قام للهِ مَقَامَهُ ، وَصَبَرَ عَلى الجهاد صَبْرَهُ ، ونَوَىٰ فيه نِيَّتَهُ ، أَنْ يُلْبِسَهُ اللهُ لِبَاسَ الضمير ، وَيُرَدِّيَهُ رِدَاءَ العمل الصالح ، ويَصُورَ إليه مُخْتَلِفَاتِ القلوبِ ، وَيُسْعِدَهُ بِلسانِ الصِّدْقِ في الآخرين .

فإني رَأَيْتُ كثيرًا من كُتَّابِ أَهْلِ زماننا – كَسَائِرِ أهله – قد استطابوا الدَّعَةَ ، وَاسْتَوْطَأُوا مَرْكَبَ الْعَجْزِ ، وَأَعْفَوْا أنفسهم من كَدِّ النظر ، وقُلُوبَهُمْ من تَعَبِ التفكر ، حين نالوا الدَّرَكَ بِغَيْرِ سَبَبٍ ، وَبَلَغُوا الْبُغْيَةَ بغير آلَةٍ ، وَلَعَمْرِي كان ذاك ، فَأَيْنَ هِمَّةُ النَّفْسِ ؟ وأين الأَنَفَةُ من مجانسة البهائم ؟. وأَيُّ مَوْقِفٍ أَخْزَىٰ لصاحبه من موقف رَجُلٍ من الكُتَّاب اصطفاه بَعْضُ الخلفاء لنفسه ، وارتضاه لِسِرِّهِ ، فقرأ عليه يَوْمًا كِتَابًا ، وفي الكتاب : (وَمُطِرْنَا مطَرًا كَثُرَ عَنْهُ الْكَلَأُ) ، فقال له الخليفةُ مُمْتَحِنًا : وما الكَلَأُ ؟ فَتَرَدَّدَ في الجواب ، وَتَعَثَّرَ لِسَانُهُ ، ثم قال : لا أَدْرِي ! فقال : سَلْ عنه .

ومن مقامٍ آخرَ ، في مثل حاله ، قَرَأَ على بعض الخلفاء كِتَابًا ذُكِرَ فيه : حَاضِرُ طَيِّئٍ ، فَصَحَّفَهُ تَصْحِيفًا أَضْحَكَ منه الحاضرين . ومن قَوْلِ آخرَ في وَصْفِ بِرْذَوْنٍ

أَهْدَاهُ : وقد بَعَثْتُ به إليك ، أَبْيَضَ الظَّهْرِ والشفتين ، فقيل له : لو قلت : أَرْثَمَ أَلْمَظَ !، قال : فَبَيَاضُ الظَّهْرِ : مَاهُوَ ؟ قالوا : لا نَدْرِى ! قال : إنما جَهِلْتُ من الشفتين ما جهلتم من الظهر .

ولقد حَضَرْتُ جماعةً من وجوه الكُتَّاب والعمال العلماء بِتَحَلُّبِ الْفَيْءِ وَقَتْلِ النفوسِ فيه ، وإخراب البلاد ، والتَّوْفِير العائِد على السلطان بالخسران الـمبين ، وقد دخل عليهم رَجُلٌ من النَّخَّاسين ، ومعه جاريةٌ رُدَّتْ عليه بسِنٍّ شَاغِيَةٍ زائدةٍ ، فقال : تَبَرَّأْتُ إليهم من الشَّغَا ، فَرَدُّوها عَلَيَّ بالزيادة ، فَكَمْ في فَمِ الإنسان مِنْ سِنٍّ ؟ فما كان فيهم أَحَدٌ عَرَفَ ذلك ، حتى أَدْخَلَ رَجُلٌ منهم سَبَّابَتَهُ في فِيهِ يَعُدُّ بها عَوَارِضَهُ ، فَسَالَ لُعَابُهُ . وَضَمَّ رَجُلٌ فَاهُ وجعل يَعُدُّها بِلِسَانِهِ . فَهَلْ يَحْسُنْ بمن ائْتَمَنَهُ السلطانُ على رَعِيَّتِهِ وأمواله ، وَرَضِيَ بحكمه ونظره ، أن يجهل هذا من نفسه ؟ وهل هو في ذلك إلا بمنزلةِ مَنْ جَهِلَ عَدَدَ أصابعه ؟ ولقد جَرَىٰ في هذا الـمجلس كلامٌ كثيرٌ في ذكر عيوب الرقيق ، فما رأيت أَحَدًا منهم يَعْرِفُ فَرْقَ مابين الْوَكَعِ والْكَوَعِ ، ولا الْحَنَفَ من الْفَدَعِ ، وَلَا اللَّمَىٰ من اللَّطعِ .

فلما أن رأيتُ هذا الشأنَ كُلَّ يَوْمٍ إلى نقصان ، وخَشِيتُ أن يذهبَ رَسْمُهُ ، ويَعْفُوَ أَثَرُهُ ، جعلتُ له حَظاً من عنايتي ، وجُزْءًا من تأليفي ، فَعَمِلْتُ لِمُغْفِلِ التأديب كُتُبًا خِفَافًا في : الـمعرفة ، وفي تقويم اللسانِ والْيَدِ ، يشتمل كُلُّ كِتَاب منها على فَنٍّ ، وَأَعْفَيْتُهُ من التطويل والتثقيل ؛ لِأُنْشِطَهُ لِتَحَفُّظِهِ وَدِرَاسَتِهِ إن فاءت به هِمَّتُهُ ، وَأُقَيِّدَ عليه بها مَا أَضَلَّ من الـمعرفة ، وَأَسْتَظْهِرَ له بإعداد الآلة ، لِزَمَانِ الْإِدَالَةِ ، أو لقضاء الوَطَرِ ، عند تَبَيُّنِ فَضْلِ النظر ، وَأُلْحِقَهُ – مع كَلَالِ الْحَدِّ وَيُبْسِ الطِّينَةِ – بِالْمُرْهَفِينَ ، وَأُدْخِلَهُ – وهو الْكَوْدَنُ – في مِضْمَارِ الْعِتَاقِ .

وليست كُتُبُنَا هذه لِمَنْ لَمْ يَتَعَلَّقْ بالإنسانية إلا بالجسم ، ومن الكتابة إلا بالاسم . ولم يتقدم من الأداة ، إلا بالقلم والدَّوَاةِ . ولكنها لمن شَدَا شَيْئًا من الإعراب ، فعرف الصَّدْرَ والـمصدرَ ، والحالَ والظَّرْفَ ، وشَيْئًا من التصاريفِ والأبنية ، وانقلابَ الياءِ عن الواو ، والألفِ عن الياء ، وأَشْبَاهَ ذلك .

وَلَابُدَّ لَهُ – مع كُتُبِنَا هذه – من النظر في الأشكالِ لِمِسَاحَةِ الْأَرَضِينَ ، حتى يَعْرِفَ المثلثَ القائمَ الزاويةِ ، والمثلثَ الحادَّ والمثلثَ المُنْفرجَ ، ومَسَاقِطَ الأحجار ، والمربعاتِ المختلفاتِ ، والْقِسِيَّ والمُدَوَّرَاتِ ، والْعَمُودَيْنِ ، ويَمْتَحِنَ مَعْرِفَتَهُ بالعمل في الْأَرَضِينَ لا في الدفاتر ، فإن الْمُخْبَرَ لَيْسَ كالْمُعَايِن . وكانت الْعَجَمُ تقول : مَنْ لم يكن عالـمًا بإجراء المياه ، وحَفْرِ فُرَضِ المشارب ، وَرَدْمِ الْمَهَاوِى ، ومَجَارِي الأيام في الزيادة والنقص ، ودَوَرَانِ الشمس ، ومطالع النجوم ، وحالِ القمر في استهلاله وأفعاله ، ووزن الموازين ، وذَرْعِ المثلثِ والمربعِ والمختلفِ الزوايا ، ونَصْبِ القناطر والجسور والدَّوَالي والنواعير على المياه ، وحالِ أدوات الصُّنَّاع ودقائق الحساب ؛ كان ناقصًا في حال كتابته .

وَلَابُدَّ لَهُ – مع ذلك – من النظر في جُمَلِ الفقه ، ومعرفة أصوله : من حديث رسول الله – ﷺ – وصحابته ، كقوله : « الْبَيِّنَةُ على المُدَّعِي ، وَالْيَمِينُ على الْمُدَّعَي عَلَيْهِ ، وَالْخَرَاجُ بالضَّمَانِ ، وَجُرْحُ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ ، وَلَا يَغْلَقُ الرَّهْنُ ، وَالْمِنْحةُ مَرْدُودَةٌ ، وَالْعَارِيَّةُ مُؤَدَّاةٌ ، وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ ، وَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ ، وَلَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثَرٍ ، وَلَا قَوَدَ إِلَّا بَحَدِيدَةٍ ، وَالْمَرْأَةُ تُعَاقِلُ الرَّجُلَ إِلَى ثُلُثِ الدِّيَةِ ، وَلَا تَعْقِلُ الْعَاقِلَةُ عَمْدًا وَلَا عَبْدًا وَلَا صُلْحًا وَلَا اعْتِرَافًا ، وَلَا طَلَاقَ فِي إِغْلَاقٍ ، وَالْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَالَمْ يَتَفَرَّقَا ، وَالْجَارُ أَحَقُّ بِصَقَبِهِ ، وَالطَّلَاقُ بالرِّجَالِ ، والْعِدَّةُ بِالنِّساءِ » . وَكَنَهْيِهِ في البيوع عن المُخَابَرَةِ والمُحَاقَلَةِ والمُزَابَنَةِ والمُعَاوَمَةِ والثُّنيا ، وعن ربح مالـم يَضْمَنْ ، وبيع مالـم يَقْبِضُ ، وعن بيعتين في بيعة ، وعن شرطين في بيع ، وعن بيع وسَلَفٍ ، وعن بيع الْغَررِ ، وَبَيْعِ الْمُوَاضَعَةِ ، وعن الكالئ بالكالئ ، وعن تَلَقِّي الرُكْبَانِ – في أشباهٍ لهذا كثيرةٍ – إذا هو حَفِظَهَا ، وتَفَهَّمَ مَعَانِيَهَا وتَدَبَّرَها ، أَغْنَتْهُ بإذن الله تعالى عن كثير من إطالة الفقهاء .

وَلَا بُدَّ لَهُ – مع ذلك – من دراسة أخبار الناس ، وتَحَفُّظِ عُيُونِ الحديث ؛ لِيُدْخِلَهَا في تضاعيف سطوره مُتَمَثِّلًا إذا كَتَبَ ، وَيَصِلَ بها كَلَامَهُ إذا حَاوَرَ ،

وَمَدَارُ الأمر على القُطْبِ ، وهو العقلِ وجَوْدَةُ القَرِيحَةِ ، فإن القليلَ معهما بإذن الله كَافٍ ، والكثيرَ مع غيرهما مُضِـرٌّ .

ونحن نَسْتَحِبُّ لِمَنْ قَبِلَ عَنَّا ، وائْتَمَّ بِكُتُبِنَا ، أن يُؤَدِّبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أن يؤدِّبَ لِسَانَهُ ، وَيُهَذِّبَ أخلاقه قبل أن يُهَذِّبَ أَلْفَاظَهُ ، وَيَصُونَ مُرُوءَتَهُ عن دَنَاءَةِ الغِيبَةِ ، وَصِنَاعَتَهُ عن شَيْنِ الكذب ، ويُجَانِبَ - قَبْلَ مجانبته اللَّحْنَ وَخَطَلَ الْقَوْلِ - شَنِيعَ الكلامِ ، وَرَفَثَ الْمَزْحِ .

كان رسول الله - ﷺ - وَلنا فيه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ - يَمْزَحُ ولا يقول إلا حَقًّا ، ومَازَحَ عجوزًا فقال : « إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ » ، وكانت في عَلِيٍّ عليه السلام دُعَابَةٌ . وكان ابْنُ سِيرِينَ يَمْزَحُ وَيَضْحَكُ حتى يَسِيلَ لُعَابُهُ ، وَسُئِلَ عن رَجُلٍ فقال : تُوُفِّيَ الْبَارِحَةَ ، فلما رأى جَزَعَ السائل قَرَأَ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الآية ٤٢ من سورة الزُّمَر] . وَمَازَحَ معاويةُ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ ، فما رُؤِيَ مازحان أَوْقَرَ منهما ، قال له معاويةُ : يا أَحْنَفُ ؛ مَا الشَّيءُ الْمُلَفَّفُ فِي الْبِجَادِ ؟ قال له : السَّخِينَةُ يا أمير الـمؤمنين ؛ أراد معاويةُ قول الشاعر :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ	فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِىءْ بِزَادِ
بِخُبْزٍ ، أَوْ بِتَمْرٍ ، أَوْ بِسَمْنٍ ،	أَوِ الشَّيءِ الْمُلَفَّفِ فِي الْبِجَادِ
تَرَاهُ يُطَوِّفُ الْآفَاقَ حِـرْصًا	لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ

وَالْمُلَفَّفُ في الْبِجَادِ : وَطْبُ اللَّبَنِ . وأراد الأحنفُ أن قُرَيْشًا كانت تُعَيَّرُ بأكل السَّخِينَةِ ، وهي حِسَاءٌ من دقيق ، يُتَّخَذُ عند غَلَاءِ السِّعْرِ ، وَعَجْفِ الـمَال ، وكَلَبِ الزَّمَانِ .

فهذا وما أشبهه مَزْحُ الأشراف وذَوِي الـمروءات ، فَأَمَّا السِّبَابُ وَشَتْمُ السَّلَفِ وَذِكْرُ الأعراض بكبير الفواحش ، فَمِمَّا لا تَرْضَاهُ لِخِسَاسِ العبيد وصِغَارِ الوُلْدَان .

وَنَسْتَحِبُّ له أن يَدَعَ في كلامه التَّقْعِيرَ والتَّقْعِيبَ ، كقول يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ ،

لِرَجُلٍ خَاصَمَتْهُ امْرَأَتُهُ عنده : أَأَنْ سَأَلَتْكَ ثَمَنَ شَكْرِهَا وَشَبْرِكَ ، أَنْشَأْتَ تُطِلُّهَا وَتَضْهَلُهَا ، وَكَقَوْلِ عِيسَىٰ بْنِ عُمَرَ – وَيُوسُفُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَة يضربه بالسِّيَاطِ – : والله ، إن كانت إلا أُثَيَّابًا في أُسَيْفَاطٍ قَبَضَهَا عَشَّارُوكَ ! .

فهذا وَأَشْبَاهُهُ كان يُسْتَثْقَلُ والأَدَبُ غَضٌّ ، والزمانُ زَمَانٌ ، وَأَهْلُهُ يَتَحَلَّوْنَ فِيهِ بِالفَصَاحَةِ ، ويتنافسون في العلم ، وَيَرَوْنَهُ تِلْوَ الـمقدار في دَرْكِ ما يطلبون ، وبُلُوغِ ما يُؤَمِّلُونَ ، فكيف له الْيَوْمَ مع انقلاب الحال؟ ! وقد قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُون » .

وَنَسْتَحِبُّ له – إِنْ استطاع – أن يَعْدِلَ بكلامه عن الجهة التي تُلْزِمُهُ مُسْتَثْقَلَ الإعراب ، لِيَسْلَمَ من اللَّحْنِ وَقَبَاحَةِ التَّقْعِير ، فقد كان وَاصِلُ بْنُ عَطاءٍ سَامَ نَفْسَهُ – لِلُثْغَةٍ كانت به – إِخْرَاجَ الرَّاءِ من كلامه ، وكانت لُثْغَتُهُ على الرَّاءِ . فَلَمْ يَزَلْ يَرُوضُهَا ، حتى انقادت له طِبَاعُهُ ، وَأَطَاعَهُ لِسَانُهُ ، فكان لا يتكلم في مجالس التناظر بكلمةٍ فيها رَاءٌ ، وهذا أَشَدُّ وَأَعْسَرُ مَطْلَبًا مما أردناه .

وليس حُكْمُ الكِتَاب في هذا الباب حُكْمَ الكلام ؛ لأن الإعراب لا يَقْبُحُ منه شيء في الكتاب ولا يَثْقُلُ ، وإنما يُكْرَهُ فيه وَحْشِيُّ الغريب ، وتعقيد الكلام ، كقول بعض الكُتَّاب في كتابه إلى العاملِ فَوْقَهُ : (وأنا محتاج إلى أن تُنْفِذَ إِلَيَّ جَيْشًا لَجِبًا عَرَمْرَمًا) ، وقَوْلِ آخَرَ في كتابه : عَضَبَ عَارِضُ أَلَمٍ أَلَمَّ ، فَأَنْهَيْتُهُ عُذْرًا ، وكان هذا الرجل قد أَدْرَكَ صَدْرًا من الزمان ، وأُعْطِيَ بَسْطَةً في العِلْمِ واللِّسانِ ، وكان لا يُشَانُ في كتابته إلا بِتَرْكِهِ سَهْلَ الألفاظ ومُسْتَعْمَلَ الـمعاني . وبلغني أن الحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ أَيَّامَ دولته رآه يكتب وقد رَدَّ عن هاء ﴿ اللهُ ﴾ خَطًّا من آخر السطر إلى أَوَّلِهِ ، فقال : ماهذا ؟ فقال : طُغْيَانٌ في القلم . وكان هذا الرجل صاحبَ جِدٍّ ، وأخا وَرَعٍ وَدِينٍ ، لم يَمْزَحْ بهذا القول ، ولا كان الْحَسَنُ أيضًا عنده مِمَّنْ يُمَازَحُ .

وَنَسْتَحِبُّ له أَيْضًا أن يُنَزِّلَ ألفاظه في كُتُبِهِ فَيَجْعَلَهَا على قَدْرِ الكاتب والـمكتوب إليه ، وأَلَّا يُعْطِيَ خَسِيسَ الناس رَفِيعَ الكلام ، ولا رَفِيعَ الناس وَضِيعَ

الكلام ، فإني رأيتُ الكُتَّابَ قد تركوا تَفَقُّدَ هَذَا من أنفسهم ، وخَلَّطُوا فيه ، فَلَيْسَ يَفرُقُونَ بين مَنْ يُكْتَبُ إليه : (فَرَأْيَكَ في كذا) ، وبين مَنْ يُكْتَبُ إليه : (فَإِنْ رأيتَ كذا) ، و (رَأْيَكَ) ، إنما يُكْتَبُ بها إلى الأَكْفَاءِ والْمُسَاوِينَ ، لا يجوز أن يُكْتَبَ بها إلى الرؤساء والأُسْتَاذِينَ ؛ لأن فيها معنى الأمر ، ولذلك نُصِبَتْ .

ولا يَفْرُقُونَ بين من يُكْتَبُ إليه : (وأنا فَعَلْتُ ذلك) ، وبين مَنْ يُكْتَبُ إليه : (ونحن فعلنا ذلك) ، (ونحن) لا يَكْتُبُ بها إلا آمِرٌ أَوْنَاهٍ ؛ لأنها من كلام الملوك والعظماء ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الآية ٩ من سورة الْحِجْر] ، وقال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [الآية ٤٩ من سورة القمر] . وعلى هذا الابتداء خُوطِبوا في الجواب ، فقال تعالى حكاية عَمَّنْ حَضَرَهُ الموتُ : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [الآيتان ٩٩ ، ١٠٠ من سورة المؤمنون] ، ولم يَقُلْ : (رَبِّ ارْجِعْنِ) . وَرَبُمَّا صَدَّرَ الكاتِبُ كِتَابَهُ بـ (أَكْرَمَكَ اللهُ وَأَبْقَاكَ) ، فإذا تَوَسَّطَ كتابه ، وعَدَّدَ على المكتوب إليه ذُنُوبًا له قال : (فَلَعَنَكَ اللهُ وَأَخْزَاكَ) ، فكيف يُكَرِّمُهُ اللهُ وَيَلْعَنُهُ وَيُخْزِيهِ فِي حَالٍ ؟! وكيف يجمع بين هذين في كتاب ؟! .

وقال أَبْرَوِيزُ لكاتبه في تنزيل الكلام : (إنما الكلامُ أربعةٌ : سُؤَالُكَ الشيءَ ، وسُؤَالُكَ عن الشيء ، وأَمْرُكَ بالشيء ، وخَبَرُكَ عن الشيء) فهذه دعائم المقالات ، إن الْتُمِسَ إليها خامِسٌ لم يُوجَدْ ، وإن نَقَصَ منها رابِعٌ لم تَتِمَّ ، فإذا طَلَبْتَ فَأَسْجِحْ ، وإذا سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ ، وإذا أَمَرْتَ فَأَحْكِمْ ، وإذا أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ . وقال له أَيْضًا : (واَجْمَعْ الكثيرَ مِمَّا تُرِيدُ في القليل مما تقول) - يريد الإيجاز ، وهذا ليس بمحمود في كُلِّ موضع ، ولا بمختارٍ في كل كتاب ، بل لكل مقام مَقَالٌ . ولو كان الإيجازُ محمودًا في كل الأحوال ، لَجَرَّدَهُ الله تعالى في القرآن ، ولم يفعل الله ذلك ، ولكنه أطال تَارَةً للتوكيد ، وحذف تَارَةً للإيجاز ، وكَرَّرَ تَارَةً للإفهام . وعِلَلُ هذا مُسْتَقْصَاةٌ في كتابنا المؤلَّف في (تأويل مُشْكِلِ القرآن) .

وليس يجوز لمن قام مَقَامًا في تحضيض على حَرْبٍ أَوْ حَمَالَةٍ بِدَمٍ أو صُلْحٍ بين عَشائِرَ أن يقُلِّلَ الكلامَ ويَخْتَصِرَهُ ، ولا لِمَنْ كتب إلى عَامَّةٍ كِتَابًا في فتح أو استصلاح أن يُوجِزَ . ولو كتب كاتبٌ إلى أهل بَلَدٍ في الدعاء إلى الطاعة والتحذير عن المعصية كِتَابَ « يَزِيدَ بْنِ الوليد » إلى « مَرْوَانَ » حين بلَغَهُ عنه تَلَكُّؤُهُ في بَيْعَتِهِ : (أَمَّا بَعْدُ ؛ فإني أراك تُقَدِّمُ رِجْلًا ، وَتُؤَخِّرُ أُخْرَىٰ ، فَاعْتَمِدْ عَلَىٰ أَيَّتِهِمَا شِئْتَ ، والسلامُ) لم يَعْمَلْ هذا الكلامُ في أَنْفُسِهَا عَمَلَهُ في نَفْسِ مَرْوَانَ ، ولكنَّ الصَّوَابَ أن يُطيلَ وَيُكَرِّرَ ، ويُعِيدَ ويُبْدِئَ ، ويحُذِّرَ ويُنْذِرَ . هذا منتهى القول فيما نختاره للكاتب ، فمن تكاملت له هذه الأدواتُ ، وأَمَدَّهُ اللهُ بآداب النفس – من العفاف ، والحِلْم ، والصبر ، والتواضع للحق ، وسكون الطائر ، وخَفْضِ الجناح – فهذا المتناهي في الفضل ، العَالي في ذُرَا المجد ، الحَاوِي قَصَبَ السَّبْقِ ، الفائزُ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ ، إن شاء الله تعالى .



تفسير
رسالة أدب الكتاب

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي

المتوفى سنة ٣٤٠ هـ

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ »[1]

قال أبو القاسم عَبْدُ الرحمٰن بن إسحاقَ الزَّجَّاجِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[2] :

أَمَّا بَعْدُ – أَمْتَعَ اللهُ الكَرَمَ ببقائك ، وزَيَّنَ الدنيا بِعِزَّتِكَ ، وعَضَّدَ[3] أَهْلَ العِلْمِ بامتداد أَيَّامِكَ ، عزيزًا محروسًا[4] – : فإنه لم يَزَلِ العلماءُ في كُلِّ عَصْرٍ يتقربون إلى الرؤساء والسادة بلطائفَ يخترعونها ، ومُصَنَّفَاتٍ يبتدعونها ؛ لِيُبِينُوا عن مَحَلِّهِمْ من العلم ، ويُنَبِّهُوا على مَوْضِعِهِمْ من الأدب[5] ، فَيَبْقَى ذِكْرُهُمْ ، وذِكْرُ مَنْ صُنِّفَ مِنْ أَجْلِهِ ، ضَرْبٌ من تلك المصنفات على مرور الأيام ، وتَطَاوُلِ الأزمان ، يَتَلَقَّاهُ غَابِرٌ[6] عن سالف ، ويَتَدَاوَلُهُ الرواةُ ونَقَلَةُ الآثار[7] قَرْنًا بعد قَرْن .

---

(١) زيادة من نسخة « برنستون » ، وقد رمزت لها بالحرف (ب) .

(٢) قوله : « قال أبو القاسم ... رحمه الله » غير موجود في النسخة (ب) .

(٣) أي وَثَّقَ وقَوَّى ، مأخوذ من (العَضُد) للإنسان – وهو مابين المِرْفَقِ إلى الكَتِفِ ؛ لأن الإنسان إنما يَقْوَى بقوةِ عَضُدِهِ ، وفي التنزيل قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [الآية ٣٥ من سورة القصص] . (انظر : لسان العرب : عضد) .

(٤) في (ب) « بامتداد أيامك مغبوطًا » . والغِبْطَة : النِّعْمَةُ والسرور وحسن الحال عمومًا ، أو هي : الحسد من نظرائه ؛ لفضله وتفوقه دونهم . (انظر : لسان العرب – غبط) .

(٥) في (ب) : « لِيَهْنِئُوا بَمَحَلِّهِمْ مِنَ الْعِلْمِ ، وتَنْمِي أحوالهم عند الرؤساء » و(تنمي) بمعنى ترتفع وتعلو . (انظر : لسان العرب – نمى) .

(٦) الغابر : الماضي أو الباقي (فهو من الأضداد) ، والمراد هنا : الباقي فيما يُسْتَقْبَلُ من الزمن . (انظر : المصباح المنير – غبر) .

(٧) في (ب) : « ونقلة الأخبار » .

وإني – لِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ من حُسْنِ رأيك ، ومَنَحَنِيهِ[1] من أفضالك ، والتَّقَلُّبِ في نَعْمَائِكَ – أحببتُ[2] وُقُوفَكَ على جُمَلٍ من كلامي في ضُرُوبٍ من العلم ، تَتَبَيَّنُ بها مَوْقِعِي من هذا العلم الذي أَنْتَحِلُهُ[3] وغَيْرِهِ من العلوم ، وقد رأيتُ أن أشرح رسالة الكِتَابِ الْمَوْسُومِ بـ « أَدَب الكُتَّابِ » لـ (ابن قُتَيْبَةَ)[4] ؛ لأنه ذَكَرَ فيها جُمَلًا من الآداب غريبةً[5] ، وأَعْرَضَ عن شرحها صَفْحًا[6] ، يَسُوغُ المقالُ[7] فيها ، ويَتَّسِعُ الكلامُ ، فَفَسَّرْتُ ما تَضَمَّنَتْهُ من اللغة باشتقاقه وتصاريفه ، ومن النحو بِعِلَلِهِ ومقاييسه ، وأوضحتُ ما أَوْمَأَ[8] إليه مِمَّا ذَكَرَ من حاجة الكُتَّابِ إليه من معرفة المصادر والأبنية ، وانقلاب الياء عن الواو ، والواو عن الياء ، والأَلِفِ عنهما ، وجُمَلًا من التصريف نافعةً مُنْقِعَةً لِمَنْ نَظَرَ فيها وتَأَمَّلَهَا بِعَيْنِ تَدَبُّرٍ واستبصار[9] .

وفَسَّرْتُ أخبار الرسول – ﷺ – التي ذكرها ولم يُفَسِّرْهَا ، وَوَصَلْتُ بها ما

---

(١) من المَنْح وهو الهِبَةُ والإعطاء بلا مقابل . والفعل هنا ناصِبٌ للمفعولين بنفسه : أحدهما ياء المتكلم ، والثاني هاء الغائب . ولك فيها الاتصال – كما هنا – والانفصال ، فيقال : مَنَحَنِي إِيَّاهُ .

(٢) جملة (أحببت) خبر إن ، وما بينهما اعتراض .

(٣) أي : أَنْتَسِبُ إليه ، وأَدَّعِي أنني من أهله . (انظر : لسان العرب – نحل) .

(٤) لم يذكر (ابن قتيبة) في (ب) .

(٥) في (ب) : « عَرَضًا » .

(٦) « صَفْحًا » إما مصدر ، من : صفح عنه ، إذا أعرض ، فيكون منصوبًا على أنه مفعول مطلق ، من معنى الفعل (أعرض) . وإما أن يكون اسمًا بمعنى الجانب ، من قولهم : نظر إليه بِصفح وجهه ، فيكون منصوبًا على الظرفية ، ومعناه : أَعْرَضَ عن شرحها جانبًا .

(٧) في (ب) : « يَسُوغُ فيها المقال » ، ومعنى (يسُوغُ المقال) : يَسْهُلُ ويُقْبَلُ من قائله ويفيد . وأصله : من : ساغ الطعامُ ، أي سهل مدخله في الحلق . (انظر : المصباح المنير – سوغ) .

(٨) في (ب) : « وشرحت ما أَوْمَىٰ إليه » ، و (أَوْمَىٰ) لغة في أَوْمَأَ ، والإيماء : الإشارة بالأعضاء ، كالرأس واليد والعين والحاجب . والمراد هنا : الإشارة ببعض اللفظ .

(٩) قوله : « ناقعة منقعة .. واستبصار » . ساقط من (ب) . وقوله : « مُنْقِعَة » مأخوذ من : أَنْقَعَنِي الماءُ ، أي : أَرْوَانِي وسَكَّنَ عطشي . وفي المثل : (الرَّشْفُ أَنْقَعُ) ، أي : الشراب الذي يترشف قليلًا أَقْطَعُ للعطش ، وإن كان فيه بُطْء . والمقصود هنا : أنَّ جُمَلَ التصريف هذه تكفي مَنْ يُحَصِّلُهَا عن طلب غيرها . (انظر : لسان العرب – نقع) .

جَانَسَهَا[1] ، وذكرتُ مَعَانِيَ الكلام الذي حكاه عن الـمَنْطِقِيِّينَ والهَنْدَسِيِّين ، وجُمَلًا من الـمساحة تكفي مَنْ نَظَرَهَا عَمَّا سِوَاهَا[2] ، وجعلت جميع ذلك مُوجَزًا غَايَةَ الإيجاز ، لِيقِلَّ حَشْوُهُ ، وتَكْثُرَ فائدتُه ، ولم أُخْلِ كُلَّ فصل منه من تضمينه خَبَرًا طريفًا يشاكله ، وأبياتًا نادرةً ، أو بَيْتَ مَعْنًى ؛ ليكون هذا الكتاب – باحتوائه على ما ذكرتُ – لِلْمُتَطَلِّعِ[3] إلى معرفة هذه الأشياء أَخْصَرَ فائدةً ، وأَسْرَعَ نَفْعًا من الكِتَاب الـمقصود بالرسالة ، وبالله التوفيق .

قال ابن قتيبة : « أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ[4] ، وَالصَّلَاةِ عَلَىٰ رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهلِ زَمَانِنَا عن سَبِيلِ الْأَدَبِ نَاكِبِينَ ، وَمِنْ اسْمِهِ مُتَطَيِّرِينَ ، وَلِأَهْلِهِ هَاجِرِينَ » .

قال أبو القاسم[5] : (أَمَّا)[6] حرفٌ متضمنٌ معنى الجزاء ، ولا بُدَّ لَهُ من جوابٍ بالفاء ؛ لتضمنه معنى الجزاء ، كقولك : أَمَّا زَيْدٌ فَكَرِيمٌ ، وَأَمَّا عبد الله فمنطلقٌ . يرتفع مابعد « أَمَّا » بالابتداء ، وهو مُقَدَّمٌ[7] مِمَّا بَعْدَ الفاء ، قال سِيبَوَيْهِ[8] : تقديره : مهما يَكُنْ من شيءٍ فَعَبْدُ الله مُنْطَلِقٌ . فالاسم الذي يَلي

---

(1) أي : ما شاكلها وشابهها . وكان الأصمعي يَدْفَعُ قَوْلَ العامة : هذا مُجَانِسٌ لهذا ، إذا كان من شكله ، ويَرَىٰ أنه ليس بعربي صحيح ، إنما هو مُوَلَّدٌ ، وكان يقول : قَوْلُ الـمتكلمين : تَجَانَسَ الشيئان ، ليس بعربيّ أيضًا ، إنما هو تَوَسُّعٌ . (انظر : لسان العرب – جنس) .

(2) في (ب) : « من نظر فيها مما سواها » . والفعل (نظر) مما يُعَدَّى بنفسه وبالحرف ، وفي الـمصباح الـمنير (نظر) : « قال بعضهم : يتعدى إلى الـمبصرات بنفسه ، ويتعدى إلى الـمعاني بـ (في) » .

(3) في (ب) : « لمتطلع » .

(4) قوله : « والثناء عليه بما هو أهله » ساقط من الأصل ، وهو موجود في (ب) وفي مقدمة كتاب (أدب الكاتب) الـمطبوع .

(5) قوله : « قال أبو القاسم » مابين القوسين ساقط من الأصل .

(6) انظر تفصيلًا عن (أَمَّا) في كتاب (الجَنَىٰ الدَّاني في حروف الـمعاني) للمرادي ص ٤٨٢ ، وفي (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري ص ٧٩ .

(7) في الأصل : « وهو مُقَدَّر » .

(8) هو : إمام النحاة أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبر ، صاحب الكتاب الـمشهور في علم النحو ، توفي سنة ١٨٠هـ على الأرجح .

ونص عبارة سيبويه في كتابه [٤ / ٢٣٥ – هارون] : « وأَمَّا (أَمَّا) ففيها معنى الجزاء ، كأنه يقول : عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق ؛ أَلَا ترى أن الفاء لازمة لها أبدًا » .

(أَمَّا) مُقَدَّمٌ مِمَّا بعد الفاء ، ولا يجوز أن تَلِيَها إلَّا الأسماءُ ؛ لأنها نائبةٌ عن حرف الجزاء والْفِعْلِ الْمُجَازَىٰ به ، ولابُدَّ للفعل من فاعل ؛ فلذلك وَلِيَتْهَا الأسماءُ دون الأفعال .

فإن وقع بعد الفاء فِعْلٌ ناصبٌ ، عَمِلَ في الاسم الذي بعد (أَمَّا) فنصبه ، وزال الابتداء كما يزول في غير هذا الموضع بدخول العوامل ، فتقول : أَمَّا زَيْدًا فَلَقِيتُ ، وأمَّا عَبْدَ اللهِ فَأَكْرَمْتُ ، قال الله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾[1] .

وفي كلام العرب (أَمَّا) أخرى ، وهي مُرَكَّبَةٌ من حَرفين – من أَنْ ومَا – وذلك قولك : أَمَّا أَنْتَ مُنْطَلِقًا انْطَلَقْتُ مَعَكَ ، وأما أنت سائرًا سِرْتُ مَعَكَ ، قال سيبويه : تقديره : أن كنت سائرًا سرت مَعَكَ – بفتح الهمزة من أن ، أي : لِأَنْ كُنْتَ سائرًا سِرْتُ معك[2] . فموضع (أَنْ) نَصْبٌ – مفعولٌ مِن أَجْلِهِ – وَاخْتُزِلَتْ (كان) من اللفظ ، وأُضْمِرَتْ ، وزِيدَتْ (ما) عِوَضًا من حذف الفعل . ولا تكون (أَمَّا) هذه إلا مفتوحةً – كما ترى[3] – والخبر منصوبٌ – على ما شَرَحْتُ لك – وأنشد سيبويه :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذا نَفرٍ فَإِنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ[4]

– الضَّبُعُ : السَّنَةُ الشديدةُ الـمُجْدِبَةُ – .

---

(١) الآيتان [٩ ، ١٠] من سورة الضحى .

(٢) قوله : « قال سيبويه : تقديره ... معك » ساقط من (ب) ، والنقل عن سيبويه هنا نقل بالـمعنى ، انظر : كتاب سيبويه [١ / ٢٩٣ ، ٣ / ١٤٩ ، ٣٣٢ – هارون] .

(٣) زيادة من (ب) .

(٤) البيت من البسيط ، للعباس بن مِرْدَاس ، وهو في ديوانه برواية : (أمَّا كُنْتَ ذَا نَفرٍ) . و (أبو خُرَاشة) كُنْيَةُ خفاف بن نُدْبة ، و (النفر) رهط الرجل وجماعته ، ومعنى البيت : إن كنت عزيزًا كثير القوم فإني مثلك ، قومي موفورون لم تَطِحْ بهم السُّنون ، ولم يَنَلْ منهم الجَدْب .

انظر : ديوان العباس بن مرادس ١٢٨ ، كتاب سيبويه ١ / ٢٩٣ ، شرح الـمفصل لابن يعيش ٢ / ٩٩ ، الأمالي الشجرية ١ / ٣٤ ، ٢ / ٣٥٠ ، الجنى الداني ٤٨٦ .

قال[1] : ومِثْلُ لزومِ (ما) هاهنا عِوَضًا قولهم : إمَّا لَا ، أَلْزَمُوهَا (ما) عِوَضًا من الفعل ، كأنه قال : افْعَلْ كَذَا إنْ كُنْتَ لَا تَفْعَلُ غَيْرَهُ ، فوضع (إمَّالَا) موضعه .

وقال غير سيبويه[2] : وكَثُرَتْ في الكلام فجازت فيها الإمالةُ ، وقال سيبويه : إنْ أَظْهَرْتَ الفعلَ كَسَرْتَ (إمَّا) ولم يَجُزْ فتحها ، فقلت : إمَّا كُنْتَ منطلقًا انطلقتُ مَعَكَ ، ولا يجوز حذف الفعل مع المكسورة ، كما لا يجوز إظهاره مع المفتوحة[3] .

والْمُبَرِّدُ[4] يُجِيزُ إظهارَ الفعل مع المفتوحة ، فيقول : أَنْ كُنْتَ مُنْطَلِقًا انطلقتُ مَعَكَ ، وإن شئت أدخلت (ما) زائدةً ، فيجوز معها كما كان يجوز قبل دخولها ، فتقول : أَمَّا كُنْتَ منطلقًا انطلقتُ معك .

والقول ما قَالَهُ سِيبَوَيْهِ ؛ لأن هذا الكلامَ كلامٌ جَرَى كالمثل ، والأمثالُ قد تخرج عن القياس ، فَتُحْكَي كما سُمِعَتْ ، ولا يَطَّرِدُ فيها القياسُ فَتَخْرُجَ عن طريقة الأمثال .

فهذا حكم (أمَّا في الوجهين ، وليس لها ثالثٌ في جميع كلام العرب . وَأَمَّا

---

(١) انظر : كتاب سيبويه [١ / ٢٩٤ - هارون] ، والنقل هنا مع تغيير اللفظ .

(٢) في الأصل : « وقال سيبويه » ، ولم ترد إمالة (إمَّا لَا) عن سيبويه .

(٣) انظر : كتاب سيبويه ١ / ٢٩٤ - بتغيير بعض اللفظ .

(٤) هو : أبو العباس محمد بن يزيد ، من أئمة النحاة البصريين ، ولد سنة ٢١٠هـ ، وتوفى سنة ٢٨٥هـ ، وله كتاب (المقتضب) في النحو مشهور .

وإجازة المبرِّد إظهارَ الفعل مع المفتوحة - كما قال الزجاجي هنا - غير واردة عنه في (المقتضب) بل هو نَقْلٌ عن غيره . قال عن (أمَّا) المفتوحة [٣ / ٢٧] : « ألا ترى أنك تقول : أمَّا زيدًا فاضْرِبْ ، فإن قدمت الفعل لم يَجُزْ ؛ لأن أمَّا في معنى : مهما يكن من شيء ، فهذا لا يَتَّصِلُ به فعْلٌ ، وإنما حَدُّ الفعل أن يكون بعد الفاء ، ولكنك تقدم الاسم لِيَسُدَّ مَسَدَّ المحذوف الذي هذا معناه ، ويعمل فيه مابعده » . ثم قال : « ومن رأى أن يقول : زَيْدًا ضربته ، نصب بهذا ، فقال : أما زيدًا فاضربه » اهـ .

وانظر تعليق الشيخ عضيمة على ذلك فى الهامش .

(إمَّا) الـمكسورةُ ، فلها في كلام العرب ثلاثةُ مواضعَ[1] : تكون شَكًّا ، وتَخْيِيرًا ، وجَزَاءً .

فَالشَّكُّ (قَوْلُكَ)[2] : قام إمَّا زيد وإمَّا عَمْرٌو ، ولَقِيتُ إمَّا زيدًا وإمَّا عَمْرًا ، فخرج هذا الكلام على ضربين[3] : أحدهما أن يكون الـمتكلم شَاكًّا ، والآخَرُ أن يكون الـمتكلم مُتَيَقِّنًا ولكنه لم يُحِبَّ أَنَّ يُبَيِّنَ حقيقة ماعنده للمخاطب . وإنما يقع[4] مِثْلُ هذا جوابًا لسائل سأل آخَرَ فقال : مَنْ قَصَدَكَ ؟ أَزَيْدٌ أم عَمْرٌو ؟ فلم يُحِبَّ أَنْ يُبَيِّنَ له ذلك[5] فقال : قَصَدَنِي إمَّا زَيْدٌ وإمَّا عَمْرٌو ؛ لِيُشَكِّكَهُ ، وذلك جائزٌ في الكلام سائغٌ[6] ، أَنْشَدَنِي أبوالحسن عَلِيُّ بْنُ سليمانَ الأَخْفَشُ[7] ، قال : أنشدنِي الـمبرد :

تَزَوَّدْ ؛ فَإِمَّا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِئٍ عُمَيْرًا ، وَإِمَّا أَن تَزُورَ الْمُهَلَّبَا[8]
هُمَا خُطَّتَا خَسْفٍ ، نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رُكُوبُكَ حَوْلِيًّا مِنَ الثَّلْجِ أَشْهَبَا

---

(١) زاد بعضهم على هذه الثلاثة مَعْنًى رابعًا هو (الإباحة) ، كقولك : جَالِسْ إمَّا الْحَسَنَ وإمَّا ابْنَ سِيرِينَ ، ومَعْنًى خامسًا هو (التفصيل) ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ، إمَّا شَاكِرًا وَإمّا كَفُورًا ﴾ [الآية ٣ من سورة الإنسان] . ومَعْنًى سادسًا هو (إيجاب أحد الشيئين في وقت دون وقت) نحو قولك للشجاع : إنما أنت إمَّا طَعْنٌ وإما ضَرْبٌ . [انظر : الجنى الداني ٤٨٨] .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) في (ب) : « على معنيين » .

(٤) في (ب) : « يقوم » .

(٥) في (ب) : « فلم يحب تبيين ذلك له » .

(٦) « سائغ » ساقط من (ب) .

(٧) هو : أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدَةَ الأخفش الأوسط ، من النحاة البصريين ، وإن كانت أغلب آرائه توافق مذهب الكوفيين ، توفي سنة ٢١٥هـ .

(٨) البيتان من الطويل ، من شعر عبد الله بن زَبِير الأَسَدِيّ . ويروي (تَجَهَّزْ) بمعنى : أَعِدَّ جهازك للخروج في البعث . و (تَزَوَّد) بمعنى : أَعِدَّ لك زادًا يُقِيمُ حياتك . و (خُطَّتَا خَسْف) : أمران فيهما الهوان والبلاء والـموت . يقول : استعدَّ للابتعاث والسفر إلى حيث تهلك ، إما من زيارة هَذَيْنِ ، وإما من الاعتصام بذروة جبل شامخ يلبسه الثلج الأشهب حولا كاملًا ، فأين الـمفرُّ ؟ . [انظر : طبقات فحول الشعراء ١ / ١٧٦] .

كأنه قال : إنك تَزُورُ أَحَدَ هَذَيْنِ ، وَلَمْ يَدْرِ أَيُّهُمَا الـمَزُورُ بِعَيْنِهِ . ومَحَلُّ (إمَّا) في قولك : قام إما زيد وإما عمرو - مَحَلُّ (أَوْ) في قولك : قام زَيْدٌ أو عمرو - في الشك والتخيير - والإباحة سواء[1] ، إلا أنك إذا قلت : جاءني زَيْدٌ أو عمرو ، فجائزٌ أن تكون ابْتَدَأْتَ مُتَيَقِّنًا ثم أَدْرَكَكَ الشَّكُّ ، فَقُلْتَ : أَوْ عَمْرٌو ، فصار فيه وفي زَيْدٍ الشَّكُّ . وإذا قلت : قام إمَّا زيد وإمَّا عمرو ، فإنما بَنَيْتَ كَلَامَكَ على الشَّكِّ من أَوَّلِهِ ، فهذا فَرْقُ ما بَيْنَهُمَا[2] .

وَاعْلَمْ أن (إمَّا) في قولك : قام إمَّا زيد وإمَّا عمرو - ليست بحرف عطف ، وإنما يقال للمتعلمين : هي حرف عطف مَجَازًا ، والدليل على أنها ليست بحرف عطف تَقْدِيمُهَا على الاسم[3] في قولك : قام إمَّا زَيْدٌ وإمَّا عمرو ، فقد بَدَأْتَ بها قَبْلَ زيد ، وحرف العطف لا يتقدم على الاسم الـمعطوف عليه .

ودليلٌ آخر : أنك قد جَمَعْتَ بينها وبين الواو ، ولا يجوز الجمع بين حَرْفَيْ عطفٍ ، فهذا بَيِّنٌ واضحٌ .

فإن قال قائل : فَقَدْ تقول : ماقام زَيْدٌ ولا عمرو ، فتجمع بين (لا) والواو - وهما حَرْفَا عطفٍ - قِيلَ له : هذا هو الدليل على صحة ما قُلْنَا ؛ لأن (لا) في هذه الـمسألة ليست بحرف عطف بإجماعٍ من النحويين ، وإنما الوَاوُ حَرْفُ العطف ، و (لا) لتوكيد النفي ، وكذلك الواو في قولك : قام إمَّا زيد وإمَّا عمرو - الواو حرف عطف ، و (إمَّا) لِلشَّكِّ .

ولأصحابنا[4] سؤالٌ في هذه الـمسألة[5] ، وهو أنهم قالوا : إذا قال القائل : قام إمَّا زيد وإمَّا عمرو - كَيْفَ تُخْبِرُ عنك وعن عمرو ، فَتَجْعَلُ اسْمَكَ[6] مَكَانَ زَيْدٍ ؟ .

---

(١) قوله : « في الشك ... سواء » غير موجود في (ب) .

(٢) انظر هذا الفرق - مع فرقين آخرين - في [الجنى الداني ٤٨٩] .

(٣) قوله : « وإنما يقال ... على الاسم » غير موجود في (ب) .

(٤) يريد بهم (البصريين) .

(٥) في (ب) : « في هذه الـمسألة سؤال » .

(٦) في الأصل : « عنه ... اسمه » ، وما أثبته من (ب) هو الـموافق للسياق .

فالجوابُ في ذلك أن تقول : قام إمَّا أنا وإمَّا عمرو[1] ، وإن أُخْبَرْتَ عن زَيْدٍ قلت : قام إمَّا هو وَإمَّا عَمْروٌ[2] ؛ لأن (إمَّا) فَصَلَتْ بين المضمر والفعل ، فلم يُمْكِنْ أن تجيء بالمضمر المتصل ، فجئت بالمنفصل ، وكذلك كُلُّ موضع لا تَقْدِرُ فيه على المضمر المتصل تجيء[3] فيه بالمنفصل ؛ ألا ترى أن الْفَرَزْدَقَ قد قال :

أَنَا الضَّامِنُ الْحَامِي الذِّمَارَ ، وَإِنَّمَا ... يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي[4]

وقال الْمَرَّارُ بْنُ مُنْقِذٍ الأَسَدِيّ[5] :

لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمُ حَيًّا فَأَذْكُرَهُمْ ... إِلَّا يَزِيدُهُمُ حُبًّا إِلَيَّ هُـمُ[6]

وقال الآخر :

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَىٰ وَجَارَاتُهَا ... مَاقَطَّـرَ الْفَـارِسَ إِلَّا أَنَـا[7]

خَرَقْتُ بِالسَّيْفِ سَرَاوِيلَـهُ ... وَالْخَيْلُ تجْرِي عُصَبًا بَيْنَنَا

فهذا موقع (إمَّا) في الشك .

---

(1) في الأصل : « إما زيد عمرو » .

(2) قوله : « وإن أخبرت ... وإما عمرو » غير موجود في (ب) ، وفي الأصل : « وإما عمرو وزيد » ، ولا وجه له .

(3) في (ب) : « جئت » .

(4) البيت من الطويل ، ويروى : (أنا الدافع ..) ، و (الأحساب) : مفاخر الآباء والأجداد . و (الذِّمَار) : كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفع عنه .
والمعنى : أنا الكفيل بحماية قومي ، وليس من أحد غيري يستطيع أن يدافع عنهم .
انظر : ديوانه ٢ / ٧ ، المحتسب لابن جني ٢ / ١٩٥ .

(5) « الأسدي » غير موجود في (ب) .

(6) البيت من البسيط ، من شعر المرار - كما ذكر - وينسب إلى زياد بن حَمَل ، أو زياد بن منقذ .
انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦٧٩ ، شرح المفصل لابن يعيش ٧ / ٢٦ .

(7) البيتان من السريع ، من شعر عمرو بن معد يكرب ، وينسبان إلى الفرزدق - وليسا فى ديوانه و (سراويله) : جمع سِرْوَال - وهو الثوب - و (قَطَّرَهُ) : صرعه على أحد قُطْرَيْه ، أي : جانبيه ، و(زِيَما) : جمع زِيمَة ، وهي المجموعة أقلّها اثنان وأكثرها خمسة عشر .
انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٣ / ١٠١ ، ١٠٣ ، كتاب سيبويه ٢ / ٣٥٣ ، لسان العرب (قطر) .

وكَوْنُها تخْيِيرًا قولك : اضرب إِمَّا زَيْدًا وَإِمَّا عَمْرًا ، واشْرَبْ إِمَّا العسلَ وإِمَّا الماءَ - إذا خَيَّرْتَهُ - فتقديره : اخْتَرْ أَحَدَ هَذَيْنِ ، وأنشد لِلْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ[1] :

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِصِدْقٍ ... فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِينِي[2]
وَإِلَّا فَاطَّرِحْنِي ، وَاتَّخِذْنِي ... عَدُوًّا ، أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي

وَ (إِمَّا) في هذين الوجهين - أَعْنِي في الشك والتخيير - حَرْفٌ واحدٌ .

وأَمَّا (إِمَّا) في الجزاء فهي مركبة من : إِنْ التي للجزاء ، و (ما) ، فهي في التقدير حرفان ، كقولك : إِمَّا تُكْرِمْنِي أُكْرِمْكَ ، التقدير : إِنْ تُكْرِمْني أُكْرِمْكَ ، و (ما) زائدة ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾[3] .

* * *

وقوله : « بَعْدَ حَمْدِ اللهِ ، وَالثَّناءِ عَلَيْهِ » .

(بَعْدُ) منصوبٌ ؛ لأنه ظرفُ زمان مضافٌ إلى الحمد . و (قَبْلُ وبَعْدُ)[4] إذا أُضِيفَتَا أُعْرِبَتَا ، كقولك : جِئْتُ قَبْلَكَ وبَعْدَكَ ، ومِنْ قَبْلِكَ وَمِنْ بَعْدِكَ . فإذا أُفْرِدَتَا بُنِيَتَا على الضَّمِّ ، كقولك : جِئْتُ مْنِ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنُ بَعْدُ ﴾[5] ولو قال ابن قتيبة[6] : أَمَّا بَعْدُ فالحمدُ لله -

---

(١) « العبدي » ساقط من الأصل .
(٢) البيتان من الوافر ، انظر : ديوانه ٤٢ ، الأمالي الشجرية ٢ / ٣٤٤ ، المقرب لابن عصفور ٢٥٤ .
(٣) الآية ٢٦ من سورة مريم .
(٤) [قَبْلُ وَبَعْدُ] لهما أربع حالات ، يُعْرَبَانِ في ثلاثة منها ، ويُبْنَيَانِ في واحدة . فيعربان فيما :
١ - إذا ذُكِرَ المضافُ إليه معهما .
٢ - أو إذا قُطِعَا عن الإضافة لفظًا ومَعْنًى .
٣ - أو إذا حذف المضاف إليه ونوي لفظه .
ويبنيان فيما إذا حذف المضاف إليه ونوي معناه .
[انظر تفصيلًا في : همع الهوامع للسيوطي ٣ / ١٩١] .
(٥) الآية ٤ من سورة الروم .
(٦) « ابن قتيبة » ساقط من الأصل .

لَبُنِيَ على الضم ، ولَمْ يُعْرَبْ .

وإنما وجب بناء (قَبْلُ وَبَعْدُ) في الإفراد - على الضم ؛ لأن (قَبْلُ وبَعْدُ) لا يُعْقَلُ معناهما إلا بما يضافان إليه ، فلما أُفْرِدَتَا وَدَلَّتَا[1] - مفردتين - على ما كانتا تَدُلَّانِ عليه مضافتين ؛ لأنهما لا تفردان من الإضافة إلا من بعد أن يَعْلَمَ المخاطبُ المضافَ إليه - بُنِيَتَا[2] لخروجهما عن بابهما ومُفَارَقَتِهِمَا طَرِيقَهُمَا .

وعُدِلَ بهما إلى الضم دون الفتح والكسر ؛ لأن الفتح والكسر قد يَلْحَقَانِهِمَا في حال الإضافة والإعراب[3] في قولك : جئت قَبْلَكَ وبَعْدَكَ ، ومِنْ قَبْلِكَ ومِنْ بَعْدِكَ . فلما وجب لهما البناءُ بُنِيَا على حركةٍ لا تلحقهما في حال الإعراب ؛ لِيُعْلَمَ أنها حركةُ بِنَاءٍ ، لا حركةُ إعراب . وهذا نظير المُنَادَى المفردِ حين بُنِيَ على الضم ؛ لِيُعْدَلَ به إلى حركةٍ لا تلحقه في حال الإضافة .

فإن نَكَّرْتَ (قَبْلُ وَبَعْدُ) أَعْرَبْتَهُمَا ؛ لأنه قد زالت العِلَّةُ التي من أجلها بُنِيَتَا ؛ لأنهما إذا نُكِّرَتَا لم يَدُلَّا على المضاف إليه المحذوف ؛ لتنكيرهما ، فتقول : جئت قَبْلًا وبَعْدًا[4] ، ومِنْ قَبْلٍ ومِنْ بَعْدٍ . وقد قَرَأَ بَعْضُ القُرَّاءِ : ﴿ لِلهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ ﴾[5] على ما ذكرتُ لك ، فهذا مذهب البصريين أجمعين .

وقال الفَرَّاءُ[6] : (قَبْلُ وَبَعْدُ) إذا أُفْرِدَتَا ضُمَّتَا ؛ لِتَضَمُّنِ كُلٍّ واحدٍ معناه في ذاته ومعنى المحذوف بعده ؛ لأن التقدير : قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ . فحين تَضَمَّنَتْ مَعْنَيَيْنِ قَوِيَتْ ، فَأُلْزِمَتْ أَثْقَلَ الحركات لِقُوَّتِهَا ، ولم تُنَوَّنْ ؛

---

(1) في (ب) : « دَلَّتَا » من غير الواو .

(2) في (ب) : « لأنهما بُنِيَتَا » .

(3) في (ب) : « والأغلب » .

(4) « وبعدا » غير موجود في (ب) .

(5) الآية ٤ من سورة الروم . والقراءة بتنوين (قبل وبعد) هي قراءة أبي السَّمَّال والجحدري وعَوْن العقيلي [انظر : البحر المحيط لأبي حيان ٧ / ١٦٢] .

(6) هو المؤسس الحقُّ للمذهب الكوفي في النحو ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله ، صاحب (معاني القرآن) ، ولد سنة ١٤٤هـ ، وتوفى سنة ٢٠٧هـ .

وانظر رأيه هذا في (معاني القرآن للفراء ٢ / ٣١٩) ، و (شرح عيون الإعراب للمجاشعي - بتحقيقي - ١٩٥) ، وانظر آراء أخرى لعلة البناء في : (همع الهوامع للسيوطي ٣ / ١٩١ وما بعدها) .

لِمَا يُنْوَى[1] فِيهَا من الإضافة التي لا يَثْبُتُ معها تنوينٌ . ولهذه العِلَّةِ أيْضًا ضَمُّوا (حَيْثُ) في كل حال ؛ لتضمنها معنى مَحَلَّيْنِ ؛ لأن معنى قولك : زَيْدٌ حَيْثُ عَمْرٌو : زَيْدٌ في مكانٍ فيه عمرو ، فَرَفَعَتْ (حَيْثُ) الاسمين ؛ لنيابتها عن مَحَلَّيْنِ ، كُلُّ واحدٍ منهما يرفع اسْمًا واحدًا على انفراده ، وأُلْزِمَتْ الضمةُ – وهي أثقلُ الحركات – لما فيها من القوة .

ولهذه العِلَةِ بُنِيَتْ (مُنْذُ) على الضم ؛ لأن معنى قولك : ما رأيته مُنْذُ يومين : ما رأيته مِنْ أَوَّلِ اليومين إلى آخرهما، فقامت (مُنْذُ) مَقَامَ حرفين – وهما مِنْ وإلَى – فَقَوِيَتْ فَضُمَّتْ .

قال : ولهذه العِلَّةِ أَيْضًا قالوا : ما كَلَّمْتُه قَطُّ[2] ، فَضَمُّوا الطاءَ ؛ لأن المعنى : ما كلمته مِنْ أَوَّلِ دَهْرِي إلى هذا الوقت ، فنابت (قَطُّ) عن (مِنْ وإلى) .

وكذلك أيضًا[3] بُنِيَتْ (نَحْنُ) على الضم ؛ لتضمنها معنى التثنية والجمع ، وهذا كُلُّهُ قول الفَرَّاء ، ولولا كَرَاهِيَةُ التطويل لَبَيَّنْتُ مايلزمه في فَصْلٍ فَصْلٍ من هذا ، ومِنْ أَيْنَ أخذه ، وكيف وَلَّدَهُ ، لأنه كُلَّهُ مأخوذٌ من معاني كلام[4] سيبويه[5] .

قال الفراء : فإن نُكِّرَتْ (قَبْلُ وبَعْدُ) نُوِّنَتَا[6] ، قال : أنشدني الْكِسَائِيُّ :

---

(١) في الأصل : « لما هو » .

(٢) في (ب) : « ما رأيته قَطُّ » .

(٣) « أيضًا » ساقط من الأصل .

(٤) في (ب) : « قول سيبويه » .

(٥) انظر كلام سيبويه عن (قَبْلُ وبَعْدُ) في كتابه [٢ / ١٩٩ ، ٣ / ١٤٠ ، ٣ / ٢٨٥ ، ٤ / ٢٣٢ – هارون] .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٢٠ .

فَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا ... أَكَادُ أَغَصُّ بِالْمَاءِ الْمَعِيـنِ[1]

وأنشدني أيضًا :

مَامِنْ أُنَاسٍ بَيْنَ مِصْرَ وَعَالِجٍ ... وَأَبْيَنَ إِلَّا قَدْ تَرَكْنَاهُمُ وِتْرَا[2]

وَنَحْنُ قَتَلْنَا الْأَسْدَ أَسْدَ شَنُوءَةٍ ... فَمَا شَرِبُوا بَعْدًا عَلَى لَذَّةٍ خَمْرَا

وقال آخر :

هَتَكْتُ بِهِ بُيُوتَ بَنِي عُبَادٍ ... عَلَى مَا كَانَ قَبْلًا مِنْ عَتَابِ[3]

قال الفراء : وهذا التنوين نظير تنوين المنادى[4] المفرد إذا لحقه التنوين في الشعر ضرورةً ، كما قال :

قَدِّمُوا إِذْ قِيلَ : قَيْسٌ ، قَدِّمُوا ... وَارْفَعُوا الْمَجْدَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلْ[5]

أراد : يا قَيْسُ ، فَنَوَّنَ ضرورةً ، قال : والأَجْوَدُ النصبُ ، كما قال الآخر :

---

(١) البيت من الوافر ، من شعر عبد الله بن يَعْرُبَ ، أو يزيد بن الصعق . ويروى (بالماء الحميم) كما يروى (بالماء الفُرَاتِ) بَدَلًا من (بالماء المَعِين) . ورجح الشيخ محيي الدين في (أوضح المسالك) أن الصحيح رواية (الحميم) ، وذكر أبياتًا ليزيد بن الصعق من هذه القصيدة الميمية . والماء (المعين) هو : العذب الغزير . و (الحميم) هو : البارد ، وقد يطلق على الماء الحارّ – فهو من الأضداد . و (الفرات) : العذب . وعلى ذلك فمعاني هذه القوافي كلها واحدة .

انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٢٠ ، أوضح المسالك ٣ / ١٥٦ ، خزانة الأدب ٦ / ٥٠٥ .

(٢) البيتان من الطويل ، من شعر بعض بني عقيل غَيْرَ مُعَيَّن ، وفي النسخة (ب) ورد (تركنا لهم) بَدَلًا من (تركناهم) .

و (أزد شَنُوءَة) : حَيٌّ من اليمن ، أبوهم هو الأَزْد بن غَوْثٍ . و (عالج) : موضع بالبادية . و (أَبْيَن) : موضع باليمن . و (الوِتْر) : الجناية التي يجنيها الرجل على غيره : من قتل أو نهب أو سَبْي .

انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٢١ ، أوضح المسالك ٢ / ١٥٨ ، همع الهوامع ٣ / ١٩٢ ، خزانة الأدب ٦ / ٥٠١ .

(٣) البيت من الوافر .

انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٢١ ، خزانة الأدب ٦ / ٥٠٦ .

(٤) في (ب) : « نظير التنوين في النداء » .

(٥) البيت من الرمل ، من شعر لبيد بن ربيعة .

انظر : ديوانه ١٩٢ ، خزانة الأدب ٦ / ٥٠٦ ، معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٢١ .

فَطِرْ خَالِدًا إِنْ كُنْتَ تَسْطِيعُ طَيْرَةً وَلَا تَقَعَنْ إِلَّا وَقَلْبُكَ طَائِـرُ[1]

قال أبو إسحاق[2] : وهذا الذي اختاره الفراء من نصب المنادى المفرد في ضرورة الشعر هو مذهب أبي عمرو بن العلاء وأصحابه ، والمذهبُ الأَوَّلُ – وهو رفعه مُنَوَّنًا – مذهبُ الخليل[3] وسيبويه وأصحابهما ، وذلك أن أبا عمرو ابن العلاء[4] قال : المنادى المفرد إذا اضْطُرَّ الشاعر إلى تنوينه فَسَبِيلُهُ أن ينصبه ، لأنه في موضع نصب ، وإنما بُنِيَ على الضم لمضارعته المضمرَ ، فإذا نُوِّنَ فَقَدْ زال عن البناء ، وَسَبِيلُهُ أن يرجع إلى أصله . وقال الخليل : سَبِيلُهُ أن يُتْرَكَ مضمومًا ويُنَوَّنَ ، وشَبَّهَهُ بالاسم الذي لا ينصرف إذا نُوِّنَ في ضرورة الشعر .

ومذهب أبي عمرو أَقْيَسُ ، ولولا كَرَاهَةُ الإطالة لَذَكَرْتُ ما يَعْتَلُّ به الفريقان ، وأنشد البصريون قول الأَحْوَص :

سَلَامُ اللهِ يَا مَطَرٌ عَلَيْهَـا وَلَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ[5]
فَإِنْ يَكُنِ النِّكَاحُ أَحَلَّ شَيْئًا فَإِنَّ نِكَاحَهَا مَطَرًا حَـرَامُ
فَطَلِّقْهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكُـفْءٍ وَإِلَّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ الْـحُسَامُ

فالخليلُ وأصحابُه يَرْوُونَهُ : (يَا مَطَرٌ) بالرفع والتنوين – على ما ذَكَرْتُ لك . وأبو عمرو وأصحابُه يَرْوُونَهُ : (يَا مَطَرًا) بالنصب – قال سيبويه : وكُلُّ العرب يُنْشِدُونَ :

يَا عَدِيًّا لِقَلْبِكَ الْمُهْتَاجِ[6]

---

(١) البيت من الطويل ، لم ينسب إلى قائل ، وفي مراجع البيت (حاذر) بدلا من (طائر) .
انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢١ ، خزانة الأدب ٦ / ٥٠٦ .

(٢) « قال أبو إسحاق » غير موجود في (ب) ، والكلام الآتي بَعْدُ ، نَقَلَهُ البغدادي عن الزجاجي بمعظم ألفاظه ، من نسخة بخط الزجاجي نفسه ، في شرح خطبة أدب الكاتب ، لابن قتيبة .
انظر : خزانة الأدب ٦ / ٥٠٧ وما بعدها .

(٣) هو إمام النحاة عامة ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، توفى سنة ١٧٥هـ على الأصح .

(٤) هو : زبان بن العلاء المازني ، من القراء النحاة ، توفى سنة ١٥٤هـ .

(٥) الأبيات من الوافر .
انظر : ديوانه ١٨٩ ، سيبويه ٢ / ٢٠٢ ، مغني اللبيب ٨٨١ .

(٦) عجز بيت من الخفيف ، و لم أعرف له قائلا ، ولا تتمة .
انظر : خزانة الأدب ٦ / ٥٠٨ .

بالنصب .

ويقال من (الحمد) : حَمِدْتُ الرجل أَحْمَدُهُ حَمْدًا ومَحْمَدَةً ، و (الحمد) أَعَمُّ من (الشكر) ؛ لأن الشكر مُقَابَلَةٌ على فِعْلٍ ، تقول : شكرت الرجل على معروفه وإحسانه ، ولا تقول : شكرته على شجاعته[1] .

والحمد : الثناء عليه ؛ لـمعروف[2] أَوْلَاكَهُ[3] أَوْ لِفَضْلٍ فيه . وقد يقال : حَمِدْتُ الرجلَ لشجاعته ، فالحمد قد يقع موقع الشكر ، ولا يقع الشكر موقع الحمد .

ويقال : أَحْمَدْتُ الرجلَ إذا أَصَبْتَهُ[4] محمودًا ، كما يقال : أَجْبَنْتُهُ : إذا أَصَبْتَهُ جَبَانًا ، وأَبْخَلْتُهُ : إذا أَصَبْتَهُ بَخِيلًا ، وأَشْجَعْتُهُ : إذا أَصَبْتَهُ شُجَاعًا[5] .

ويُرْوَىٰ أن عَمْرَو بْنَ مَعْدِ يكَرِبٍ قال لقوم من العرب : وَاللهِ لقد قاتلناكم فما أَجْبَنَّاكُمْ ، وشَاعَرْناكُمْ فَمَا أَفْحَمْنَاكُمْ ، وسَأَلْنَاكُمْ فَمَا أَبْخَلْنَاكُمْ[6] ، أي : ما وجدناكم كذلك : وأنشدني الأخفش ، عَلِيُّ بْنُ سليمانَ ، قال : أنشدني الـمبرِّد – والشعر لِعُتَيِّ بْنِ مالكٍ الْعُقَيْلِيِّ :

---

(١) في كتاب (الفروق اللغوية) لأبي هلال العسكري (ص ٣٥) أن الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم ، والحمد هو الذكر بالجميل على جهة التعظيم الـمذكور به أيضا . ويصح على النعمة وغير النعمة ، والشكر لا يصح إلا على النعمة . ويجوز أن يحمد الإنسان نفسه في أمور جميلة يأتيها ، ولا يجوز أن يشكرها ؛ لأن الشكر يجري مجرى قضاء الدين ، ولا يجوز أن يكون للإنسان على نفسه دين . اهـ . وانظر : الدر المصون للمين الحلبي ١/ ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) في (ب) : « بمعروف » .

(٣) أي : قَدَّمَهُ إليك عن رِضًا . (انظر : لسان العرب – ولى) .

(٤) في (ب) : « وجدته » .

(٥) فالهمزة قد زِيدَتْ في أَوَّل كُلٍّ من هذه الأفعال الثلاثة لغرضٍ خاص فوق معنى الفعل هو : مصادفة مفعول الفعل (أَفْعَلَ) على الصفة الـمفهومة من أصل معنى الفعل .

(٦) انظر هذا القول في شرح الشافية للإستراباذي ، بتحقيق الشيخ محيي الدين ١ / ٩١ .

أَتَيْتُ مَعَ الْحُدَّاثِ لَيْلَى فَلَمْ أُبِنْ ... فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَعْجَمْتُ عِنْدَ خَلَائِي[1]

فَقُمْتُ ، فَلَمْ أَصْبِرْ ، فَعُدْتُ فَلَمْ أُطِقْ ... كَلَامًا ، كِلَا الْيَوْمَيْنِ يَوْمُ بَلَاءِ

فَيَا عَجَبًا ! مَا أَشْبَهَ الْيَأْسَ بِالرَّجَا ... وَإِنْ لَّمْ يَكُونَا عِنْدَنَا بِسَوَاءِ

قوله : فَأَخْلَيْتُ : وَجدتُّهَا خَالِيَةً .

وَنَظِيرُ هذا الذي ذكره من حَيْرَتِهِ عند نظره إليها قَوْلُ أبي صَخْرٍ الْهُذَلِيّ :

وَإِنِّي لَآتِيهَا ، أُرِيدُ عِتَابَهَا ... وَأُوعِدُهَا بِالْهَجْرِ ، مَا بَرَقَ الْفَجْرُ[2]

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً ... فَأُبْهَتَ : لَا عُرْفٌ لَدَيَّ وَلَا نُكْرُ

وَأَنْسَى الَّذِي فِيهِ أَكُونُ هَجَرْتُهَا ... كَذَاكَ تُنَسِّي لُبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ

فَلَا أَتَلَافَى عَثْرَتِي بِعَزِيمَةٍ ... مِنَ الْأَمْرِ ، حَتَّى تَحْضَرَ الْأَعْيُنُ الْخُضْرُ

وقول آخر :

بَلِيغٌ إِذَا يَشْكُو إِلَى غَيْرِهَا الْهَوَى ... وَإِنْ هُوَ لَاقَاهَا فَغَيْرُ بَلِيغِ[3]

---

(١) الأبيات من الطويل ، وقد نسبها أبو تمام في (الوحشيات) إلى المجنون ، ولكنها ليست في ديوانه .

و (الحُدَّاث) : جماعة المتحدثين في المجلس ونحوه ، وهو جَمْعٌ نظير : سامر وسُمَّار . وفي (ب) الجَدَّات : جمع جَدَّة ، وهي أم الأم أو أم الأب . و (لم أُبِنْ) : لم أُفْصِحْ عن مرادي . و (أَخْلَيْتُ) : وجدتها خالية . و (استعجمت) صِرْتُ كالعجم لا يَفْهَمُ عني أحد .

ويروي البيت الأول : (فلم أقل) .

ويروي البيت الثاني :

وجئت فلم أنطق وَعُدْتُ فلم أُطِقْ ... جوابًا ، كِلَا يَوْمَيَّ يَوْمُ عَيَاءِ

ويروي البيت الثالث : (بالمنى) بَدَلًا من : (بالرجا) .

انظر : الوحشيات (الحماسة الصغرى) لأبي تمام ٣٠٠ ، شرح ديوان المتنبي للواحدي ١ / ٥٥١ .

(٢) الأبيات من الطويل ، وقد ذكرها أبو علي القالي في أماليه مع أبيات أخرى . ويروي البيت الأول :

لَقَدْ كنتُ آتِيهَا وفي النفس هَجْرُهَا ... بَتَاتًا لِأُخْرَى الدَّهْرِ ، مَاطَلَعَ الْفَجْرُ

انظر : الأمالي للقالي ١ / ١٨٦ .

(٣) البيتان من الطويل ، ولم أعثر لهما على قائل ، أو مرجع آخر .

كَأَنَّكَ ظَمْآنٌ يُطَالِبُ مَوْرِدًا فَإِنْ نَالَ رِيًّا كَانَ غَيْرَ مُسِيغِ

* * *

وأَمّا قوله : « وَالصَّلَاةُ عَلَىٰ رُسُولِهِ الْمُصْطَفَىٰ وآله » فَأَصْلُ . (الصلاة) الدعاء ، وسُمِّيَ مَا تَعَبَّدَنَا اللهُ به من الصلاة صَلَاةً ؛ لِمَا يُتْلَىٰ[1] فيها من القرآن ، ويُذْكَرُ فيها من الدعاء . والعرب تُسَمِّي الشَّيْءَ بِاسْمِ الشيء إذا تَعَلَّقَ به ، أَوْ جَاوَرَهُ ، أو نَاسَبَهُ : ومن ذلك الصلاة على الـميت : إنما هو الدعاء له ، قال الأعشى :

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلًا يَارَبِّ جَنِّبْ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجَعَا[2]
عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذي صَلَّيْتِ ، فَاغْتَمِضِي نَدَمًا ؛ فَإِنَّ لَجَنْبِ الْمَرْءِ مُضطَّجَعَا

ويُرْوَى : (عَلَيْكِ مِثْلُ) بالرفع والنصب[3] فمن رفع فكأنه دعا لها بمثل ما دَعَتْ به ، ومن نصبه جعله إغراءً ، كأنه أمرها أن تلزم هذا الدعاء .

ثم كَثُرَ ذلك حتى استعملت (الصلاة) في التزكية والتطهير ، لِاتِّسَاعِ العرب في ذلك .

و (الـمصطفى) مُفْتَعَلٌ من (الصَّفْوَة) ، وأصله (مُصْتَفَوٌ) ، فقلبت الواو أَلِفًا ؛ لتحركها وانفتاح ماقبلها[4] ، كما قُلِبَتْ في غَزَا ودَعَا – وما أشبه ذلك – وقلبت التاء طاءً ؛ لسكون الصاد قبلها ، فقيل : (مصطفى) . ولو صُغِّرَ في غير وصف النبي[5] – ﷺ – لقيل : مُصَيِّفٌ ، كما يقال في تصغير مُغْتَسِلٍ : مُغَيْسِل ، وفي تصغير مُقْتَرِب : مُقَيْرِب – تُحْذَفُ تَاءُ مُفْتَعِلٍ في

---

(١) في (ب) : « يقرأ » .
(٢) البيتان من البسيط ، من قصيدة للأعشى ، يمدح بها هَوْذَةَ بن علي الحنفي .
انظر : ديوانه ١٠٤ .
(٣) قوله : « ويروي ... والنصب » غير موجود في (ب) .
(٤) لابُدَّ من شروطٍ عشرةٍ لقلب الواو ألفًا – ومثلها الياء – انظر هذه الشروط في : أوضح المسالك ٣٩٤/٤ ومابعدها ، وفي باب الإبدال والإعلال من كتب الصرف .
(٥) في (ب) : « في وصف غير النبي » .

التصغير ، وكذلك تُحْذَفُ الطاء من مصطفى - التي هي مكان التاء - وتُكْسَرُ الفاء ؛ لمكان ياء التصغير قبلها ، وتُقْلَبُ الألف ياء ؛ لانكسار ما قبلها ، ثم تُحْذَفُ لسكونها وسكون التنوين بعدها ، كما يقال في أَعْمَىٰ : أُعَيْمٍ ، وفي أَعْشَىَ : أُعَيْشٍ ، فَتُنَوِّنُ وتَحْذِفُ الياء .

قال أبو القاسم : ولأصحابنا في هذا الباب مسألة ، وهي تصغير أَحْوَىٰ[1] ، ولهم فيها أربعة أقوال :

أما أبو عمرو بن العلاء فإنه يقول في تصغيره : (أُحَيٍّ) - بكسر الياء والتنوين - ويقول : اجتمعت في آخره ثلاث ياءات ، فَحَذَفْتُ إحداها ، وكَسَرْتُ تشبيهًا بقولهم : أُعَيْمٍ وأُعَيْشٍ .

وقال سيبويه[2] : هذا غلط ؛ لأنه يلزمه أن يقول في تصغير عطاء وعشاء : عُطَيٍّ وعُشَيٍّ ، وهذا لا يقوله أحد .

وأما عيسى بن عمر[3] فيقول : (أُحَيٌّ) - بالرفع والتنوين - ويقول : لما نقص البناء صَرَفْتُهُ ، فألزمه سيبويه أن يَصْرِفَ رَجُلًا سَمَّاهُ (يَضَعُ ويَجِدُ) - وما أشبه ذلك مِمَّا نُقِصَ منه - وهذا لا يجوز صَرْفُهُ ؛ لأن زيادة الاستقبال موجودةٌ فيه ، فكذلك (أَحْوَىٰ) إذا صُغِّرَ ، فالزياةُ فيه . وأما يونس بن حبيب[4] النحوي فيقول : (أُحَيْوٌ) ، فيجيء به على الأصل ، وإليه يذهب سيبويه .

---

(١) الأَحْوَىٰ : وصف من (الحُوَّةِ) وهي سواد إلى الخضرة ، أو حمرة إلى السواد ، وفعله (حَوِيَ) مثل رَضِيَ (انظر : لسان العرب - حوى) .

(٢) نَصُّ عبارة سيبويه [٣ / ٤٧٢] : « وأما أبو عمرو فكان يقول : أُحَيٍّ ، ولو جاز لقال في عطاء : عُطَيٍّ ؛ لأنها ياءٌ كهذه الياء ، وهي بعد ياء مكسورة ، ولَقُلْتَ في سِقَايَة : سُقَيِّة ، وشاوٍ : شُوَيٍّ » .

(٣) هو : أبو عمر مولى خالد بن الوليد ، عيسى بن عمر الثقفي ، من متقدمي النحاة ، ذكروا أنه كان مُولَعًا بالغريب والتشادق ، توفى سنة ١٤٩هـ . ونَصُّ عبارة سيبويه في رأيه والرَّدُّ عليه [٣ / ٤٧٢] هو : « وأما عيسى فكان يقول : (أُحَيٌّ) ، ويَصْرِف ، وهو خطأ ، لو جاز ذَا لَصَرَفْتَ (أُصَيَّم) ؛ لأنه أخف من أحمر ، وصرفت (أُرَأس) إذا سَمَّيْتَ به ولم تَهْمِزْ ، فقلت : أُرَيْسٍ » .

(٤) هو : أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي أحد شيوخ سيبويه ، توفى سنة ١٨٢هـ .

وفي (ب) : (أُحَيْو) بَدَلًا من (أُحَيّ). ونَصُّ عبارة سيبويه في رأي يونس [٣ / ٤٧٢] هو : « وأما يونس فقوله : هذا أُحَيُّ - كما ترى - وهو القياس والصواب .

وأما المبرد فكان يختار أن يقول : (أُحَيٌّ) فَيُدْغِم ويَحْذِفُ الياءَ الأخيرةَ ويترك الصرف ؛ لوجود الزيادة في أَوَّلِهِ[1] ، وهو أَقْيَسُ الأَوْجُهِ .

وأمَّا (آلُ الرَّجُلِ) : فَأَشْيَاعُهُ وأَتْبَاعُهُ وأَهْلُ مِلَّتِهِ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[2] وقد يقع (الآل) مكان الأهل ، ويقول أهل اللغة : أصل (آل) أَهْلٌ ، ويقولون في تصغيره : أُهَيْلٌ[3] .

* * *

وقوله : « فَإِنِّي رَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِ زَمَانِنَا عَنْ سَبِيلِ الْأَدَبِ نَاكِبِينَ » .

الفاء جواب (أمَّا)[4] ، وقد عَرَّفْتُكَ أنه لابُدَّ لها من جوابٍ بالفاء ؛ لتضمنها معنى الجزاء ، ولك في نصب (بَعْدُ) وجهان[5] :

أحدهما : أن يكون العامل فيه المعنى ، والتقدير : مهما يكن من شيء بَعْدَ حَمْدِ الله .

والآخر : أن يكون العامل فيه مابعد الفاء ، بتقدير : فإني رأيت بعد حمد الله أكثر أهل زماننا عن سبيل أهل الأدب ناكبين .

ولا يجوز أن يعمل مابعد إنَّ فيما قبلها، لايقال: زَيْدًا إنك ضربت، ولكن

---

(١) انظر : المقتضب [٢ / ٢٤٦] والكامل [٣ / ١٩٣] ونَصُّ عبارته في المقتضب : « فأمَّا ما ذكرتُ لك مما يحذف لاجتماع الياءات ، فقولك في تصغير عطاء : عُطَيٌّ ، فاعْلَمْ ؛ لأنك حذفت ياءً ، والأصل عُطَيِّيٌ ، فصار تصغيره كتصغير ماكان على ثلاثة أحرف ، فعلى هذا تقول في تصغير أَحْوَى : أُحَيٌّ فاعلم ، على قولك : أُسَيِّد ، ومن قال : أُسَيْوِد ، قال : أُحَيْوُ ، فاعْلَمْ » .

(٢) الآية ٤٦ من سورة غافر .

(٣) في لسان العرب (أول) : وآل الرجل : أهله وعياله ، فإما أن تكون الألف منقلبة عن واو ، وإما أن تكون بَدَلًا من الهاء ، وتصغيره : أُوَيْل وأُهَيْل » .

(٤) في عبارته هنا تَسَمُّحٌ ، فالفاء ليست هي الجواب ؛ وإنما واقعة في صدر الجواب ، لكون الجواب لا يصلح أن يكون في محل الشرط ، ولذلك مواطن محصورة في كتب النحو . وتسمى هذه الفاء فاء الربط أو فاء الجزاء . (انظر : أوضح المسالك ٤ / ٢٠٩ وما بعدها .

(٥) العامل في (بَعْدُ) في مثل هذا الاستعمال (أمّا) بَعْدُ فَـ ..) هو (أَمّا نفسها عند سيبويه ؛ لنيابتها عن الفعل ، فتكون نائبة عنه معنى وعملا . أو العامل هو الفعل المحذوف وهو (يكون) . أو العامل ما اشتمل عليه الجواب من فعل أو وصف ، فتكون (أما) نائبة عن الفعل من حيث المعنى فقط .

انظر تفصيلًا في كتاب (إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أما بعد) لإسماعيل بن غنيم الجوهري ٥٤ وما بعدها .

الظروف مع (أمّا)[1] يجوز تقديمها ، فيجيز النحويون : أَمَّا يَوْمَ الجمعة فإنك شَاخِصٌ راجلًا ، وأمَّا غَدًا فإنك سائرٌ ، وأَمَّا جُهْدَ رأيي فإنك منطلق – وكذلك ما أشبهه .

ولو قلت : أمَّا الْعَسَلَ فإنك شاربٌ ، لم يَجُزْ ؛ لأنه مفعول ، لا يتقدم على (إنَّ) ؛ لامتناعها من التصرف .

ومن جواب (أمّا) بالفاء قول عمر بن أبي ربيعة :

أَمَّا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدِ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا[2]

وقال آخر :

فَأَمَّا كَيِّسٌ فَنَجَا وَلَكِنْ عَسَى يَغْتَرُّ بِي حَمِقٌ لَئِيمُ[3]

وقال عمرو بن كلثوم :

فَأَمَّا يَوْمَ خَشْيَتِنَا عَلَيْهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصَبًا ثُبِينَا[4]
وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ فَنُمْعِنُ غَارَةً مُتَلَبِّبِينَا

و (النَّاكِبُ) : العادل عن الطريق ، يقال : نَكَبَ عن الطريق يَنْكُبُ نُكُوبًا ، قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾[5]

---

(١) « مع أما » غير موجود في (ب) .

(٢) البيت من الكامل ، من شعر عمر بن أبي ربيعة – كما ذكر – عندما شيع فاطمة بنت محمد بن الأشعث .
انظر : ديوانه ٥٧٤ .

(٣) البيت من الوافر ، لم ينسب إلى قائل .
انظر : المحتسب ١ / ١١٩ ، سيبويه ٣ / ١٥٩ .

(٤) البيتان من الوافر ، من معلقة عمرو بن كلثوم – كما ذكر – يذكر أيام بني تغلب ويفخر بهم .
و (العُصَب) : جمع عُصْبَة ، وهم الجماعة من العشرة إلى الأربعين ، و (ثُبِينَ) : مفرده ثُبَةٌ ، بمعنى الجماعة ، وتجمع ثُبَة على ثُبَاتٍ أيضًا . و (الإمعان) : الإسراع في المبالغة في الشيء . و (التَّلَبُّبُ) : لبس السلاح .
يقول : فأما يوم نخاف على أولادنا وحُرَمِنَا من الأعداء ، فإن خَيْلَنا تنتظم جماعات متفرقةً للدفاع عنهم ، وأما يَوْمَ لا نخاف عليهم من أعدائنا ، فإننا نَكُرُّ على أعدائنا بعد أن نستعد لذلك .
انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني ١٣١ .

(٥) الآية ٧٤ من سورة المؤمنون . وقد كتبت في النسختين ببعض أخطاء .

أي عادلون[١] ، وَكلُّ ريح عَدَلَتْ عن مَهَابِّ الرياح الأربع فهي نَكْبَاءُ[٢] ، سُمِّيَتْ بذلك ؛ لِعدُولها عن مَهَابِّ الرياح الأربع .

* * *

وقوله : (وَمِن اسْمِهِ مُتَطَيِّرِينَ) يريد الطِّيَرَةَ والتشاؤم[٣] ، كأنهم تَطَيَّرُوا من الأدب ، ورأوه حُرْفًا[٤] وشُؤْمًا يُجْتَنَبُ ويُتَطَيَّرُ من اسمه ، وهذا لِشِدَّةِ مُضَادَّتِهِمْ له ، ونفور طباعهم منه ، وهذا كما قيل : المرء عَدُوٌّ مَا جَهِلَ .

وأصل الطِّيَرَةِ من وجهين[٥] :

أحدهما أن يكون من (الطَّيَرَان) ؛ لأن كل مَنْ[٦] وَرَدَ عليه ما يكرهه ويؤذيه اشْمَأَزَّ منه ، وأَسْرَعَ الصُّدُوفَ[٧] عنه والتباعد عنه ، فَشَبَّهَ سرعته وإعراضَه عن ذلك بالطيران تمثيلًا وتشبيهًا .

والآخر – وهو الأصل – أن العرب كانت تَزْجُرُ[٨] الطَّيْرَ والْوَحْشَ وتتفاءل بها ، فَتَتَبَرَّكُ ببعضها ، وتتشاءم ببعض ، وذلك نحو السانح والْجَابِهِ والقَعِيد والناطح :

فالسانح[٩] : ما أَخَذَ من مَيَامِنِك إلى مَيَاسِرِك . والبارح ما أَخَذَ من مياسرك

---

(١) « أي : عادلون » غير موجود في (ب) .

(٢) انظر : لسان العرب (نكب) ، وفيه تفصيل .

(٣) في الأصل « والتفاؤل » ، وما أثبته من (ب) ، وهو يوافق معنى (متطير من ...) الذي يشرحه .

(٤) الحُرْفُ (بضم الحاء وسكون الراء) : الحِرْمَانُ ، يقال : رجل مُحَارَفٌ : أي منقوص الحظ ، لا ينمو له مال . وفي النسخة (ب) : « خرقًا » بَدَلًا من « حُرْفًا » ، والخُرق هو : الجهل والحمق ، رجل أخرق وامرأة خرقاء ، وفي الحديث : « الرِّفْقُ يُمْنٌ ، والخُرْقُ شُؤْمٌ » . (انظر : لسان العرب – حرف) .

(٥) في الأصل : « من شيئين » ، وما أثبته من (ب) .

(٦) في (ب) : « كل فرد » .

(٧) الصُّدُوفُ : المَيْلُ والإعراض . (انظر : المصباح المنير – صدف) .

(٨) الزجر هنا هو : تهييج الطير والوحش وتفزيعه عن مكانه فيطير في مختلف الآفاق ، وكانت العرب تفعل ذلك تَكَهُّنًا بما يكون لهم أو عليهم في المستقبل . (انظر : لسان العرب – زجر) .

(٩) انظر توضيحًا واستشهادًا لمعاني هذه الألفاظ في : لسان العرب (سنح ، برح ، جبه ، نطح ، قعد) .

إلى ميامنك . والجابه : ما استقبلك – وهو الناطح – . والقعيد : ماجاء من خلفك .

فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح ، ومنهم من يرى خِلَاف ذلك ، ومنهم أَيْضًا من يرى في ترتيبها ضِدَّ ذلك .

ومن أمثال العرب : أنت كبارح الأَرْوَىٰ[1] ، وفُسِّرَ على وجهين : أحدهما أن يقال لمن يُتَشَاءَمُ به ، لأن الأَرْوَىٰ يتشاءم بها . وهي من إناث الوعول[2] – فإذا بَرِحَتْ الأَرْوَىٰ ، فذلك نهاية الشؤم .

والآخر أن الأَرْوَىٰ تَأْوِي الجبالَ والأمكنةَ الْوَعْرَةَ الممتنعةَ ، ولا تكاد تَسْنَحُ لأحدٍ ولا تَبْرَحُ ، فَيُضْرَبُ هذا المثلُ لمن لا يكاد يُرَىٰ ، فصار كُلُّ من اشْمَأَزَّ من شَيْءٍ على جهة التشاؤم[3] به قيل له : قد تَطَيَّرَ ، والأَصل ماذكرت لك .

وقد أكثرت العرب القولَ في السانح والبارح وغير ذلك ، وجاء في الشعر الفصيح ، أنشدني الأخفش عَلِيُّ بْنُ سليمانَ : قال : أنشدني ثَعْلَبٌ – رحمه الله :

جَرَىٰ يَوْمَ رُحْنَا زَائِرِينَ لِأَرْضِهَا ... سَنِيحٌ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : مَرَّ سَنِيحُ[4]

فَهَابَ رِجَالٌ مِنْهُمُ ، فَتَعَيَّفُوا ... فَقُلْتُ لَهُمْ : جَارٍ إِلَيَّ رَبِيحُ

عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا ... نَأَتْ نِيَّةٌ بِالصَّالِحِينَ طَرُوحُ

وَقَالُوا : حَمَامَاتٌ ، فَحُمَّ لِقَاؤُنَا ... وَطَلْحٌ ، فَنِيلَتْ ، وَالْمَطِيُّ طَلُوحُ

وَقَالَ صِحَابِي : هُدْهُدٌ فَوْقَ بَانَةٍ ... هُدًى وَبَيَانٌ بِالنَّجَاحِ يَلُوحُ

---

(١) الأَرْوَىٰ : اسم للجماعة من أنثى الوعول ، والواحد : أُرْوِيَّةٌ .

انظر : لسان العرب (برح) ، وفيه : « إنما هو كبارح الأرْوَىٰ قليلًا ما يُرَى ، يُضْرَبُ ذلك للرجل إذا أبطأ عن الزيارة ، وذلك أن الأَرْوَىٰ يكون مساكنها في الجبال من قِنَانِهَا ، فلا يقدر أحد عليها أن تسنح له ، ولا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة ، إلا في الدهور مرة » . ا هـ .

وهذا قريب من الوجه الآخر ، الذي ذكره الزجاجي . وانظر أيضًا : كتاب الأمثال لابن سلام ٣١٤ .

(٢) « وهي من إناث الوعول » غير موجود في (ب) .

(٣) في (ب) : « على طريق التشاؤم » .

(٤) الأَبيات من الطويل ، تنسب إلى أبي حَيَّةَ النُّمَيْرِيّ ، وقد ذكرها القالي ، مع تغيير بعض الألفاظ ، ومع إضافة أبيات أخرى في : الأمالي ١ / ٩٨ ، ٩٩ .

وأخبرني أبو إسحاق الزجاج وأبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش ، عن أبي العباس المبرد قال : أنشدني بعضهم[1] في قصيدة ذى الرُّمَّةِ التي أَوَّلُها[2] :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَمَيَّ عَلَى الْبِلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًّا بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ[3]

بيتين لم يأت بهما الرُّوَاةُ في ديوانه ، وهما :

رَأَيْتُ غُرَابًا وَاقِعًا فَوْقَ قَضْبَةٍ مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ نَضْرُ

فَقُلْتُ : غُرَابٌ لِاغْتِرابٍ ، وَقَضْبَةٌ لِقَضْبِ النَّوى، هَذِي الْعِيَافَةُ وَالزَّجْرُ

ويُنْشَدُ لِلْكُمَيْتِ :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ ، هَمُّهُ أَصَاحَ غُرَابٌ أَمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ[4]

وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمَرَّ سَلِيمُ الْقَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ

ويُنْشَدُ لأبي دُؤَادٍ الإِيَادِيّ :

قُلْتَ لَمَّا بَرَزَا مِنْ قُنَّةٍ : كَذَبَ الْعَيْرُ ، وَإِنْ كَانَ بَرِحْ[5]

يقول : بَطَلَ عليه ما كان أَمَّلَهُ من السلامة مِنِّي ، ومعنى (بَرِح) أنه أخذ من جهة شِمَالي ماضيًا إلى يميني ؛ لِيَسْلَمَ من طَعْنَتِي ، فقلبت عليه الرمح وطعنته ، فَبَطَلَ عليه ماكان أَمَّلَ من التخلص .

وقال أبو إسحاق الزجاج : لم أَرَ أَشَدَّ تَطَيُّرًا من ابن الرومي الشاعر ، وكان

---

(١) في (ب) : « أنشدني أعرابي » .

(٢) « التي أولها » غير موجود في (ب) .

(٣) البيت من الطويل ، انظره في : ديوان ذي الرمة ٢٩٠ .

(٤) البيتان من الطويل ، وهما من إحدى هاشميات الكميت . و (الأَعْضَبُ) : ذو القرن المكسور . انظر : القصائد الهاشميات ١٥٠ .

(٥) البيت من الرَّمَل ، ويروى (نَصَلَا) بَدَلًا من (بَرَزَا) ، والقُنَّةُ : أَعْلَى الجبل . و (كَذَبَ العَيْرُ) : أسلوب للإغراء ، جاء عن العرب مرفوعًا ، يقولون : كَذَبَ عليك الرجلُ ، وكَذَبَ عليك الماءُ ، وكَذَبَ عليك التَّمْرُ ، كُلُّهُ بمعنى : الْزَمْهُ وعليك به ، ولا تَدَعْهُ يفوتك . ومنه قول عمر – رضي الله عنه – : « كذب عليكم الحجُّ ، وكذب عليكم الغَزْوُ ، وكذبت العمرةُ » بمعنى : افعلوا هذه الأشياء . وفَسَّرَ قوم قول أبي دؤاد هنا فقال : كَذَبَ إنْ نجا مِنّي ، وإن ضَيَّقَ الطعان والمذهب .

انظر : تذكرة النحاة لأبي حيان الأندلسي ٥٢٥ ، لسان العرب (كذب) .

قد تجاوز الحدَّ في ذلك إفراطًا ، فعاتبته عليه ، فقال لي : يا أبا إسحاق : الْفَأْلُ لِسَانُ الزمان ، والطِّيَرَةُ عُنْوَانُ الْحَدَثَانِ ، وقد تفاءل النبي - ﷺ - ، ونهى عن الطِّيَرَةِ في قوله : « لا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ »[1] فَالْعَدْوَىٰ : الإِعْدَاءُ[2] ، والصَّفَر : دُوَيْبَّةٌ تكون في الجَوْفِ ، تَزْعُمُ العربُ أنها تَشْتَدُّ على الجائع[3] ، ومنه قول الأعشي الباهليّ :

لَا يَتَأَرَّىٰ لِمَا فِي الْقِدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعَضُّ عَلَىٰ شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ[4]

والطِّيَرَةُ ما ذكرناه .

* * *

وأما قوله : « وَلِأَهْلِهِ هَاجِرِينَ » . فإنه يقال منه : هجر الرجل صاحبه هِجْرَةً وهَجْرًا وهِجْرانًا ، ويقال للأعرابي ، إذا ترك البادية وأتى الحاضرة : مُهَاجِرٌ[5] ، ومنه قوله :

---

(١) انظر : صحيح البخاري ٧ / ١٧ .

(٢) في الأصل ، وفي النسخة (ب) : « الأعداء » وهو سهو ، وإنما هو (الإعداء) بكسر الهمزة ، مصدر من الفعل : أَعْدَاه يُعْدِيه ، أي نقل إليه المرض في جسمه ، أو الصفة في خلقه . وفي لسان العرب (عدا) : العَدْوَىٰ اسم من الإعداء ، كالرَّعْوَىٰ والبَقْوَىٰ ، من : الإرعاء والإبقاء .

(٣) في لسان العرب (صفر) : الصَّفَر : داءٌ في البطن يَصْفَرُّ منه الوجه ، أو حَيَّةٌ تلزق بالضلوع فتعضها ، والواحد والجميع في ذلك سواء ، وقيل : واحده صَفْرَةٌ . والصَّفَرُ : الجوع .

(٤) البيت من البسيط ، من شعرٍ لأعشى باهلة يرثي أخاه . و(يَتَأَرَّى) : يتلبَّثُ ويتحبَّس . و (الصَّفَرُ) : الجوع . و (الشُّرْسُوف) : رأس الضِّلَعِ ممايلي البطن . يصف أخاه بعدم الدناءة ، وأنه لا ينتظر طعامًا يطبخ في القدور ، ولا يصيبه الجوع بأذى .

انظر : لسان العرب (صفر ، أرى) .

(٥) في لسان العرب (هجر) : أصل المهاجرة عند العرب : خروج البدوي من باديته إلى المدن ، يقال : هاجر الرجل ، إذا فعل ذلك ، وكذلك كُلُّ مُخْلٍ بمسكنه منتقلٍ إلى قوم آخرين بِسُكْنَاهُ فقد هاجر قومه .

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصْلَبِيٍّ[1]
أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِـيِّ

وسُمِّيَ المهاجرون من أصحاب رسول الله – ﷺ وآلِهِ – بذلك ؛ لأنهم هجروا أوطانهم إلى مُسْتَقَرِّ النبي ﷺ . والهجرة الأولى كانت في صدر الإسلام إلى أرض النَّجَاشِيِّ ، والهجرة الثانية إلى المدينة : إلى النبي ﷺ .

حدثنا أبو عبد الله إبراهيمُ بْنُ محمدِ بْنِ عَرَفَةَ نِفْطَوَيْهِ[2] قال : حدثنا أبو عبد الله العباسُ بْنُ محمد الدَّوْرِى ، قال : حدثنا يحيى بْنُ عُبَيْدٍ ، قال : حدثنا إسماعيل ابن أبي خالد عن الشعبي ، قال : من شهد بيعة الرضوان فهو من المهاجرين الأوّلين ، وأنشدني نِفْطَوَيْهِ ، قال : أنشدني ثعْلَب[3] ، عن ابن الأعرابي :

هَجَرْتُ ، فَلَمَّا أَنْ هَجَرْتُكَ أَصْبَحَتْ بِنَا شُمَّتًا تِلْكَ الْعُيُونُ الْكَوَاشِحُ[4]

---

(١) رجز ، غير منسوب إلى أحد . و (العَصْلَبِيُّ) : الشديد المداوم على المشي والعمل . و (الأروع) : الذكيّ . و (الدَّوِّي) : الصحراء . والضمير في (لَفَّهَا) للإبل ، أي جمعها الليل بسائق شديد .

وقد أورد الحجاج هذا الرجز في خطبة له عندما وَلِيَ العراقَ . فضربه مَثَلًا لنفسه ورعيته . ويروى البيت الأول : (قد حسها الليل بعصلبي) و (حَسَّها) بمعنى : قتلها . كما يروي البيت الثالث : (من الدَّاوِيّ) : يعني الفلوات ، جمع داوية .

والمعنى : أنه شديد ذكي ، صاحب أسفار ورِحَلٍ ، فهو لا يزال يخرج من الفلوات ، أو أنه بصير بالفلوات ، فلا يشتبه عليه شيء منها .

انظر : لسان العرب (دوا ، عصلب) .

(٢) هو : أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة ، من تلاميذ الإمام ثعلب ، ولد سنة ٢٤٤هـ ، وتوفى سنة ٣٢٣هـ .

(٣) العباس بن محمد بن حاتم بن واقد الهاشمي الدوري – ويحيى بن معين ، والشعبي أبو عمرو وعامر بن شراحيل – ثلاثتهم من المحدثين الحفاظ .

وأما ثعلب فهو : أبو العباس أحمد بن يحيى صاحب كتاب (الفصيح) في اللغة ، توفى سنة ٢٩١هـ .

(٤) الأبيات من الطويل ، من شعر لُحَلَيْبَة الحَضْرَبِيّة ، أو خَيْرَة بنت أبي ضَيْغم البَلَوِيّة ، أنشدته لقومها عندما حجبوها عَن ابن عم لها كانت تهواه . و (الشُّمَّتُ) : جمع شامت ، وهو من يفرح لمصيبة في عدوه . و (الكواشح) : جمع كاشح ، وهو العدو المبغض . و (الواشون) : جمع الواشي ، وهو النمام الساعي في الشر . و (النَّوْي) : التباعد بين المحبين . و (الجَيْبُ ناصح) : كناية عن نقاء الصدر ، وخلو القلب من الغش .

انظر : الأمالي للقالي ٢ / ٩٤ .

فَلا يَفْرَحِ الْوَاشُونَ بِالْهَجْرِ ، رُبَّمَا أَطَالَ الْمُحِبُّ الْهَجْرَ ، وَالْجَيْبُ نَاصِحُ
وَتَغْدُو النَّوَىٰ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ وَالْهَوَىٰ مَعَ الْقَلْبِ مَطْوِيٌّ عَلَيْهِ الْجَوَانِحُ

ويُنْشَدُ لِابْنِ مُقْبِل :

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبُعَانِ أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالْبِلَىٰ الْمَلَوَانِ[1]
نَهَارٌ وَلَيْلٌ دَائِبٌ مَلَوَاهُمَا عَلَى كُلِّ حَالِ النَّاسِ مُخْتَلِفَانِ
أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ ؛ لَا هَجْرَ بَيْنَنَا وَلَكِنَّ رَوْعَاتٍ مِنَ الْحَدَثَانِ

وقال جرير :

إِنْ زُرْتُ أَهْلَكِ لَمْ يُبَالُوا حاجَتِي وَإِذَا هَجَرْتُكِ شَفَّنِي هِجْرَانِي[2]

* * *

قال ابن قتيبة : « أَمَّا النَّاشِئُ مِنْهُمْ فَرَاغِبٌ عَنْ التَّعَلُّمِ ، وَالشَّادِي تَارِكٌ لِلِازْدِيَادِ » .

(النَّاشِئُ) : اسم الفاعل من : نَشَأَ يَنْشَأُ فهو ناشئ ، أي مبتدئ ، وأنشأ فلان يقول كذا وكذا : ابتدأ ، وأنشأتُ الكتابَ فهو مُنْشَأٌ – مهموز –.

يقول : الْحَدَثُ المبتدئ في العلم راغبٌ عنه ، زاهدٌ فيه ؛ لِمَا يَرَىٰ من قِلَّةِ رغبةِ مَنْ فَوْقَهُ فيه ، وعُدُولِهِ عنه .

و (التَّعَلُّم) مصدر تَعَلَّمْتُ تَعَلُّمًا ، وكذلك كل ما كان على (تَفَعَّلَ) فمصدره (التَّفَعُّل) ، كقولك : تَعَلَّمَ تَعَلُّمًا ، وتَصَرَّفَ تَصَرُّفًا ، وتَعَبَّدَ تَعَبُّدًا .

وأما (التعليم) فمصدر عَلَّمْتُ ، وكذلك كل ما كان على (فَعَّلَ) فمصدره (التفعيل) ، نحو : عَلَّم تعليمًا ، وضَرَّب تضريبًا ، وقَتَّل تقتيلًا – وكذلك

---

(١) الأبيات من الطويل من شعر تميم بن مقبل ، أو خلف الأحمر . و (السَّبُعَان) : موضع في ديار قيس . و (المَلَوَانِ) : الليل والنهار . و (الحَدَثَانِ) : المصائب .
انظر : ديوان تميم ٣٣٥ ، سيبويه ٤ / ٢٥٩ ، الأمالي للقالي ١ / ٢٨٠ .

(٢) البيت من الكامل ، و (يُبَالُوا) : يهتموا بقضائها . و(شَفَّنِي) : هزلني وأحرق كبدي . انظر : ديوانه ٢٢٠ .

ما أشبهه[1] . و (الشَّادِي) الذي قد شَدَا شَيْئًا من العِلْمِ ، أي أخذ طَرَفًا منه ، و (الشادي) في غير هذا الموضع[2] : المُغَنِّي ، يقال : شَدَا يَشْدُو ، ويُنْشَدُ لخالدٍ القَنَّاص[3] ، يصف قَيْنَةً :

فَلَيْسَ ابْنُ بُلُّوعٍ حُنَيْنُ وعَطْرَدٌ وَلَا الْهِبْرُ زَيَّانُ الْغَرِيضِ ومَعْبَدُ[4]
لَدَيْهَا بِشَيْءٍ حِينَ تَشْدُو وتُنْشِدُ

و (الشَّذَا) – بالذال المعجمة – : حَدُّ كل شيء ، والشَّذا أيضًا : ضَرْبٌ من الذباب ، وهو أيضًا : ضَرْبٌ من السفن معروف[5] ، وهو مقصورٌ[6] كُلُّهُ ، ويُنَسَبُ إليه : شَذَوِيٌّ ، وكذلك كل مقصور على ثلاثة أحرف فإنك تقلب أَلِفَهُ في النسب واوًا ، كقولك في عَصًا : عَصَوِيّ ، وفي رَحًى[7] : رَحَوِيٌّ – من ذوات الواو كان أو من ذوات الياء ، فأما قولهم : شَذَانِيٌّ[8] ، فَغَلَطٌ ، ليس من كلام العرب .

فإن كان المقصور على أربعة أحرف ، فَالْوَجْهُ أيضًا قلب ألفه واوًا[9] ،

---

(١) في (ب) : « وكذلك ما كان مثله » .

(٢) في الأصل : « في غير هذا المعنى » .

(٣) في (ب) : « النَّخَّاص » .

(٤) البيتان من الطويل ، ولم أقف على تتمة البيت الثاني .

(٥) وللشَّذَا مَعَانٍ أخرى ذكرها ابن منظور في لسان العرب (شذا) ، وقد نَصَّ على أن تفسير الشذا بأنه ضرب من السفن هو ممن انفرد به الزجاجي .

(٦) المقصور : كل اسم معرب آخره ألف قبلها فتحة لازمة نحو : مصطفى وهدى . (انظر : أوضح المسالك ٤ / ٢٢٩٢) .

(٧) الرَّحَى : حجر عظيم يطحن به ، والألف فيه أصلها الياء أو الواو ، والياء أعلى ، ويثنى على : رَحَيَان أو رَحَوَان ، وجمعها : أَرْحٍ وأَرْحَاء ورِحِيّ وأَرْحِيَة . (انظر : لسان العرب – رحي) .

(٨) في الأصل : « شذاويّ » وما أثبته من (ب) .

(٩) ليس ذلك على إطلاقه ، إنما هو موقوف على حركة الثاني . فإن كان ساكنًا فالأكثر القلب ، ويجوز حذف الألف ، والأجود القلب ، كما ذكر . وهناك وجه ثالث لم يذكره ، وهو قلب الألف واوًا مع زيادة ألف قبلها ، فتقول في النسب إلى طنطا ونحوه : طنطي وطنطوي وطنطاوي . فإن كان ثاني الرباعي متحركا فإن ألفه تحذف قولًا واحدًا ، نحو أن تنسب إلى بَرَدَى (اسم نهر في (سوريا) فتقول : بَرَدِيٌّ =

كقولك في النسب إلى مَعْنًى : مَعْنَوِيّ[1] ، وإلى مَلْهًى : مَلهَوِيّ . وربما حُذِفَتْ ، والقلب أَجْوَدُ .

فإن جاوز أربعة أحرف ، حُذِفَتْ أَلِفُهُ في النسب لا غَيْرُ ، فقلت في حُبَارىٰ : حُبَارِيّ[2] ، وفي جُمَادَىٰ : جُمَادِيّ – وكذلك ما أشبهه . فأما (الازْدِيَاد) فهو (افتعال) من : زاد يزيد ، وأصله (ازْتِيَاد) ، ولكن تاء الافتعال قُلِبَتْ دالًا ؛ لسكون الزاي قبلها[3] ، فقيل : ازْدِيَادٌ .

* * *

قال : « وَالْمُتَأَدِّبُ فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ نَاسٍ أَوْ مُتَنَاسٍ ؛ لِيَدْخُلَ فِي جُمْلَةِ الْمَجْدُودِينَ ، وَيَخْرُجَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَحْدُودِينَ » .

(عُنْفُوَانُ الشَّبَابِ) : أَوَّلُهُ ، وكذلك رَيْقُهُ وَرَيِّقُهُ وشَرْخُهُ ، قال حَسَّان :

إِنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسْـ ـوَدَ مَالَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونا[4]

و (الْمُتَنَاسِي) : الْمُظْهِرُ لِلنِّسْيَانِ[5] ، كقولك : المتغافل والمتعاقل والمتشايخ – لِلْمُظْهِرِ لذلك وليس به .

ويقال : رَجُلٌ جَدِيد حَظِيظٌ ، ومَجْدُودٌ ومَحْظُوظٌ : إذا كان ذا جَدٍّ وحَظٍّ

= انظر : أوضح المسالك ٤ / ٣٣٢) ، وباب النسب في كتب الصرف .

(١) في (ب) : « كقولك في النسبة إلى مغزى : مغزى » .

(٢) الحُبَارَىٰ : طائر على شكل الإوزة ، برأسه وبطنه غبرة ، ولون ظهره وجناحيه كلون السَّمَالِي غالبًا ، وجمعه حبابير وحُبَارَيَات .

انظر : المصباح المنير ، ولسان العرب (حبر) .

(٣) كلامه هنا يُوهِمُ أن عِلَّة قلب التاء دالًا هي سكون ماقبلها ، وليس الأمر كذلك . وإنما العلة هي وقوع الزَّاي قبل التاء في صيغة (افتعل) مع كونها فاء للافتعال وما يتصرف منه ، وهي ساكنة طبعًا في جميع التصاريف .

(انظر : أوضح المسالك ٤/ ٤٠٠) وباب الإبدال من كتب الصرف .

(٤) البيت من الخفيف . و (شَرْخ الشباب) : أَوَّله وقُوَّته . وو (يُعَاصَىٰ) : يخالف .

انظر : ديوانه ٢٤٦ .

(٥) في (ب) زيادة « وليس بِنَاسٍ » .

من الدنيا . والْجَدُّ – بفتح أوله – الحَظُّ وَالْبَخْتُ ، ومنه قول النبي ﷺ[1] : « لَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ »[2] أي : مَنْ كان ذا حَظٍّ وَجَدٍّ من الدنيا لم ينفعه ذلك عندك .

و (الْحَدُّ) : الْقَطْعُ ، تقول[3] : حَدَدْتُ الشيءَ ، إذا قَطَعْتَهُ ، وكذلك : صَرَمْتُهُ وقَصَبْتُهُ وعَصَبْتُهُ وبَتَرْتُهُ وتَبَلْتُهُ وجَدَدْتُهُ وصَرَبْتُهُ وفَصَلْتُهُ[4] ، كُلُّهُ واحدٌ .

و (الْجَدُّ) : أَبُ الْأَبِ وأَبُ الْأُمِّ ، و (الْجَدُّ) : الْعَظَمَةُ ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[5] أَيْ عَظَمَةُ رَبِّنَا .

و (الْجِدُّ) – بالكسر – خلاف اللَّعِب ، والْجِدُ : الانكماش في الأمر ، وما أتاك في الشعر : (أَجِدَّكَ) – فَاكْسِرْ جِيمَهُ وَافْتَحْ دَالَهُ ، وهو منصوب بتقدير : أَتَجِدُّ جِدًّا[6] . وما أتاك في الشعر : (وَجَدِّكَ) – فإنه مفتوح الجيم مخفوضٌ بِالقَسَم .

---

(١) في (ب) : « ومنه قوله » .

(٢) انظر : صحيح البخاري – كتاب الأذان ، وكتاب الاعتصام . ولابُدَّ أن يتعلق الجار والمجرور (منك) بالفعل (ينفع) ، والحرف (من) فيه يفيد معنى البدل . فالمعنى : ولا ينفع صاحب الحظ من الدنيا حظه بدلك ، أي بدل طاعتك ، أو بدل حظك . وبعض العلماء يرى أنه ضمن (ينفع) معنى (يمنع) . ولو أنك علقت حرف الجر (من) بـ (الجدّ) انعكس المعنى .

(٣) « تقول » ساقط من الأصل .

(٤) انظر : لسان العرب في مواد هذه الكلمات .

(٥) الآية ٣ من سورة الجن .

(٦) في لسان العرب (جدد) خلاف بين العلماء في ذلك : « قال أبو عمرو : أَجَدَّكَ وأَجِدَّكَ ، معناهما : مالك ، أَجِدًّا مِنْكَ ، ونصبهما على المصدر . قال الجوهري : معناهما واحد ، ولا يتكلم به إلا مضافًا . وقال الأصمعي : أَجِدَّكَ ، معناه : أَبِجِدٍّ هذا منك ، ونصبهما بطرح الباء .

وقال الليث : من قال : أَجِدَّكَ – بكسر الجيم – فإنه يستحلفه بِجِدِّهِ وحقيقته ، وإذا فتح الجيم استحلفه بِجَدِّه وهو بَخْتُهُ .

وقال ثعلب : ما أتاك في الشعر من قولك : « أَجِدَّكَ ، فهو بالكسر ، وإذا أتاك بالواو فهو مفتوح » اهـ . وهو رأي الزجاجي هنا .

و (الْمَحْدُود) : المحروم ، كأنه ممنوع من الرزق ، وأصل الْحَدّ : الْمَنْعُ ، ومنه اشتقاق الْحَدِّ من حدود الأشياء ؛ لأنه يَحْصُرُ المحدودَ ، فلا يدخل فيه ماليس منه ، ولا يخرج عنه ما هو فيه . وكذلك الحَدُّ من حدود الدار وغيرها ، لأنه يَحْصُرُ الدارَ ، لا يدخل فيها ماليس منها ، ولا يخرج عنها ماهو فيها[1] ، وكذلك الْحَدُّ من حدود[2] الله عز وجل التي تقام على مُسْتَحِقِّيهَا ، إنما سُمِّيَتْ بذلك ، لأنها تَمْنَعُ المحدود من الدخول في مثل ما عوُقِبَ عليه ، وتمنع غيره أيْضًا من الدخول فيه . والعرب تُسَمِّي كُلَّ مانع حَدَّادًا[3] ، وقد سَمَّى الأعشى الخَمَّارَ حَدَّادًا ؛ لِمَنْعِهِ عن الخمر إلا بثمنها فقال :

فَقُمْنَا وَلَمَّا يَصِحْ دِيكُنَا   إلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِهَا[4]

أي عند خَمَّارِها . والحديد : الجوهر المعروف ، إنما سمي بذلك ، لامتناعه من التأثير فيه .

* * *

ثم قال : « وَالْعُلَمَاءُ مَغْمُورُونَ ، وَبِكَرَّةِ الْجَهْلِ مَقْمُوعُونَ » .

(الْمَغْمُورُ) : المُسْتَضعَفُ ، وأصله من الذي غَشِيَهُ ماءٌ كثيرٌ فَعَلاهُ وغَمَرَهُ ، وكذلك المستضعف المتحيِّر منه ، والغَمْرُ : الماء الكثير ، وفَرَسٌ غَمْرٌ : إذا كان كثير الْجَرْي ، ورجل غَمْرُ الرِّدَاء : إذا كان كثير العطاء[5]

---

(١) في (ب) : « فلا يدخل فيها ماليس منها ، ولا يخرج عنها ما هو منها » .

(٢) قوله : « الدار وغيرها ... من حدود » غير موجود في (ب) .

(٣) في لسان العرب (حدد) : الحَدَّادُ : البواب والسَّجَّان ؛ لأنهما يمنعان من فيه أن يخرج ، قال الشاعر :

يقول لي الحداد ، وهو يقودني   إلى السجن : لا تفزعْ فَمَابِكَ باسُ

(٤) البيت من المتقارب ، من شعر الأعشى الكبير ، يمدح ذا فائش بن يزيد بن مرة . و (الجَوْنَة) : خابية الخمر السوداء .

انظر : ديوانه ٤٦ ، لسان العرب (حدد) .

(٥) في (ب) : « إذا كان كثير المعروف » .

والـمعروفِ سَخِيًّا ، وإن كان رِدَاؤُهُ صغيرًا ، كذلك قال ابن السِّكِّيت[1] ، وأنشد لِكُثَيِّرٍ :

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلِقَتْ بِضِحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَـالِ[2]

والغَمْرُ : الحِقْدُ ، والغَمْرُ : السَّهَكُ[3] ، والْغُمْرُ : القَدَحُ الصغير[4] ، ويُنْشَدُ لِأَعْشَى باهلة :

تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذٍ ، إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنَ الشِّوَاءِ ، وَيُرْوِي شُرْبَهُ الْغُمْرُ[5]

والْغَمَرَاتُ : الشدائدُ ، ورجل مُغَامِرٌ : إذا كان يُلْقِي نفسه في الـمهالك .

والْغُمْرُ : الذي لم يُجَرِّب الأمورَ ، ويُنْشَدُ :

أَنَاةً وَحِلْمًا وانْتِظَارًا بِهِمْ غَدًا فَمَا أَنَا بِالْوَانِي ، وَلَا الضَّرِعِ الْغُمْرِ[6]

والْغِرُّ : الْحَدَثُ من الرجال ، والغِرَّةُ ، الجارية الْحَدَثَةُ[7] .

---

(١) هو : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، الـمعروف بـ (ابن السِّكِّيت) صاحب كتاب (إصلاح الـمنطق) ، ولد سنة ١٨٦هـ ، وتوفى سنة ٢٤٤هـ .

(٢) البيت من الكامل .

انظر : ديوانه ١٥٢ ، لسان العرب (غمر) .

(٣) في لسان العرب (غمر) : « الغَمَرُ : السَّهَكُ ، وريح اللحم وما يعلق باليد من دَسَمِهِ » اهـ . والسَّهَكُ أيضًا : ريح كريهة تجدها من الإنسان إذا عرق .

(٤) في لسان العرب (غمر) : « أنه القدح الصغير يَتَصَافَنُ به القوم في السفر ، إذا لم يكن معهم من الـماء إلا يسير ، على حصاة يلقونها في إناء ثم يُصَبُّ فيه من الـماء قدر ما يغمر الحصاة ، فَيُعْطَاهَا كل رجل منهم . وقيل : هو أصغر الأقداح » اهـ . وانظر معاني أخرى لهذه الكلمة هناك .

(٥) البيت من البسيط ، و (الحُزَّةُ) : ما قُطِعَ من اللحم طُولًا ، أو القطعة من الكبد خاصة . و (الفلذ) : كبد البعير .

انظر : لسان العرب (غمر ، حزز ، فلذ) .

(٦) البيت من الطويل ، لم ينسب إلى أحد .

و (الأَنَاة) : التمهل والانتظار . و (الوَانِي) : الضعيف . و (الضَّرِعِ) : الجبان الـمتهالك من الحاجة .

انظر : لسان العرب (ضرع) .

(٧) في لسان العرب (غرر) : الغِرة : الجارية الحديثة السِّنِّ ، التي لم تُجَرِّب الأمور ، و لم تكن تعلم ما يعلم النساء من الحب ، وهي أيضا : غِرٌّ – بغير هاء – قال الشاعر :

إِنَّ الفتــاة صَغِيـــرَةٌ غِرٌّ ، فـلا يُسْرَى بها

وقوله : « بكَرَّةِ الْجَهْلِ مَقْمُوعُونَ » .

(كَرَّةُ الْجَهْلِ) : دُوْلَتُه ؛ ومنه قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾[1] أي : الدُّوْلَة ، وهو مصدر من قولك : كَرَّيَكُرُّ كَرًّا وكَرَّةً[2] .

* * *

وقوله : « خَوَىٰ نَجْمُ الْخَيْرِ » .

يقول : سَقَطَ ، وأصله من الأَنْوَاء[3] ، وذلك أن العرب تَسْتَدِلُّ بمنازل القمر ، وهي ثمانية وعشرون مَنْزِلًا – وقد ذكرها ابن قتيبة في الكتاب[4] ، وذكرها غيره – فإذا طَلَعَ منزلٌ منها و لم يكن بِعَقِبِهِ مَطَرٌ ولا حَرٌّ ولا بَرْدٌ[5] قالت العرب : خَوَىٰ نجم كذا وأَخْوَىٰ ، ثم اسْتُعْمِلَ فيما يَقِلُّ خَيْرُهُ ، وتسقط دَوْلَتُهُ .

قال أبو إسحاق الزجاج في شرح الأنواء :

السَّنَةُ أربعة أجزاء ، لكل ربع منها سبعة أنواء ، لكل نَوْءٍ منها ثلاثة عَشَرَ يَوْمًا ، ويُزَادُ فيها يوم واحد ؛ لتكمل أيام السنة ثَلَثِمائَةٍ وخَمْسَةً وستين يومًا ، وهو مقدار ما تقطع الشمس به بروج الفلك كُلَّها . فإذا نزلت الشمس منزلًا من هذه المنازل سَتَرَتْهُ ؛ لأنها تستر ثلاثين درجة : خَمْسَةَ عَشَرَ خلفها ، ومِثْلُهَا أَمَامَهَا . فإذا انتقلت عنه ظَهَرَ .

فإذا اتَّفَقَ أن يَطْلُعَ منزلٌ من هذه المنازل مع الغَدَاةِ ويَغْرُبَ رَقِيبُهُ ، فذلك

---

(١) الآية ٦ من سورة الإسراء . وقد فَسَّر (الكَرّة) هنا بالدولة ، ومعناها الرجعة ، يقال : كَرَّ على الشيء : هجم عليه ورجع إليه في ذلك مرة أخرى .

(٢) (الكَرُّ) مصدر للفعل (كَرَّ) ، ومثله الكرُوُر . وأما الكَرَّة فواحدة الكَرّ (اسم المرة منه) . (انظر : لسان العرب – كرر) .

(٣) الأَنْوَاء : جمع (نَوْء) ، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما ، وهكذا كل نجم منها ، إلى انقضاء السنة ، ماخلا الجبهة فإن الجبهة فإن لها أربعة عشر يوما ، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة .

(انظر تفصيلًا في : لسان العرب : نوأ) .

(٤) انظر : أدب الكاتب لابن قتيبة ٦٨ وما بعدها .

(٥) « ولا حرّ ، ولا برد » غير موجود في (ب) .

(النَّوْءُ) : وهو مأخوذ من نَاءَ يَنُوءُ : إذا نهض متثاقلًا[1] . والعرب تجعل النَّوْءَ للغارب ؛ لأنه ينهض متثاقلًا للغروب ، وعلى ذلك أكثر أشعارها ، وبعضهم يجعله للطالع – وهو مذهب المنجمين – لأن الطالع له التأثيرُ والقوةُ ، والغارب ساقطٌ لا قُوَّةَ له .

وهذه المنازل كلها تقطع من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة مَرَّةً ، وهو دَوْرُ الفَلَكِ – ولكن النوء لا ينسب إلَّا إلى المنزل الذي يظهر من تحت الشعاع ، ويَتَّفِقُ طلوعه مع الغداة – كما ذكرت لك – ولا يَتَّفِقُ ذلك لكل واحد منهما إلا مَرَّةً واحدة[2] في السنة .

وقد ذكر ابن قتيبة هذه المنازل ، ولم يذكر اشتقاقها وأوصافها ، وأنا أذكرها باشتقاقها وأوصافها – على ما أَمْلَاهُ علينا أبو إسحاق الزجاج – فإن في معرفتها فائدةً لطيفةً .

فـ (الربع الأوّل من السنة : الربيع) :

ابتداؤه في تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا من آذار ، وبعضهم يقول : في عشرين يومًا ، وفيه استواءُ الليل والنهار ، ويطلع يوم العشرين مع الغداة فَرْغُ الدَّلْوِ الأسفل ، وتسقط العَوَّاء . والعرب تنسب نَوْءَهُ إلى العَوَّاء – وهو الغارب – وكذلك سائر الأنواء ، فنذكرها على مذاهبهم :

١ – (العَوَّاءُ) – يُمَدُّ ويُقْصَرُ – وهي خمسة[3] كواكب ، كأنها أَلِفٌ معطوفةُ الذَّنَبِ – وبذلك سميت (العَوَّاء) – للانعطاف الذي فيها . والعرب تقول : عَوَيْتُ الشيءَ : إذا عَطَفْتَهُ ، قال الراجز :

---

(١) في الأصل : « لأنه ينهض متثاقلا للغروب » .

(٢) « واحدة » ساقط من الأصل .

(٣) ما ذكره هنا من أنها خمسة كواكب هو رأي شَمِرٍ ، كما جاء في لسان العرب (عوى) ، وفيه : وقال ابن كناسة : هي أربعة كواكب : ثلاثة مثفاة متفرقة ، والرابع قريب منها ، كأنه من الناحية الشامية ، وبه سُمِّيَتْ العَوَّاء ، كأنه يَعْوِي إليها ، من (عُوَاء الذئب) .

تَعْوِى الْبُرَىٰ مُسْتَوْفِضَاتٌ وَفْضَا[1]

وقال بعضهم : سُمِّيَت الْعَوَّاء ؛ لأنها كأنها خمسة كلاب تَعْوِى خلف الأسد - (وهي برج السنبلة)[2] .

٢ - والنوء الثاني (السِّمَاك) ، وهما سِمَاكَانِ : الأَعْزَل والرَّامِحُ ، فالأَعْزَل : كوكب واحد أَزْهَر ، وهو أحد سَاقَيْ الأسد ، والرامح الساق الأخرى ، ومع الرامح كوكب يَقْدُمُهُ ، يقال : هو رمحه ، وهو في برج الـميزان .

وسُمِّي الآخر (أَعْزَل) ؛ لأنه لا كوكب معه ؛ تشبيهًا بالأعزل من الرجال ، وهو الذي لا سلاح معه . وقيل : إنما سمي أعزل ؛ لأن القمر لا ينزل به[3] .

وإنما سمي الأول (سِمَاكًا) ؛ لِعُلُوِّه وارتفاعه ، وهو اسم خُصَّ به ، ولا يقال لغيره من الأشياء إذا علا : سِمَاك - كذلك قال سيبويه .

٣ - (الْغَفْرُ) : الغَفْرُ : ثلاثة كواكب غير زُهْرٍ ، منها كوكبان قُدَّامَ الزُّبَانَيْينِ . والزُّبَانَيَانِ : قَرْنَا العقرب ، وإنما سُمِّى (الغَفْر) من الغَفْرَة وهي الشعر الذي في طَرْفِ ذَنَب الأَسَد . وقيل : إنما سُمِّيَا الغَفْر ؛ لأنهما كأنهما يُنْقِصَان ضَوْءَهُ - من قولك : غَفَرْتُ الشيء ، إذا غَطَّيْتَه .

وقال أبو إسحاق : كأنه لما خَفِيَ صار كالـمِغْفَرِ ، قال أبو عبيدة : الغَفْر شَعَرٌ صِغَارٌ دون الكبار ، ورِيشٌ صِغَارٌ دون الريش الكِبَار ، سمى بذلك لأنه يُغَطِّي الجِلْدَ ، لأنه دون مافوقه . والغَفْر : النُّكْسُ في الـمرض ، يقال : صَلَحَ فلان من مرضه ثم غُفِرَ : أي نُكِسَ . واختلف الناس في هذا البيت ، فأنشده أبو عبيدة

---

(١) من رجز ، لرؤبة بن العجاج ، وقبله قوله :

إذا مَطَوْنَا نقضة أو نقضا

و (تَعْوِي) تلوي . و (البُرَى) : جمع بُرَة ، وهي الحلقة في أنف البعير .

انظر : لسان العرب (وفض) .

(٢) قوله : « وهي برج السنبلة » غير موجود في (ب) .

(٣) وقيل : إنما سمى (أعزل) ؛ لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها .

انظر : لسان العرب (سمك) .

لجميل ، وأنشده ابن الأعرابي لِلْمَرَّار ، وهو قوله :

خَلِيلَيَّ إنَّ الدَّارَ غَفْرٌ لِذِي الْهَوَىٰ   كَمَا يُغْفَرُ الْمَحْمُومُ أَوْ صَاحِبُ الْكَلْمِ (١)

تأويله : إن المحبَّ إذا كان قد سَلَا، فرأى دار حبيبه وآثاره ، جَدَّدَ ذلك عليه حُبَّهُ : فكأنه مريض قد نُكِسَ ، وبه سُمِّيَ النَّكْسُ غَفْرًا ؛ لتغطيته العافيةَ .

والْغَفْرُ : شعر يكون في الجبين(٢) ، يقال : غَفَرَتْ المرأةُ ، إذا نَبتَ لها ذلك الشعر ، قال الشاعر محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي ، يُشَبِّبُ بزينب أخت الحجاج ابن يوسف ..

دَعَتْ نِسْوَةً شُمَّ الْعَرَانِينِ بُدَّنًا   نَوَاعِم ، لَا شُعْثًا وَلَا غَفَرَاتِ(٣)

– ومن رواه (غبرات) بالباء فقد أخطأ(٤) .

ويقال لمتاع البيت : غَفْرٌ . والغَفْرُ : وَلَدُ الأَرْوَىٰ ، وهي جمع أُرْوِيَّة – وهي أنثى الوَعْل .

٤ – (الزُّبَانَيٰ) : كوكبان مفترقان ، وهما قَرْنَا العقرب ، وبعضهم يسميها : يَدَيْ العقرب . واشتقاقها من (الزَّبْن) – وهو الدفع – لأن كل واحد منهما مُنْدَفِعٌ عن صاحبه(٥) ، غير مقارن له ، ويقال : زَبَنَتْ الناقةُ ، إذا دفعت بقوائمها عند الحَلْب ، ومنه اشتقاق (الزَّبَانِيَة) ؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها .

---

(١) البيت من الطويل ، وقد أورده الجوهري برواية (لعمرك إن الدار) . ونسبه ابن بَرِّي إلى المرَّار الققعسي ، قال : وصواب إنشاده (خَلِيلَيَّ إن الدارَ غَفْرٌ) بدليل مابعده ، وهو قوله :

قِفَا فَاسْأَلَا من منزل الحيِّ دِمْنَةً   وبالأبرق البادي أَلِمَّا عَلَى رَسْمِ

كما ينسب إلى جميل بثينة ، وليس في ديوانه .

انظر : لسان العرب (غفر) .

(٢) في (ب) : « في اللحيين » .

(٣) البيت من الطويل . و (العراتين) : جمع عِرْنِين ، وهو ما صَلُبَ من عَظْمِ الأنف . و (بُدَّن) : جمع بادن أو بادنة ، وهي المرأة السمينة . و (الشُّعْثُ) : جمع شعثاء ، وهي المُغْبَرَّة الرأس .

(٤) في (ب) : « وأما من رواه (ولا غبرات) بالباء ، فيخطيء » .

(٥) في الأصل : « مرتفع عن صاحبه » .

٥ - (الإِكْلِيل) : وهو ثلاثة كواكب مُصْطَفَّةٌ على رأس العقرب ، فلذلك سميت الإكليل .

٦ - (القَلْب) : وهو كوكب أَحْمَرُ نَيِّرٌ ، سُمِّيَ بذلك ؛ لأنه في قلب العقرب .

٧ - (الشَّوْلَة) : كوكبان مفترقان ، أحدهما مضيء ، سمي بذلك ؛ لأنه ذَنَبُ العقرب ، وذَنَبُ العقرب شائل ؛ لأنه مرتفع ، ومنه : شَالَ الميزان : أي ارتفع ، وأَشَلْتُ الْحَجَرَ ، وشِلْتُ به ، ولا يقال : شِلْتُهُ - وهو خَطَأٌ من كلام العامة . ويقال : ناقة شائلة ، إذا أتى عليها سبعة أشهر من نِتَاجِها ، أو ثمانية ، و (الشَّوْلُ) جمعها - بفتح أوله والتخفيف . فأما (الشُّوَّل) - بضم أوّله وتشديد الواو — فَجَمْعُ (شائل) من النُّوق ، وذلك إذا شالت لِلِّقاحِ وارتفع لبنها وحَمَلَتْ ، والواحد منها شائل - بغير هاء - والجمع شُوَّلٌ ، قال أبو النجم :

كَأَنَّ فِي أَذْنَابِهِنَّ الشُّوَّلِ[1]

مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونَ الأُيَّلِ

الشُّوَّلُ هاهنا : الأَذْنَاب نَفْسُها ، وأنشد سيبويه :

مِنْ لَدُ شَوْلًا فَإِلَى إِتْلَائِهَا[2]

---

(١) (الشُّوَّلِ) : المرتفعة ، جمع شائل . و (الأُيَّل) : الذكر من الأوعال . و(العَبَس) في هذا البيت : ما يكون من البعر والبول ، هو مايبس على هلب الذنب من البول والبعر ، وفي الحديث : « أَنَّه نَظَرَ إلى نَعَمِ بني المصطلق وقد عَبَسَتْ في أبوالها وأبعارها من السِّمَنِ فَتَقَنَّعَ بثوبه وقرأ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ .

انظر : لسان العرب (عبس ، شول) ، المقرب لابن عصفور ٥٢٢ ، سر الصناعة ١ / ١٧٦ ، ابن يعيش على المفصل ١٠ / ٥٠ .

(٢) البيت من الخمسين ، التي لم يعرف لها قائل ولا تتمة ، وهو في نعت إبل . و (لَدُ) : أصلها (لَدُنْ) الظرفية ، حذفت نونها ، لكثرة الاستعمال ، أو لضرورة الشعر ، (الشُّوَّل) : التي ارتفعت ألبانها وخفت ضروعها ، وقيل : هي هنا التي رفعت أذنابها للضراب . و (الإتلاء) : أن تصير الناقة مُتْلِيَة ، أي يتلوها ولدها بعد الوضع .

انظر سيبويه ١ / ٢٦٤ ، لسان العرب (شول) .

قال[1] : إنما نَصَبَ ؛ لأنه أراد زَمَانًا ، والشَّوْلُ لا يكون زمانًا ولا مكانًا فيجوز فيه الإضافة والجر ، وكأنه قال : مِنْ لَدُ أَنْ كانت شَوْلًا فَإِلَى إِتْلَائِهَا . وقد جَرَّهُ قوم على سَعَةِ الكلام ، جعلوه بمنزلة المصدر . وأهل الحجاز يسمون الشَّوْلَة : الإِبْرَة[2] ، والإِبْرَة هي التي تسميها العامة : حُمَةَ العَقْرَب ، وذلك غَلَطٌ ؛ إنما الْحُمَةُ : سُمُّهَا وضَرُّهَا[3] .

فهذه السبعة أنواء الربيع[4] .

(الربع الثاني الصيف) :

١ - وأَوَّل أَنْوَائه النَّعَائِم[5] ، وهي مِن بُرْج القوس ، والنعائم ثمانية كواكب زُهْرٍ ، وهي مضيئة : أربعة منها في الْمَجَرَّة - وتسمى الواردة - وأربعة خارجة منها - وتسمى الصادرة - وسميت (النعائمَ) تشبيهًا بالخشبات التي تكون على البئر ، فكأنها أربعة كذا ، وأربعة كذا ، كهيئة الخشبة التي تكون على البئر ، تعلق فيها البَكَرَةُ والدِّلَاء .

٢ - الثاني من أنواء الصيف[6] (البَلْدَة) : ليست البلدة بكوكب ، وإنما هي فُرْجَةٌ بين النعائم وسَعْدِ الذَّابح ، وهو موضعٌ صغيرٌ خَالٍ ، ليس فيه كوكبٌ ، وإنما سُمِّيَ (البلدة) ، تشبيهًا بالفُرْجَة بين الحاجبين اللَّذَيْنِ هما غير مَقْرُونَيْنِ ، يقال : رَجُلٌ أَبْلَدُ ، إذا كان مفترقَ الحاجبين ، وإذا عَدَا القَمَرُ عن مواضع البلدة

---

(١) انظر : سيبويه في كتابه ١ / ٢٦٥ .

(٢) في لسان العرب (شول) : قال شَمِرٌ : شوكة العقرب التي تضرب بها تسمى : الشَّوْلَة والشَّبَاة والشوكة .

(٣) أما (الإبرة) في الفصحى فهي : طَرَفُ ذَنَبِ العقرب الذي تلدغ به ، ولها معان أخرى ، (انظر : لسان العرب - حمو ، أبر) .

(٤) في (ب) : « فهذه سبعة أنواء الربيع » .

(٥) في (ب) : « النعامة » .

(٦) قوله : « الثاني من أنواء الصيف » ساقط من (ب) .

فلم ينزلها ، فهناك كواكب صغار مستديرة خَفِيَّةٌ تسمى (البلادة) ، وينزل بها أحيانًا ، حكى أبو عبيدة في مُصَنَّفِهِ عن أبي عمرو : الأَبْلَدُ : الذي ليس بمقرونٍ ، قال : وهي البَلْدَةُ والبُلْدَةُ .

٣ - (سَعْدُ الذَّابِحُ) : كوكبان صغيران ، أحدهما مرتفع في الشمال ، والآخر هابط في الجنوب ، مع الشماليّ منهما - وهو الأعلى - كوكبٌ ، يقال : إن ذلك الكوكب شَاتُهُ التي تُذْبَحُ . وبين الكوكبين قَدْرُ ذراع في مَرْآةِ العين ، وهو من نُحُوسِ المنازل ، وأنشدني بعض أصحابنا لِابنِ بَسَّامٍ في سَعْدٍ حاجب الخاقانيّ الوزير :

يَا سَعْدُ إِنَّكَ قَدْ حَجَبْتَ ثَلَاثَةً ... كُلًّا قَتَلْتَ ، وَفِيكَ وَشْمٌ لَائِحُ[1]
وَأَتَيْتَ تَحْجُبُ رَابِعًا لِتُبِيرَهُ ... فَارْفُقْ بِهِ ، فالشَّيْخُ شَيْخٌ صَالِحُ
يَا حَاجِبَ الْوُزَرَاءِ إِنَّكَ عِنْدَهُمْ ... سَعْدٌ ، وَلَكِنْ أَنْتَ سَعْدُ الذَّابِحُ

وفيه أيضًا يقول أبو عُبَادَةَ البُحْتُرِيُّ - وكان أَسْوَدَ :

وَلَمَّا وَقَفْنَا بِبَابِ الْوَزِيرِ ... وَقَدْ رُفِعَ السِّتْرُ أَوْ جَانِبُهْ[2]
ظَلِلْنَا نُرَجِّمُ فِيكَ الظُّنُونَ ... أَحَاجِمُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِبُهْ ؟
وَأَظْلَمْتَ حِينَ لَبِسْتَ السَّوَادَ ... ظَلَامَ الدُّجَى لَمْ يَسِرْ رَاكِبُهْ

وكان ابْنُ بَسَّامٍ مُلَقًّى[3] من حُجَّابِ الوزراء ، يقصدونه - الحُجَّاب - وأخبرني من أَثِقُ به أنه حضر باب القاسم بن عبيد الله في أيام وزارته ، فَحُجِبَ عنه ، فكتب إليه :

إِنِّي أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَمُسَلِّمًا ... وَلِكَيْ أَقُومَ بِبَعْضِ حَقِّ الْوَاجِبِ[4]

---

(١) الأبيات من الكامل . (والوشم اللائح) : العلامة الظاهرة . و (تُبِيرُهُ) : تُهْلِكُهُ .
(٢) الأبيات من المتقارب ، والبيت الثالث ساقط من (ب) .
انظر : ديوان البحتري ٢٢٠ .
(٣) (رجل مُلَقًّى) : لا يزال يلقاه مكروه . (انظر : أساس البلاغة - لقى) .
(٤) الأبيات من الكامل . و (مُتَبَظْرِمٌ) كلمة مولدة يراد بها : عنيد متشدد . و (البِظْرُ) : فرج المرأة .

فَـإِذَا بِبَـابِكَ حَـاجِبٌ مُتَبَظْــرِمٌ   فَعَمُودُ بَابِكَ فِي حِرِامِّ الْحَاجِبِ
وَلَئِـنْ رَأَيْـتُكَ رَاضِيًـا بِفِعَالِــهِ   فَتَمَامُ بَابِكَ فِي حِرِامِّ الصَّاحِبِ

٤ - (سَعْدُ بُلَعَ) : وهو كوكبان صغيران مستويان في الْمَجْرَىٰ ، وإنما سُمِّي بُلَعَ ؛ لأن الذابح معه كوكب بمنزلة شَاتِه ، وهذا لاكوكب معه ، كأنه قد بَلَعَ شاته . وقال بعضهم : إنما سمي بُلَعَ ؛ لأن بين الكوكبين قَدْرَ ذراع في مَرْآة العين ، فَصُورَتُهُ صُورَةُ فَمٍ مفتوح لِيَبْلَعَ ، وهو غير مصروف عندهم ، جعلوه معدولًا بمنزلة عُمَرَ وزُفَرَ ، (وسَعْدُ)[1] مضاف إليه ، كذلك رويناه .

٥ - (سَعْدُ السُّعُود) : وهو ثلاثة كواكب ، أحدها أَنْوَرُ من الآخر ، سُمِّيَ سعد السعود ؛ لأن وَقْتَ طلوعه ابتداءُ مابه يعيش الناس[2] وسائر الحيوان من النبات والزرع واستكمال بلوغه .

٦ - (سَعْد الأَخْبِية) : كوكبان عن شمال الخِبَاء ، والأخبية أربعة كواكب ، واحد منها في وسطها يسمى الخِبَاء ؛ لأنه على صورة الخباء .

٧ - فَرْغُ الدَّلْوِ الأَعْلَىٰ : وبعضهم يسميه عَرْقُوةَ[3] الدَّلْو العُلْيا ، وهو كوكبان أزهران مفترقان[4] ، سُمِّيَا عَرْقُوَة ؛ تشبيهًا بالعَرَاقِي للدَّلْو[5] ، وسُمِّيَا فَرْغًا؛ لأن فيهما تأتي الأمطار الكثيرة ، وقبل : سُمِّيَا بذلك ؛ لأنهما على صورة الدَّلْو .

(الربع الثالث الخريف) :

١ - وأوّل أنوائه (فَرْغُ الدلو الأسفل) : ويقال : عَرْقُوَة الدلو السُّفْلَىٰ ، وصورته كوكبان مضيئان مفترقان ، يَتْبَعَانِ عَرْقُوَةَ الدَّلْوِ العُلْيَا .

٢ - (الحُوت) : وهو كوكب أَزْهَرُ نَيِّرٌ ، يسمى قَلْب السمكة ، وهو في

---

(١) « وسعد » ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : « لأن طلوعه هو وقت ابتداء ما به يعيش الناس » .

(٣) أصل العَرْقُوَة : خشبة معترضة على الدلو ، ويقال للخشبتين اللتين تعترضان على الدلو كالصليب : العَرْقُوَتَان ، وجمعها : العَرَاقِي .

(٤) في (ب) : « مقترنان » .

(٥) في (ب) : « تشبيها بعراقيّ الدَّلْو » .

وسط السمكة مما يلي رأسها ، وصورة السمكة[1] التي في المجرى كواكب مجتمعة على صورة السمكة[2] .

٣ - (الشَّرَطَان) : وهما كوكبان مقترنان ، مع الشماليّ منهما كوكبٌ أصغرُ منه ، وهما فَرْغَا الربيع ، إذا طلعا بالغداة في المشرق فقد حضر الربيع[3] ، وسُمِّيا شَرَطَيْن ؛ لأنهما كالعلامتين ، لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر ، يقال : أَشْرَطَ نَفْسَهُ ، أي : أَعْلَمَهَا علامةً يُعْرَفُ بها ، ومنه سمي الشُّرَط ؛ لأنهم أَعْلَمُوا أنفسهم بعلامة يعرفون بها[4] .

٤ - (البُطَيْن) : ثلاثة كواكب متقاربة طُمْسٌ غير نَيِّرَاتٍ ، وهو تصغير بَطْن - والبطن مذكر - سمي بذلك ؛ لأنه بطن لِلْحَمَلِ .

٥ - (الثُّرَيَّا) : وهي ستة كواكب مجتمعة طُمْسٌ ، سميت بذلك ؛ لأن مطرها يكون منه الثَّرْوَة - وهي الكثرة والْغِنَىٰ - وهي تصغير (ثَرْوَىٰ) ، ولم تُسْتَعْمَلْ في كلامهم إلا مُصَغَّرَةً ، ولم ينطق بِمُكَبَّرِهَا . وأصحاب النجوم يُسَمُّونَهَا قَلْبَ الثُّرَيَّا[5] .

قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ : وقد تكلمت العرب بأسماءٍ مصغرةٍ ، لم يتكلموا بها مُكَبَّرَةً ، وهي أربعون[6] اسْمًا ، فمنها : الْخُلَيْقَاء من الفرس

---

(١) قوله : « ممايلي ... السمكة » ساقط من الأصل .

(٢) في (ب) : « كواكب على صورة السمكة مجتمعة » .

(٣) قوله : « وهما فرغا ... الربيع » ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : « يعلمون بها » . و (الشُّرَطُ) : هم رجال الأمن من قِبَل السلطان في كل دولة ، الواحد : شُرَطِيّ وشُرْطِيّ ، واسم الجمع منه : شُرَطَة وشُرْطَة . (انظر : لسان العرب - شرط) .

(٥) قوله : « وأصحاب ... الثريا » ساقط من (ب) .

(٦) التحديد بالأربعين هنا ، هو في رأيه ، نَقْلًا عن ابن دريد ، فقد جاء في المخصص لابن سيده أسماء على هيئة المصغر ، تصل زهاء ستين اسما ، ومنها مما لم يذكره هنا : هُذَيْل وُقُعَيْن وسُهَيْل وحُنَيْن والعُذَيْب واللُّجَيْن وأم الدُّهَيْم واللُّهَيْم ... إلخ .

انظرها مشروحة في : المخصص ١٤ / ١٠٦ ومابعدها .

كموضع العِرْنِين من الإنسان – وهو مالَانَ من الأنف – والعُزَيْزَاء فَجْوَةُ الدُّبُر[1] . والعُزَيْزَاء طائرٌ . والشُّوَيْطَاء ضَرْبُ من الطعام . والشُّوَيْلَاء : موضع ، والـمُرَيْطَاء : جِلْدَةٌ رقيقةٌ بين السُّرَّةِ والعَانَةِ ، ومنه حديث عمر : « إنَّ أَبَا مَحْذُورة أَذَّنَ ، وَكَانَ أَصْيَتَ ، فسمعه عمر بن الخطاب ، فقال له : أَمَا خَشِيتَ أن تَنْشَقَّ مُرَيْطَاؤُكَ »[2] والهُيَيْمَاء : موضع ، والسُّوَيْدَاء : موضع ، قال الشاعر :

إِنَّنِي جَيْرِ وَإِنْ عَزَّ رَهْطِي بِالسُّوَيْدَاءِ الغَدَاةَ غَرِيبُ

هذا من الـمديد[3] – و (جَيْر) كلمة يراد بها الدَّهر[4] ، مبنيةٌ على الكسر ، ورُبَّمَا أُجْرِيَتْ مُجْرَى الْقَسَم ، فيقال : جَيْرِ لَأَفْعَلَنَّ .

والْغُمَيْصَاء موضع . والغُمَيْصَاء أيضًا : نَجمٌ من نجوم السماء ، ويقال : رماه بسهم ثم رماه هُدَيَّاهُ ، أي على أَثَرِهِ . والْحُمَيَّا : سَوْرَةُ الخمر . والثُّرَيَّا : من منازل القمر معروفة . والْحُدَيَّا : من التحدي ، يقال : تَحَدَّى فلان لفلان : إذا تعرض له للشر ، ويقال : أنا حُدَيَّاك على هذا الأمر : أي أخاطرك عليه . والْحُذَيَّا : من الحُذْوَةِ – وهي العطيّة – ومنه قولهم : أَحْذَانِي فلانٌ كذا : أي أعطاني ، والاسم الْحُذْوَةُ ، قال الشاعر :

---

(١) قوله : « والعزيزاء فجوة الدبر » غير موجود في (ب) . وفي الـمخصص (١٤ / ١٠٧) : العظم الذي على فقحة الفرس » .

(٢) قوله : « ومنه حديث عمر ... مريطاؤك » ساقط من (ب) . و « أبو محذورة » هو : مؤذن النبي صلى ﷺ وهو أوس بن معير ، أحد بني جُمَح . ويقال : رجل أصيت : عالي الصوت شديده .
انظر : الـمخصص ٢ / ٢٥ .

(٣) قوله : « هذا من الـمديد » غير موجود في (ب) .

(٤) ما ذكره من أن (جَيْر) بمعنى الدَّهْر ، لم يَرِدْ في لسان العرب ، وإنما الوارد الـمشهور أنها حرف للجواب بمعنى (نَعَمْ) أو (أَجَلْ) ، أو أنها للقسم .
وأنا أستحسن منه هذا التخريج لـ (جَيْر) ، وعليه تكون ظرف زمان مبنيًّا على الكسر ، ويقوِّيه اجتماع (جير) و (أجل) في نحو قول الشاعر .

وَقُلْنَ عَلَى الفِرْدَوْسِ أَوَّل مشرب أَجَلْ جَيْرِ ، أن كانت أُبِيحَتْ دَعَاثِرُهُ

إذ على أنها للجواب يكون الكلام تكرارًا بالـمعنى ، والأصل في الكلام التأسيس ، ويقويه أيضا قول الشاعر :

قالت : أراك هاربًا لِلْجَوْرِ من هَدَّةِ السلطان قلت : جَيْرِ

فإن حملها على الجواب هنا لا جدوى منه ، وإنما يقصد أن يقول : إنني سأهرب من تهديد السلطان طول الدهر .

وَقَائِلَةٍ : مَا كَانَ حُذْوَةُ جَارِهَا[1]

وفي نسخة : بَعْلِها .

والْقُصَيْرَىٰ : آخر الضلوع . والْحُبَيَّا : موضع . والْحُجَيَّا : من قولهم : فلان يُحَاجِي فلانًا . والْهُوَيْنَى : السكون والخفض . والرُّتَيْلَي : دُوَيْبَّةٌ تَلْسَعُ . والعُقَيْب : ضَرْبٌ من الطير . والْخُمَيْمِيق أيضًا : طائر . والصُّلَيْقَىٰ : طائر . والرُّضَيْم : طائر . والشُّقَيْقَةُ : طائر . واللُّبَيْد : طائر . والرُّغَيْم - بالغين معجمة - : طائر . والسُّكَيْت : آخِرُ فَرَسٍ يجيء في الرهان - وغير ابن دريد يقول : سُكَّيْت : إنما هو تخفيف سِكِّيت ، وليس سِكِّيت بمصغر ؛ لأن ياء التصغير لا تقع رابعة . والْأُدَيْبِر : دُوَيْبَّة . والأُعَيْرج : ضرب من الحيات . والأُسَيْلم : عِرْقٌ في الجسد . والكُحَيْل : القَطِرَان . والكُعَيْت : البلبل . ومُجَيْمِر : جَبَل ، وأما مُهَيْمِن ومُبَيْطر - فأسماءٌ لَفْظُها لَفظُ التصغير ، وهي مُكَبَّرةٌ في الـمعنى . وكذلك مُبَيْقِر ومُسَيْطِر ، ولا يُتَكَلَّم بها بلفظ الـمُكَبَّر ، لا يقال فيها : (مَفْعَل) - ومُهَيْمِن من أسماء الله عَزَّ وجل ، وهو الأمين والْقَيِّم ، يقال : فلان مُهَيْمِنٌ على بني فلان : أي قَيِّم بأمورهم . والْمُبَيْطِر : البَيْطَار ، والبَطْر : الشَّقُّ . ومُبَيْقِر : الذي يلعب البُقَيْرَىٰ - وهي لُعْبَةٌ لهم - ويقال : بَيْقَرَ فلان ، فهو مُبَيْقِر : إذا خرج من الشام إلى العراق[2] . ومُسَيْطِرٌ : مُتَمَلِّكٌ على الشيء . وكُمَيْت في الدواب يقع للذكر والـمؤنث بلفظ واحد . والْقُعَيْطَة : الْحَجَلَةُ ، وهي القَبَجَةُ بالفارسية[3] .

---

(1) صدر بيت من الطويل ، من شعر لأبي ذؤيب الهذلي ، وعجزه قوله : (غَدَاتَئِذٍ مِنْ شَاءِ قِرْدٍ وكاهل) . و (قرد وكاهل) : قبيلتان من هذيل ، وقد جاءت (الحذوة) في البيت بمعنى (الحذية) وهي العطية . انظر : لسان العرب (حذا) .

(2) في لسان العرب (بقر) : بَيْقَرَ الرجل : هاجر من أرض إلى أرض . وبيقر : خرج إلى حيث لا يدري . وبيقر : نزل الحضر وأقام هناك ، وترك قومه بالبادية ، وخص بعضهم به العراق ، وقول امرىء القيس :

ألا هل أتاها ، والحوادثُ جَمَّةٌ ... بأن أمرأ القيس بن تَمْلِكَ بَيْقَرَا

يحتمل جميع ذلك .

(3) انظر : لسان العرب (قبج) .

٦ – (الدَّبَرَانُ) : وهو كوكب أحمر بَيِّنٌ[١] ، وتسمى الكواكب الصغار التي بينه وبين الثُّرَيَّا : القِلَاص[٢] ، وبعضهم يسمى الدبران (التَّالِي) ؛ لأنه يتلو الثريا ، وبعضهم يسميه (الفَنِيق)[٣] ، وبعضهم يسميه (الراعي) . وسمى الدبران ؛ لأنه دَبَرَ الثريا ، والثريا تسمى (النجم) .

٧ – (الْهَقْعَةُ) : ثلاثة كواكب متقاربة ، وهي رأس الجوزاء ، كأنها ثلاث أصابع في تراب[٤] ، كأنك جَمَعْتَ بين الإبهام والسبابة والوسطى ، ونَكَتَّ بأطرافها على الأرض . وإنما سميت (الهقعة) ؛ تشبيهًا بِهَقْعَةِ الدابة ، وهي دائرة تكون عند رِجْلِ الفارس في جنب الدابة[٥] .

* **(والربع الرابع من أجزاء السنة ، هو فصل الشتاء) :**

١ – وأَوَّلُ أنوائه : (الْهَنْعَةُ) : وهي كوكبان أبيضان مفترقان[٦] في الْمَجَرَّةِ بين الجوزاء والذراع المقبوضة ، وإنما سميت (هَنْعَةً) ، من قولك : هَنَعْتُ الشيء : إذا عَطَفْتَهُ وثَنَيْتَ[٧] بعضه على بعض ، فكأن كُلَّ واحد منهما مُنْعَطِفٌ على صاحبه .

٢ – (الذِّرَاع) : هي ذراع الأسد المقبوضة ، وهذه الذراع التي في منازل

---

(١) في (ب) : « يبرق » .

(٢) في لسان العرب (قلص) : وقِلَاصُ النجم هي : العشرون نجمًا التي ساقها الدَّبَرَان في خطبة الثريَّا كما تزعم العرب ، قال طفيل :

أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فقد أَوْفَى بِذِمَّتِهِ ... كما وَفَى بقلاص النجم حاديها

(٣) قوله : « وبعضهم يسميه : الفنيق » ساقط من الأصل .

(٤) في (ب) : « وصورتها إِثْر ثلاث أصابع في ترابٍ نَدٍ » .

(٥) في لسان العرب (هقع) : الهَقْعَة : دائرة في وسط زَوْرِ الفرس ، أو عرض زوره ، وهي دائرة الحزم تستحب . وقيل : هي دائرة تكون بجنب بعض الدواب يتشاءم بها وتكره .

(٦) في (ب) : « مقترنان » .

(٧) في (ب) : « وركبت » .

القمر تُدْعَىٰ المبسوطة ، وأحد كوكبي الذراع المبسوطة الشعر في الغُمَيْصَاء[1] ، وهما كوكبان نَيِّران ، بينهما كواكب صغار ، يقال لها : (الأظفار) وإنما قيل لها : الذراع المقبوضة ؛ لأنها ليست على سَمْتِ الذراع الأخرى ، وهي مقبوضة بها .

٣ - (النَّثْرَةُ) : ضعيفة لطيفة[2] بين كوكبين ، وهي بين فم الأسد وَمِنْخَرِهِ ، وسُمِّيتْ (نثرة) ؛ لأنها كأنها قطعة سحاب قد نُثِرَتْ . وقيل : اشْتُقَّ اسمها من الاستنثار ؛ لأنها تنثر الأسد ، وتُدْعَىٰ (أَسَلَةَ اللَّهَاة) .

٤ - (الطَّرْف) : كوكبان صغيران مقترنان ، بينهما قدر قامة في مَرْآة العين ، وسُمِّيَا (الطرف) ؛ لأنهما عينا الأسد ، ويقال لهما : (الأشفار) .

٥ - (الْجَبْهَة) : أربعة كواكب فيها عِوَجٌ ، أحدها بَرَّاقٌ ، وهو اليماني منها ، وسُمِّيَتْ بذلك ؛ لأنها جبهة الأسد ، ويسميه المنجمون : (قَلْب الأسد)[3] .

٦ - (الزُّبْرَة) : كوكبان نَيِّرانِ ، سُمِّيَا بذلك ؛ لأنهما موضع زُبْرَةِ الأسد ، وهو موضع الشعر على أكتافه ، ويقال لهما : (الْخَرَاتَانِ) ، من الخَرْتِ ، وهو الثَّقْب ، كأنهما يَنْخَرِتَان إلى جَوْفِ الأسد ، أي ينفذان إليه ، وقال بعضهم : إنما سُمِّيَا الْخَرَاتَيْنِ ؛ لأنهما في عَجُزِ الأسد ، وهذا غلط ؛ لأن مَرْأَىٰ العين يدركهما في موضع نثرة[4] الأسد .

٧ - (الصَّرْفَة) : كوكب أزهر عنده كواكب طُمْسٌ ، سُمِّي بذلك ؛ لانصراف البَرْد بسقوطه . وقال ابن الأعرابي في نوادره : سميت الصَّرْفَة صَرْفَة ؛ لأن سقوطها يصرف الشتاء ، وطلوعها يصرف الحر ، قال : ويقال : إن الصرفة

---

(١) قوله : « وهذه الذراع .. الغميصاء » غير موجودة في (ب) .

(٢) في (ب) « لطخة صغيرة » .

(٣) قوله : « قلب الأسد » غير موجود في (ب) .

(٤) نثرة الأسد : أنفه ومنخراه ، أو فرجة مابين الشاربين حِيَالَ وَتَرَةِ الأنف .
انظر لسان العرب (نثر) .

ناب الدهر الذي يفتر عنه[1] .

* * *

ثم قال ابن قتيبة : « وَكَسَدَتْ سوقُ الْبِرِّ ، وَبَارَتْ بَضَائِع أَهْلِهِ ، وَصَارَ الْعِلْمُ عَارًا عَلَىٰ صَاحِبِهِ ، وَالْفَضْلُ نَقْصًا ، وَأَمْوَالُ الْمُلُوكِ وَقْفًا عَلَىٰ النُّفُوسِ » .

* * *

(السُّوقُ) : مؤنثة ، ويقال في تصغيرها : سُوَيْقَة ، وتقول العرب : لِسُوقِنَا دَرَّةٌ وغِرَارٌ[2] ، أي : نَفَاقٌ وكَسَادٌ . والسُّوقُ أَيْضًا جمع ساق ، من قوله عز وجل : ﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوقِهِ ﴾ . والساق : ساق[3] الإنسان وغيره وساق الشجرة ، وينشد :

أَنَّى أُتِيح لَهُ حِرْبَاءُ تَنْضُبَةٍ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمْسِكًا سَاقًا[4]

و (الْبَوَارُ) : الهلاك ، يقال: بار يبور بَوْرًا: إذا هلك ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾[5] أَيْ : هَلْكَىٰ .

واشتقاق (البضائع) من البَضْع – وهو القَطْع – كأنها قطعة من المال يقول : هلكت بضائع أهل العلم ، التي استبضعوها من العلم ، حين لم يجدوا لها طُلَّابًا .

و (العَارُ) : العَيْبُ ، وكذلك الذَّامُ والذَّيْمُ ، ومنه المثل : « لَا تَعْدَمُ

---

(١) قوله : « وقال ابن الأعرابي ... يفتر عنه » ساقط من الأصل .

(٢) أصل (الدّرّة) : اللبن الكثير تحلبه الناقة . وأصل (الغرار) : نقصان لبن الناقة ، يقال : غارت الناقة بلبنها تَغَارُ غِرَارًا : قَلَّ لبنها ، ومنهم من قال : ذلك عند كراهيتها للولد وإنكارها الحالب ، ثم استعمل كل منهما في السوق – على سبيل المجاز . (انظر : لسان العرب – درر ، غرر) .

(٣) قوله : « من قوله عز وجل ... ساق » ساقط من الأصل ، والآية المذكورة هي الآية ٢٩ من سورة الفتح .

(٤) البيت من البسيط ، ينسب إلى معاوية بن أبي سفيان . و (الحِرْبَاء) : دويبة مشهورة . و (تَنْضُبَة) : شجرة لها شوك قصير تقطع منه العصي ، جمعه (تَنْضُبٌ) .

انظر : لسان العرب (نضب) ، غريب الحديث للخطابي ٢ / ٥٢٧ ، المخصص ٨ / ١٠٣ .

(٥) الآية ١٢ من سورة الفتح .

الْحَسْنَاءُ ذَامًا »[1] وكذلك القَصْبُ والُوَصْمُ والْهَبْط والذَّانُ والذَّابُ - وقد يهمزان - وكذلك الذَّامُّ وَالْجَدْبُ والسَّبْعُ ، كُلُّهُ : العَيْبُ[2] .

ويقال : وَقَفْتُ الرجلَ أَقِفُهُ وَقْفًا ، وَوَقَفْتُ أنا ، ووَقَفْتُ وَقْفًا في سبيل الله ، وَوَقَفْتُ الرجلَ على ذَنْبه أَقِفُه وَقْفًا . كُلُّ هذا سواء[3] - بغير ألف ووَقَفْتُ الشيءَ ، إذا أَمْسَكْتَهُ بيدك لِيَقِفَ ، نَحْوُ (الدابة) وغيرها[4] .

وقال أبو بكر الأنباري[5] : قال أبو العباس ثعلب : ليس في كلام العرب : أَوْقَفْتُ - بالألف - إلا في موضعين : يقال : تكلم الرجل فَأَوْقَفَ : إذا انقطع عن القول عِيًّا ، وذَهَابًا عن الحجة ، وأَوْقَفْتُ المرأةَ : إذا جعلتَ لها سِوَارًا وَوَقْفًا ، من ذَبْلٍ وعَاجٍ وغير ذلك[6] ، وقد كانت نساء العرب تتخذ ذلك من العاج والذَّبْل[7] وغير ذلك ، ومنه قول القُطَامِيّ :

فَلَمَّا الْتَقَيْنَا قَامَ لِلْعَاجِ رَنَّـةٌ ... وَكُنَّا صَرِيعًا مِنْ سَلِيبٍ وَسَالِبِ[8]

يَعْنِي الأَسْوِرَة والوَقْف[9] من العاج والذَّبْل .

وقال أهل اللغة : إذا كان السِّوَارُ من الذهب قيل له : سِوَارٌ ، وإذا كان من

---

(1) ويروى : (لن تَعْدَم الحسناءُ ذَامًا) .
انظر : الفاخر ١٥٥ ، فصل المقال ٤٣ ، الزاهر للأنباري ٢ / ٥ كتاب الأمثال لأبي عبيد ٥١ .

(2) انظر : لسان العرب ، المواد : (قصب ، وصم ، هبط ، ذبب ، ذمم ، جدب ، سبع) .

(3) أي إن الفعل (وقف) وتصريفاته يُسْتَعْمَلُ ثلاثيًا مجردا ، سواء أكان متعديا أم لازما ، وسواء أكان بمعنى خلاف الجلوس ، أم بمعنى الحبس ، أم الاطلاع .

(4) أي إن (وقف) يأتي بزيادة الهمزة (أوقف) إذا كان بمعنى أطلعته على كذا ، ويأتي مجردًا في غير ذلك .

(5) هو : أبو بكر محمد بن القاسم ، من تلاميذ ثعلب ، توفى ببغداد سنة ٣٢٧هـ .
وانظر : كلام ثعلب في (الفصيح ١١) .

(6) في (ب) : « إذا جعلت لها سوارًا ، من الوقف ، وهو الذَّبْل - ضرب من الصَّدَف » .

(7) في (ب) : « يتخذن الأسورة ، من الذبل والعاج » .

(8) البيت من الطويل . انظر : ديوانه ١٥٠ .

(9) « والوقف » غير موجود في (ب) .

فضة فهو قُلْبٌ ، وإذا كان من ذَبْل وعاج فهو وَقْف[1] .

* * *

قال : « وَالْجَاهُ الَّذِي هُوَ زَكَاةُ الشَّرَفِ يُبَاعُ بَيْعَ الْخَلَقِ ، وَآضَتِ الْمُرُوءَاتُ فِي زَخَارِف النَّجْدِ وتَشْيِيد الْبُنْيَانِ ، وَلَذَّاتُ النُّفُوسِ فِي اصْطِفَاقِ الْمَزَاهِرِ ، وَمُعَاطَاةِ النَّدْمَان » .

* * *

(الْجَاهُ) : وزنه (فَعَلٌ) ، وألفه منقلبة عن واو ، وقال بعض أهل اللغة : إنما هو مقلوب من الوجه ، واستدل على ذلك بقولهم : وَجُهَ الرَّجُلُ ، فهو وَجِيهٌ : إذا كان ذاجاه ، ففصلوا بين الوجه والجاه بالقلب ، والأصل من ذلك .

وأما (الخَلَق) و (الجديد) : فإنما يستعملان في المذكر والمؤنث بغير هاء[2] ، كقولك : ثوب جديد وجُبَّةٌ جديد ، وثوب خَلَقٌ وعِمَامَةٌ خَلَقٌ . أما (جديد) فلأنه معدول عن مفعول ، وأصله مجدود . وما كان على فَعِيل بتأويل مفعول كان بغير هاء ، كقولك : كَفٌّ خَضِيبٌ وعَيْنٌ كَحِيلٌ ولِحْيَةٌ دَهِينٌ[3] ؛

---

(١) وبعض أهل اللغة يجيز إطلاق السوار على ما كان من فضة أيضًا ، وفي القرآن الكريم : ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُم شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الآية ٢١ من سورة الإنسان] . و (الأساور) ، جمع أَسْوِرَة ، التي هي جمع سِوَار .

كذلك يرى بعض أهل اللغة أن الوَقْف هو الخلخال ماكان من شيء من الفضة والذبل وغيرهما ، وأكثر مايكون من الذبل . وقيل : هو السوار ما كان .

انظر : لسان العرب (سور ، وقف) .

(٢) وجاء عن العرب : مِلْحَفَةٌ جديدة – بالتاء – قال سيبويه : هي قليلة ، وقال أبو علي الفارسي وغيره : جَدَّ الثوب يَجِدُّ – بالكسر – : صار جديدًا ، وهو نقيض (الخَلَق) ، وعليه وُجِّهَ قول سيبويه : ملحفة جديدة ، لا على أنها فعيل بمعنى مفعول .

انظر : لسان العرب (جدد) .

(٣) (كَفٌّ خَضِيبٌ) : غُيِّرَ لونها بالحِنَّاء المعروفة . و (عَيْنٌ كَحِيل) : فيها كَحَلٌ ؛ وهو أن يعلو منابت الأشفار سَوَادٌ مثل الكُحْل من غير كحل . و (لِحْيَةٌ دَهِينٌ) : مطلية بالدهن . (انظر : لسان العرب – خضب – كحل ، دهن) .

لأن تأويله : مخضوبة ومكحولة ومدهونة . وكذلك جديد ، إنما هو بتأويل مجدودة ، أي : مقطوعة ، من مِنْوَال الناسج[1] ، هذا أصله . و (الخَلَق) : مصدر ، والـمصدر يقع للمذكر والـمؤنث بلفظ واحد ، كقولهم : رجل رِضًى وامرأة رِضًى ، ورجل عَدْلٌ وامرأة عَدْلٌ . فأما قول الفراء : إنما قيل : (خَلَقٌ) - بغير هاء - لأنه كان يستعمل في الأصل مضافًا ، فيقال : أعطني خَلَقَ جُبَّتِكَ وخَلَقَ عِمَامَتِكَ ، ثم استعمل في الإفراد كذلك بغير هاء - فليس بشيء ؛ لأنه يقال له : فَلِمَ وجب سقوط الهاء منه في الإضافة ، حتى حُمِلَ الإفراد عليه ؛ ألا ترى أن إضافة الـمؤنث إلى الـمؤنث لا توجب إسقاط العلامة ، كقولك : مِخَدَّةُ هِنْدٍ ، ومُسَوَّرَةُ[2] زينب .

و (آضَت الْمُروُءَاتُ) أي : رجعت ، ومنه قولهم : فعل ذلك أيضًا ؛ لأنه مصدر : آضَ يَئِيضُ أَيْضًا .

و (الزخارف) : جمع زُخْرُف ، وهو الذهب ، ثم سُمِّيَ كُلُّ شيء مُزَيَّنٍ ومُحَسَّنٍ زُخْرُفًا ومُزَخْرَفًا .

و (النَّجْدُ) : ما نُجِّدَ ونُضِّدَ من متاع البيت ، والنَّجْدُ أصله : ما ارتفع من الأرض ، ويقال : أَنْجَدَ الرجل : إذا أتى نَجْدًا . ومن كلام العرب : (أَنْجَدَ مَنْ رأى حِضْنًا)[3] - وهو جبل بأعلى نجد - والحِضْنُ : العاج في بعض اللغات . ويقال : جَلَس الرَّجُلُ : إذا أتى جَلْسًا - بغير ألف[4] - وينشد :

---

(١) منوال الناسج : الأداة التي ينصبها ؛ لينسج بها الأثواب ونحوها . (انظر : لسان العرب - نول) .

(٢) ومُسَوَّرَةُ : موضع السِّوَار ، كالـمُخَدَّم ، لموضع الخَدَمَة . (انظر : لسان العرب - سور) .

(٣) انظر : لسان العرب (نجد) .

(٤) و (الجَلْس) : بلاد نجد ، وفي لسان العرب (نجد) : وجلس القوم يجلسون جَلْسًا : أَتَوْا الجَلْس . وفي التهذيب : أتوا نجدًا ، ومنه قول مروان بن الحكم :

قل للفرزدق ، والسفاهَةُ كاسمها ... إن كنت تارك ما أمرتك فَاجْلِسِ

أي : إيتِ نَجْدًا .

إذَا مَا جَلَسْنَا لَا تَزَالُ قُرُومُنَا   سَلِيم لَدَىٰ أَبْيَاتِنَا وَهَوَازِنٌ[1]

والنَّجَدُ – بالفتح : الكَرْبُ ، ورجل منجود ، أي مكروب ، وينشد للنابغة الذبياني :

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا   بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالنَّجَدِ[2]

و (تَشْيِيد) البنيان هو رفعه وإطالته ، ويقال : تشييده : تجصيصه ، والشِّيدُ : الجِصّ ، قال عَدِيُّ بن الرِّقاع :

شَادَهُ مَرْمَرًا وجلَّلَهُ كِلْـ   ـسًا ، فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ[3]

و (اصْطِفَاق)[4] : افتعال من (الصَّفْق) : والطاء مبدلة من التاء .

و (المِزْهَر) : العود .

و (مُعَاطَاة النَّدْمَانِ) : مناولته الكأسَ والأَخْذُ منه ؛ لأن المفاعلة أصلها أن تكون من اثنين ، كقولك : ضاربت زيدًا – إذا ضربته وضَرَبَكَ – وكذلك قاتلتُه وراميتُه وشاتمتُه ، وكذلك عاطيتُه – إذا ناولته وناولك – ، وعَطَوْتُ

---

(١) البيت من الطويل ، لم ينسب إلى قائل . و (تَرُومُنا) : تطلبنا . و (جَلَسْنَا) : أتينا جَلْسًا – وهي نَجْدٌ – و (سليم وهوازن) : قبيلتان .

انظر : المخصص ١٢ / ٥٠ .

(٢) البيت من البسيط ، من قصيدة النابغة الذبياني ، في مدح النعمان بن المنذر والاعتذار إليه .

و (المَلّاح) : قائد السفينة . و (الخَيْزُرَانة) : مؤخرة السفينة أو الدفة . و (الأَيْن) : التعب والإرهاق . و (النجد) : الكَرْبُ .

انظر : ديوانه ١٦ .

(٣) البيت من المديد ، نسب هنا إلى عدي بن الرقاع ، وفي (ب) ذكر أنه عَدِيٌّ فقط . وفي لسان العرب ذكر البيت ضمن أبيات ، ونسبه إلى عدي بن زيد العبادي .

و (المرمر) : الرخام . و (جَلَّلَهُ) : كساه وغَطّاه . و (الكِلْس) : ما طُلِيَ به حائط أو باطن قَصْر ، شبه الجِصّ من غير آجر . (ذُرَاه) : أعلى مكان منه . و (الوكور) : جمع وكر ، وهو عُشُّ الطائر .

انظر : لسان العرب (شيد – كلس) .

(٤) (الصَّفْقُ) : الضرب الذي يسمع له صوت ، و (اصطفاق المزاهر) : الصوت المُنَغَّم الذي يصدر عن ضرب الأعواد بعضها ببعض .

الشيءَ : تناولته[1] ، وأعطيته غيري : ناولته إياه ، وقد تجيء المفاعلة من واحد ، كقولك : سَافَرْتُ ، وشَارَفْتُ البَلَدَ[2] ، وطَارَقْتُ نَعْلِي[3] ، وعاقب الأمير اللَّصَ ، وعافاك الله ، وخادعت فلانًا – بمعنى خدعته – وقالوا في قول الله عز وجل : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾[4] : إنه بمعنى وَعَدْنَا ، وقال بعض أهل العلم[5] . ﴿ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾ على باب المفاعلة ، لأنه وعد من الله عز وجل ، وقبول من موسى عليه السلام للوعد والانتهاء إليه ، فهذه مفاعلة .

و (النَّدْمَانُ) : واحد ، وجمعه نَدَامَى ، مثل : سكران وسَكَارَىٰ ، وجمع نديم : نُدَمَاء ، مثل ظريف وظرفاء ، وشريف وشرفاء . قال بُرْجُ بْنُ مِسْهَرٍ الطائيُّ :

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الكَأْسَ طِيبًا ... سَقَيْتُ إِذَا تَغَوَّرَتْ النُّجُومُ[6]

وقال آخر :

رُبَّ نَدْمَانٍ كَرِيمٍ جَدُّهُ ... مَاجِدِ الْجَدَّيْنِ مِنْ فَرْعَيْ مُضَرْ[7]
قَدْ سَقَيْتُ الْخَمْرَ حَتَّى هَرَّهَا ... وَتَغَشَّتْهُ سَمَادِيرُ السَّكَرْ
قُلْتُ : قُمْ ، صَلِّ ، فَصَلَّى قَاعِدًا ... وَاقْتَرَا الْكَوْثَرَ مِنْ بَيْنِ السُّوَرْ
يَقْرِنُ الظُّهْرَ إِلَى الْعَصْرِ ، كَمَا ... تَقْرِنُ الْحِقَّةَ بِالْحِقِّ الذَّكَرْ

---

(١) في (ب) : « وعَطَوْتُه الشيءَ : ناولته » .

(٢) شَارَفْتُ البلدَ : دَنَوْتُ منه ، وقاربت أن أدخله . (انظر : لسان العرب – شرف) .

(٣) طارقْتُ نَعْلي : أطبقت إحداهما على الأخرى ثم خرزتهما . (انظر : لسان العرب – طرق) .

(٤) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف .

(٥) في (ب) : « بعض العلماء » .

(٦) البيت من الوافر. و (تَغَوَّرَتْ النجوم) : غابت .
انظر : شذور الذهب ٤٥٣ ، مغني اللبيب ١٣٠ .

(٧) الأبيات من الرمل .
و (هَرَّ الخمر) : كَرِهَها . و (السَّمَادِير) : ضَعْفُ البَصَر ، وقيل : هو الشيء الذي يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغشي النعاس والدوار . و (اقترأ) : قرأ . و (الكوثر) : السورة المعروفة في القرآن . و (يَقْرِنُ) : يجمع بين الظهر والعصر . و (الحِقّة) . ومثلهالحِقُّ – : ما دخل في السنة الرابعة من الإبل ، وعند ذلك يكون ركوبه وتحميله .

وقال حسان بن ثابت :

لَا أَخْدِشُ الْخَدْشَ بِالْجَلِيسِ ، وَلَا يَخْشَىٰ نَدِيمِي إِذَا انْتَشَيْتُ يَدِي[1]

* * *

ثم قال ابن قتيبة : « وَنُبِذَتْ الصَّنَائِعُ ، وجُهِلَ قَدْرُ الْمَعْرُوفِ ، وَمَاتَتْ الْخَوَاطِرُ ، وَسَقَطَتْ هِمَمُ النُّفُوسِ ، وَزُهِدَ في لِسَانِ الصِّدْقِ ، وَعَقْدِ الْمَلَكُوتِ » .

* * *

(نُبِذَتْ الصَّنَائِعُ) : أصل النَّبْذِ : الرَّمْيُ ، يقال : نبذت الشيء من يدي : إذا رَمَيْتَه ، قال الشاعر :

نَظَـرْتُ إِلَـىٰ عُنْوَانِـهِ فَنَبَذْتُـهُ كَنَبْذِكَ نَعْلًا أَخْلَقَتْ مِنْ نِعَالِكَا[2]

ثم يُسْتَعْمَلُ في المتروك والْمُعْرَضِ عنه ، ومنه سُمِّيَ (النبيذ) ؛ لأنه يُتْرَكُ حتى يُدْرِكَ ، والمنبوذ : الملفوظ ؛ لأن أمه نبذته ، أي : رمت به .

و (الصنائع) جمع صنيعة[3] .

ويقال : (قَدْرٌ) و (قَدَرٌ) بمعنى واحد . وقد قرىء : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[4] وَ ﴿ قَدَرِهِ ﴾ قال الشاعر الفرزدق :

---

(١) البيت من المنسرح . و (انتشيت) : سكرت .
انظر : ديوانه ٧٥ .

(٢) البيت من الطويل ، من شعر أبي الأسود الدؤلي ، وهو غير موجود في ديوانه المطبوع . و (نبذته) : رميته . و (أخلقت) : بليت .
انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٤٨ ، ١١١ ، ٢ / ١٠٦ ، الفروق اللغوية للعسكري ٢٤٥ .

(٣) ويقصد منها : المعروف والإحسان تقدمه إلى غيرك .

(٤) الآية ٩١ من سورة الأنعام . والقراءة – بفتح الدال من (قدره) هي قراءة أبي حيوة ، وهي لغة .
انظر : تفسير القرطبي (في موطن هذه الآية) .

وَمَاصَبَّ رِجْلِي فِي حَدِيدِ مُجَاشِعٍ ... مَعَ الْقَدْرِ إِلَّا حَاجَةٌ لِي أُرِيدُهَا[1]

وَقَدَرْتُ الشيءَ قَدْرًا وَقَدَرًا ، فإذا قلت : قَدَّرْتُ – بالتشديد – فالمصدر التقدير ، والقَدْرُ جائز .

و (الْمَعْروفُ) والْعُرْفُ : اصطناع الخير واعْتِقَادُهُ في أعناق الرجال[2] ، وإنما سُمِّيَ معروفًا ؛ لأن كل إنسان يعرفه ويأنس به[3] ولاينكره .

وأنشد[4] ابن دُرَيْدٍ ، قال : أنشدني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه ، قال : أنشدنا أعرابي من بني تميم لنفسه :

مَـنْ تَصَدَّىٰ لِأَخِيـهِ ... بِالْغِنَىٰ ، فَهْوَ أَخُـوهُ[5]
فَـإِنْ اضْطُـرَ إِلَيْـهِ ... رَاءَ مِنْـهُ مَـايَسُوهُ
يُكْرَمُ الْمُثْرِي ، فَإِنْ أَمْـ ... ـلَـقَ أَقْصَاهُ بَنُـوهُ
لَـوْرَأَىٰ النَّـاسُ نَبِيًّـا ... سَائِلًا مَـا وَصَلُـوهُ
وَهُمْ لَوْ طَمِعُوا فِـي ... زَادِ كَـلْبٍ أَكَلُـوهُ
لَا تَرَانِي آخِرَ الدَّهْـ ... ـرِ بِـتَسْآلٍ أَفُـوهُ
إِنَّ مَنْ يَسْأَلْ سِوَى الرَّحْـ ... ـمَـنِ يَكْثُرْ مُحْرِمُـوُهْ

---

(١) البيت من الطويل . و (مجاشع) : اسم رجل من بني تميم ، وهو مجاشع بن دارم . انظر : ديوانه ١١٢ ، لسان العرب (قدر) ، الاقتضاب ٣ / ٤٠٢ .

(٢) الكلام هنا على التمثيل . والمقصود إيصال المعروف إلى الرجال ، كأنه حبل يعقد حول أعناقهم ، نظير قوله تعالى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَابَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الآية ١٨٠ من سورة آل عمران] أي : يكون مالهم كالطوق في أعناقهم .

(٣) قوله : « ويأنس به » غير موجود في (ب) .

(٤) هذا الكلام مع الأبيات الآتية بعده ، وردت في النسخة (ب) مؤخرة عن هذا الموضع ، إذ وردت بعد قول الشاعر الآتي :

يُثْنِي عليك لِسَانُ مَنْ لَمْ تُوْلِهِ ... خَيْرًا ؛ لأنك بالثناء جدير

(٥) الأبيات من مجزوء الرمل ، وقد نسب بيتان منها إلى أبي العتاهية . انظرها ، أو بعضا منها ، في : ديوان أبي العتاهية (الأنوار الزاهية) ٢٩٥ ،أمالي ابن دريد ١٦٦ ، البخلاء للجاحظ ٢٥٧ ، البيان والتبيين ٢ / ٧٦ ، نهاية الأرب ب ٣ / ٨١ .

وَالَّـذِي قَـامَ بِـأَرْزَا ... قِ الْوَرَىٰ طُرًّا سَلُوهُ

وَعَنِ النَّاسِ بِفَضْلِ الـ ... ـلّهِ ، فَاغْنَوْا وَاحْمَدُوهُ

تَكْسِبُوا أَثْوَابَ عِـزٍّ ... فَاسْمَعُوا مِنِّي وَعُـوهُ

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا ... حِبِكَ الدَّهْرَ أَخُـوهُ

فَـإِذَا احْتَـجْتَ إِلَيْـهِ ... سَاعَـةً مَـجَّكَ فُـوهُ

أَهْنَأُ الْمَعْـرُوفِ مَالَـمْ ... تُبْتَـذَلْ فِيـهِ الْوُجُـوهُ

وأخبرنا أبو إسحاق الزجاج ، عن المبرد ، أنه قال : أنشدنا عبد الله بن جعفر قول الشاعر :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُـونُ صَنِيعَـةً ... حَتَّى تُصِيبَ بِهَا طَرِيقَ الْمَقْتَلِ[1]

يقال : هذا رجل يريد أن يَنْحَلَ الناسَ فقال : أَمْطِرُ المعروفَ إمطارًا ، فإن صادف موضعه فهو الذي قصدت ، وإلا كنت أَحَقَّ به .

وقال ابن عباس : لَا يُزَهِّدَنَّكَ في المعروف كُفْرُ مَنْ كَفَرَهُ ؛ فإنه يَشْكُرُكَ عليه مَنْ لَمْ تَصْطَنِعْهُ إليه ، على أن الناس ينشدون :

وَمَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يُلَاقِ الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرِ[2]

وأنشدني الأخفش[3] في المعنى الأول أبياتًا ، رَثَى بها بعض الأجواد ، ذكر أنها نهاية في معناها :

---

(١) البيت من الكامل ، ولم أهتد إلى قائله ، ويروى الشطر الثاني في (ب) : (حتى يصاب بها طريق مَهْيَعُ) . و (طريق مَهْيَعٌ) : واضح واسع بَيِّنٌ .

انظر : لسان العرب (هيع) ، الكامل للمبرد ١ / ٨٨ ، تهذيب الألفاظ ٤٧٠ .

(٢) البيت من الطويل .

و (أم عامر) : كنية الضَّبُع ، والعرب تضرب بها المثل في الحمق ، لأنه يُدْخَلُ عليها فيقال : ليست هذه أم عامر ، حتى تُجَرَّ برأسها فتؤخذ . انظر هذا البيت مع أبيات أخرى في : أمالي ابن دريد ٢٢٤ .

(٣) في (ب) : « أنشد أبو الحسن الأخفش » .

لَهَفِي عَلَيْكَ للهفة مِنْ خَائِفٍ ... يَبْغِي جِوَارَكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ[1]
أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسٌ ... بِجِوَارِ قَبْرِكَ ، وَالدِّيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ صَنَائِعُهُ ، فَعَمَّ مُصَابُهُ ... فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
وَالنَّاسُ مَأْتَمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ ... فِي كُلِّ دَارٍ أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ ... خَيْرًا ؛ لِأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرُ

وقوله : (وَعَقْدِ الْمَلَكُوت) هو مصدر : عَقَدْتُ عَقْدًا ، هكذا كان يختاره أبو الحسن على بن سليمان[2] الأخفش ، وكان الصائغ[3] يرويه : (وعُقَدِ الملكوت) يجعله جمع عقدة ، مثل غُرْفَة ، وغُرَف .

(والْمَلَكُوت) الْمُلْك ، والتاء زائدة ، كما زيدت في جَبَرُوت وعَنْكَبُوت ، ومن كلام العرب : (رَهَبُوتَى خَيْرٌ مِنْ رَحَمُوتَى)[4] أي : أن تُرْهَبَ خَيْرٌ لُك من أن تُرْحَمَ .

* * *

قال ابن قتيبة : « فَأَبْعَدُ غَايَاتِ كَاتِبِنَا فِي كِتَابَتِهِ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْخَطِّ ، قَوِيمَ الْحُرُوفِ » .

* * *

---

(١) الأبيات من الكامل ، تنسب إلى شمردل بن شريك الليثي ، أو عبد الله بن أيوب التيمي . وجاء عجز البيت الأول في (ب) : (كنت المجير له وليس مجير) ، كما جاء صدر الثاني : (أما القبور فلن تزال أنيسة) .

انظر : مغني اللبيب ٨٢٥ ، شرح شواهد المغني ٣١٣ ، الحماسة بشرح المرزوقي ٩٥٠ .

(٢) قوله : « أبو الحسن على بن سليمان » ساقط من الأصل .

(٣) هو : أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ تلميذ الأخفش ، توفى سنة ٣١٣هـ .

(٤) من أمثال العرب ، ويروي : (رَهَبُوتٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ رَحَمُوتٍ) . و (الرهبوت) : مصدر للفعل رهب بمعنى خاف . و (الرحموت) : مصدر للفعل رحم . كما يروي المثل : (رهباك خير من رغباك) .

انظر : مجمع الأمثال للميداني ١ / ٢٨٨ ، كتاب الأمثال لأبي عبيد ٣٠٩ ، لسان العرب (رهب ، رحم) .

هذا إنما ذكره مُنْكِرًا[1] على من اقتصر من الكُتَّاب على حُسْنِ الخَطِّ ، دون ما سواه من الآداب ، ورأى أنه قد تناهي في الكمال ، إذ حَسُنَ خَطُّهُ . وهذا - لَعَمْرِي ، كما قال - مُنْكَرٌ على من كان هذا من رأيه ومذهبه ، ورَضِيَ به مرتبةً[2] ؛ لأنه إنما هو في تلك الحال بمنزلة مُزَوِّقٍ نَقَّاشٍ مَحَالَّ[3] ، وليست هذه من المنازل التي يَرْضَىٰ بها كَاتِبٌ لنفسه . فأما حُسْنُ الخط فمحمودٌ بالجملةِ ، ويقال : إن أَوَّلَ مَعْرِضِ الكاتب لِبَاسُهُ ، ثم خَطُّهُ ، ثم كَلَامُهُ ، ثم صِنَاعَتُهُ . وقد جاءت في الخط والقلم آثارٌ ، وقيل فيهما من الأشعار وكلام الأدباء والحكماء ما هو مشهور ، لو جُمِعَ لكان ضِعْفَ الكِتَابِ الذي قصدنا لتفسير رسالته ، ولٰكِنَّا نذكر من ذلك هَاهُنَا شيئًا يسيرًا ، يلَيِقُ ذِكْرُهُ به ، ولا يخرج عن مَقْصِدِنَا . قال الله عز وجل : ﴿ نٓ . وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[4] وقال : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾[5] وقال النبي - ﷺ - : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ، جَرَىٰ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »[6] ، وروى عن ابن عباس أنه قال في قوله عز وجل : ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾[7] قال : الْخَطُّ الْحَسَنُ . وقال عز وجل في

---

(١) في (ب) « هذا إنما أنكره » .

(٢) في (ب) : « ورضى عن مرتبته » .

(٣) قوله : « محال » غير موجود في (ب) .

(٤) الآيتان ١ ، ٢ من سورة القلم .

(٥) الآيتان ٣ ، ٤ من سورة العلق .

(٦) من رواية أبي ظبيان عن ابن عباس ، قال : « أول ما خلق الله القلم ، فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء فخلق منه السماء ، ثم خلق النون ، فبسط الأرض على ظهره ، فمادت الأرض ، فأثبتت بالجبال ، وإن الجبال لتخر على الأرض »، ثم قرأ ابن عباس: «ن . والقلم وما يسطرون » . اهـ . ويروي الحديث بألفاظ أخرى من طريق أبي هريرة .
انظر : تفسير القرطبي (تفسير سورة القلم) .

(٧) الآية ٤ من سورة الأحقاف . ولم أجد تفسير (الأثارة) بمعنى (الخط الحسن) عن ابن عباس ، ولعل الزجاجي قد التبس عليه الأمر ، فالمرويُّ عن ابن عباس في تفسير (الأثارة) قوله : (هي الخط في التراب ، وذلك شيء كانت العرب تفعله وتتكهن به وتزجره) ويعلق أبو حيان على ذلك ويقول : تفسيره الأثارة بالخط يقتضي تقوية أمر الخط في التراب ، وأنه شيء له وجه . وقيل : « إن صح تفسير ابن عباس الأثارة بالخط في التراب كان ذلك من باب التهكم بهم وبأقوالهم ودلائلهم » . اهـ . وانظر توضيحًا وتفصيلًا في تفسير هذه الآية في : البحر المحيط لأبي حيان ، وفي تفسير القرطبي .

الحكاية عن يوسف : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[1] قال : أي كاتب حاسب ، وقال بعض المفسرين في قوله تبارك وتعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَايَشَاءُ ﴾[2] قال : هو الصوت ، وقال بعضهم : هو الخط الحسن ، ويروى عن النبي – صلى الله عليه وآله أنه قال : « الْخَطُّ الْحَسَنُ يَزِيدُ الْحَقَّ وضُوُحًا »[3] ، وقال بعض العلماء : من جلالة القلم أنه لم يكتب لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ كتاب إلا به[4] ، وقال الجاحظ : اللسان أكثر هَذْرًا ، والقلم أَبْقَى أَثَرًا ، والكتابُ يقرأ في كل زمان ، واللسان لا يَعْدُو سَامِعَه[5] .

ونظر أعرابي إلى كاتب يكتب فقال : الدواة مَنْهَلٌ ، والقلم مَاتِحٌ ، والكتابُ عَطَنٌ[6] . ونظر ابن رجاء إلى خط بعض الكتاب فقال : خَطٌّ هذا مُتَنَزَّهُ الألحاظ ، ومُجْتَنَىٰ الألفاظ . وقد قيل : جَوْدَةُ الخَطِّ إِحْدَىٰ البلاغتين ، وَرَدَاءَةُ الخَطِّ إحدى الزَّمَانَتَيْنِ ، وحُسْنُ التدبير أَحَدُ الـمَعَاشَيْن[7] . وقال إقليدس[8] : الخط هندسةٌ رُوحانِيَّةٌ ، ظهرت بآلةٍ جَسَدَانِيَّة ، وقال بعضهم : الخَطٌّ شيء أظهره العقل ، بواسطةٍ هي القلم ، فلما قابل النَّفْسَ عشقته بالعُنْصُرِ . وقال الحُسَّابُ : وزن القلم من حساب الْجُمَّلِ[9] (نَفَّاعٌ) ، وذلك أن الأَلِفَ

---

(١) الآية ٥٥ من سورة يوسف . وانظر هذا التأويل في تفسير القرطبي .

(٢) الآية الأولى من سورة فاطر . وانظر هذا التأويل في تفسير القرطبي .

(٣) لم أجده فيمًا بين يدي من كتب الحديث .

(٤) نسب هذا القول إلى ابن ميثم في أدب الكتاب للصولي ٦٨ .

(٥) قوله : « وقال الجاحظ ... سامعه » غير موجود في الأصل .

(٦) من كلام نسب إلى الجاحظ في أدب الكتاب للصولي ٦٧ . و (الـمَنْهَل) : عين الماء تردها الإبل للشرب . و (الـماتح) :مُسْتَخْرِج الـماء من البئر . و (العَطن) : الـمكان الذي تَبْرُكُ فيه الإبل قريبا من الـماء بعد أن تروي لتعود فتشرب . والكلام على التمثيل ، يريد أن يقول : إن القلم يستخرج الحبر من الدواة ليضعه في أوراق الكتاب .

(٧) قوله : « وحسن التدبير أحد الـمعاشين » غير موجود في (ب) . وانظر هذا القول في : أدب الكتاب للصولي ٥٣ .

(٨) هو : عبد الرحمن اسماعيل الأندلسي ، عالم في الهندسة والـمنطق ، توفى في القرن الثالث الهجري .

(٩) طريقة من طرق الحساب عند القدماء ، يجعلون لكل حرف من حروف الهجاء عددًا حسابيًا ، فالألف واحد ، والباء اثنان والجيم ثلاثة والدال أربعة ، وهكذا مع مضاعفة العشرات إذا وصل الحرف إلى عشرة ، ومضاعفة الـمئات إذا وصل إلى مائة ، و (الجُمَّل) بضم الجيم وتشديد الـميم الـمفتوحة ، قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا .

واحد ، واللَّامَ ثلاثون ، والقَافَ مائةٌ ، واللام ثلاثون ، والـميم أربعون ، فذلك مائتان وواحد . وكذلك نَفَّاعٌ : للنون خمسون ، وللفاء ثمانون ، وللألف واحد ، وللعين سبعون ، فذلك مائتان وواحد[1] - فقد استوى حسابهما .

وقال أبو تمام الطائي في محمد بن عبد الـملك الزيات - وهو من أجود ما قيل في القلم - :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَاتِهِ ... يُصَابُ مِنَ الْمَرْءِ الْكُلَى وَالْمَفَاصِلُ[2]

لَكَ الْخَلَوَاتُ اللَّاءِ لَوْلَا نَجِيُّهَا ... لَمَا احْتَفَلَتْ لِلْمُلْكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَـاتِلَاتِ لُعَابُـهُ ... وَأَرْيُ الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ

لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِـنَّ وَقْعَهَـا ... بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهْوَ رَاكِبٌ ... وَأَعْجَمُ إِنْ نَاطَقْتَهُ وَهْوَ رَاجِلُ

إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللِّطَافَ وَأُفْرِغَت ... عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهْيَ حَوَافِلُ

أَطَاعَتْهُ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ وَقُوِّضَتْ ... لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلُ

إِذَا اسْتَغْزَرَ الذِّهْنَ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ ... أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهْيَ أَسَافِلُ

وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصَرَانِ وَسَدَّدَتْ ... ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِـلُ

رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ ، وَهْوَ مُرْهَفٌ ... ضَنًى ، وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهْوَ نَاحِلُ

وقال الحسن بن الْحُمَام :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ ، وَمَالَهُ ... لِسَانٌ وَلَا أُذْنٌ بِهِ ، وَهْوَ سَامِعُ[3]

كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَـاحَ بِسِرِّه ... لَدَيْهِ ، إِذَا مَا حَثْحَثَتْهُ الْأَصَابِعُ

---

(١) قوله : وكذلك « نفاع ... وواحد » ساقط من الأصل .

(٢) الأبيات من الطويل . انظرها في : أدب الكتاب للصولي ٧٥ .

(٣) البيتان من الطويل ، وهما ساقطان من الأصل ، ينسبان إلى الحسن بن جماعة الجذامي .
انظرهما مع أبيات أخرى في : الحيوان للجاحظ ١ / ٦٧ .

وقال الْقُطَامِيّ :

لَكَ الْقَلَمُ الَّذِي لَمْ يَجْرِ يَوْمًا لِغَايَةِ مَنْطِقٍ ، فَكَبَا لِعِيٍّ[1]
وَمُبْتَسِمٌ عَلَى الْقِرْطَاسِ يَأْسُو وَيَجْرَحُ ، وَهْوَ ذُوبَالٍ رَخِيّ
فَمَا الْمِقْدَارُ أَمْضَىٰ مِنْ شَبَاهُ وَلَا الصَّمْصَامُ سَيْفُ الْمَذْحِجِيِّ

ونظر بعض الكُتَّاب إلى جارية له تكتب فقال[2] :

وَزَادَتْ لَدَيْنَا حُظْوَةً يَوْمَ أَطْرَقَتْ وَفِي إِصْبَعَيْهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ مُرْهَفُ
أَصَمُّ ، سَمِيعٌ ، سَاكِنٌ ، مُتَحَرِّكٌ يَنَالُ جَسِيمَاتِ الْمَدَىٰ وَهْوَ أَعْجَفُ

وقال أبو بكر محمد بن الحسن[4] بن دريد :

نَحِيفٌ جَلِيلُ الْخَطْبِ أَخْرَسُ نَاطِقٌ يَرُدُّ بَنَاتِ اللُّبِّ طَوْعًا إِلَى الْقَلْبِ[5]
إِذَا الْيَدُ أَصْغَتْهُ لِيَعْمَلَ غَرْبُهُ رَأَيْت بَنَات الْفِكْرِ تُصْغِي إِلَى اللُّبِّ

وأهدى أبو تمام الطائي إلى الحسن بن وهب دَوَاةَ أبنوسٍ مُحَلَّاةً بذهب وكتب إليه :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ أُمَّ الْعَطَايَا وَالْمَنَايَا زَنْجِيَّةَ الْأَحْسَابِ[6]
تَتَزَيَّا بِصُفْرَةٍ ، وَكَذَا الزَّنْـ ـجُ تَحَلَّى شَكْلًا بِصُفْرِ الثِّيَابِ

---

(١) الأبيات من الوافر . انظرها في : أدب الكتاب للصولي ٨١ . و (كبا) : سقط . و (العِيّ) : العجز وعدم الإبانة عن المراد . و (يأسو) : يداوي . و (رَخِيّ) : هادىء رحب . و (المقدار) : القضاء والقدر . و (أمضى) : أسرع وأقطع . و (الشبا) : حد القلم . و (الصمصام) : السيف . و (المَذْحِجِى) : منسوب إلى مَذْحِج (قبيلة) .

(٢) ذكر هذه النادرة في : أدب الكتاب للصولي ٨٤ . وفيه : « دخل عيسى بن فرخا نشاه على جارية وهي تكتب خطا حسنا ، فقال :... ثم ذكر أبياتا ثلاثة ، من بينها هذان البيتان ، وهما من الطويل » . و(أهيف) : طويل (يريد القلم) ، وفي رواية الصولي : « مرهف » ، أي رقيق الشفرة كحد السيف . و (أعجف) : مهزول نحيف .

(٣) قوله : « أبو بكر محمد بن الحسن » ساقط من الأصل .

(٤) البيتان من الطويل . و (الخطب) : المهم من الأمور . و (يزف) : يسوق . و (اللب) : العقل و (غَرْبُهُ) : حَدّ سيفه ، والمقصود هنا القلم . و (أَصْغَتْه) : أَمَالَتْه ، والمقصود : حركته بأن كتبت به .

(٥) الأبيات من الخفيف . انظر : ديوان أبي تمام ٢٥٠ .

رِيقُهَا رِيقُ نَحْلَةٍ وَحَبَابٌ   حِينَ يَجْرِي لُعَابُهَا فِي الْكِتَابِ
فِي حَشَاهَا لِغَيْرِ حَرْبٍ حِرَابٌ   هِيَ أَمْضَى مِنْ نَافِذَاتِ الْحِرَابِ
لَا كِفَاءَ لَهَا ، وَلَا لَكَ وَاللَّـ   ـهِ كِفَاءٌ فِي جُمْلَةِ الْكُتَّابِ

ومن أغرب ما قيل في القلم قول ابن الرومي :

إِنْ يَخْدُمِ القَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ   لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ[1]
فَالْمَوْتُ – وَالْمَوْتُ لَا شَيْءٌ يُعَادِلُهُ   مَازَالَ يَتْبَعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
كَذَا قَضَى اللهُ لِلْأَقْلَامِ مُذْ بُرِيَتْ   أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ

* * *

ثم قال : « وَأَعْلَى مَنَازِلِ أَدِيبِنَا أَنْ يَقُولَ مِنَ الشِّعْرِ أُبَيَّاتًا فِي مَدْحِ قَيْنَةٍ أَوْ وَصْفِ كَأْسٍ » .

* * *

قال أبو القاسم : هذا أَيْضًا يقوله لمن رَضِيَ من الأدباء بهذه المنزلة[2] ، وكان أَفْضَلَ مافيه قَوْلُ الشِّعْرِ ، وَخَلَا مِمَّا سِوَاهُ من الآداب ، ورأى أنه إذا قال أُبَيَّاتًا فقد تكامل أَدَبُهُ ، وتَنَاهَى في علمه ، وليست هذه مَرْتَبَةَ العلماء ، ولا يرضى بها الأدباء . فأمّا من قال الشعر طبعًا غير متكلف ، وكان متأدبًا ، فَضَمَّ إلى أدبه قَوْلَ الشعر ، فهذا الطعن غير متعلق به .

وقد قال بعض العلماء : الشعر أَدْنَى مُروءَةَ السَّرِيِّ ، وَأَسْنَى مروءة الدَّنِيِّ ، وقال الآخر : الشعر فساد المروءة . وقال آخرون : الشعراء أَنْقَصُ أهل الأدب مَرَاتِبَ . وقال عمر رحمه الله : أَقَلُّ أهل المروءات من كان الشِّعْرُ دَلِيلَ مروءته . وقيل للنابغة الذبياني : من أشعر الناس ؟ فقال : من اسْتُجِيدَ كَذِبُه ، وَضُحِكَ من رديئه . وقيل للخليل بن أحمد : لم لَا تقول الشعر ؟ فقال : الذي يجيئني لا أرضاه ، والذي أرضاه لا يجيئني ، وهو القائل :

---

(١) الأبيات من البسيط . انظر : ديوان ابن الرومي ٣٢٠ .

(٢) في (ب) : « لمن رضى من الأدب بهذا » .

أَبْلِغْ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنْهُ فِي سَعَةٍ ... وَفِي غِنًى ، غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَامَالِ[1]
شُحًّا بِنَفْسِيَ أَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا ... يَمُوتُ هُزْلًا ، وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالِ
فَالرِّزْقُ عَنْ قَدَرٍ ، لَا الْعَجْزُ يُنْقِصُهُ ... وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلُ مُحْتَالِ
وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ ، لَا فِي الْمَالِ تَعْرِفُهُ ... وَمِثْلُ ذَاكَ الْغِنَى فِي النَّفْسِ ، لَا الْمَالِ

(أُبَيَّات) : تصغير (أَبْيَات) ، وإنما يراد بتصغير الجمع تَقْلِيلُ عَدَدِهِ ، فإذا كان الجمع الذي يراد تصغيره من أبنية أَقَلِّ العدد صُغِّرَ على لفظه ، وأبنية أَقَلِّ العدد أربع : (أَفْعَالٌ نحو : أحمال وأعدال . و (أَفْعِلَةٌ) نحو : أرغفة وأقفزة . و (فِعْلَةٌ) نحو : صِبْيَة . و (أَفْعُلٌ) نحو : أَكْلُبٌ وأَفْلُسٌ ، فيقال في تصغيره : أُحَيْمَال وأُعَيْدَال وأُرَيْغِفَة وأُقَيْفِزَة وأُصَيْبِيَة وأُكَيْلِب وأُفَيْلِس . وإن كان لأكثر العدد رُدَّ إلى بناء أَقَلِّ العدد[2] ، كقولك في تصغير : جِمَال : أُجَيْمَال . وفلوس : أُفَيْلِس . وكلاب : أُكَيْلِب – وكذلك ما أشبهه .

و (الْقَيْنَةُ) : الْمُغَنِّيَةُ ، قال ابن دُرَيْدٍ : اشتقاقها من قول العرب : قانت المرأةُ الجاريةَ : إذا زَيَّنَتْهَا ، وبه سُمِّيَتْ الماشطة (مُقَيِّنَة) ، فَالْقَيْنَةُ – على هذا – إنما سميت بذلك ؛ لِتَزَيُّنِها وَتَحَسُّنِها وتَصَنُّعِهَا عند الغناء للرجال ، وقال ابن كَيْسَان : إنما[3] سميت قَيْنَة ؛ لأنها تعمل بيدها مع غَنَائِها ، وكُلُّ صانع بيده قَيْنٌ . وتفسير ابن دريد عندي أحسن وَأَصَحُّ ؛ لأن الْقَيْنَ عند العرب الحَدَّادُ ،

---

(١) الأبيات من البسيط ، وقد سقط البيت الرابع من الأصل ، وجاء صدر البيت الثالث في (ب) برواية : (فالرزق عن قدر لا الحرص يجلبه) . انظر الأبيات في : الأمالي للقالي ٢ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٢) هذا أحد وجهين في تصغير جمع التكسير من غير أوزان جمع القلة ، أما الوجه الثاني فهو : أن يُرَدَّ إلى مفرده ثم يُصَغَّرُ هذا المفرد ويجمع بعد تصغيره جمعًا مناسبًا : بالواو والنون إن كان لمذكر عاقل ، وبالألف والتاء إن كان لغير ذلك ، فتقول على هذا في تصغير دراهم (دُرَيْهِمات) ، وفي تصغير رجال : (رُجَيْلُون) ، وفي تصغير أسود : (أُسَيِّدَات) . هذا كله فيما إذا كان لجمع الكثرة جمع قِلَة من لفظه ، فإن لم يكن له جمع قِلَّة ، تعين رَدّه إلى المفرد ، ثم جمعه بعد التصغير .
(انظر : شرح شافية ابن الحاجب ١/ ٢٦٦) وباب التصغير في كتب الصرف الأخرى .

(٣) قوله : « وتصنعها ... إنما » غير موجود في (ب) .

ومنهم من يقول : كل صانع إسْكَاف ، ويحتج بقول الشَّمَّاخ :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْطِقٌ وَأَطْرَافْ[1]

وَرَيْطَتَانِ وَقَمِيصٌ هَفْهَافْ

وَشُعْبَتَا مَيْسٍ بَرَاها إِسْكَافْ

يريد : النَّجّار . ولا يبعد أن يكون منهم من يسمى كُلَّ صانع بيده قَيْنًا – كما حَكَى ابن كَيْسَانَ – كما جاز أن يسميه الآخرون إِسْكَافًا[2] .

و (الْكَأْسُ) : الإناء بمافيه من الخمر ، وكذلك (المائدة) تسمى مائدةً إذا كان عليها طعام ، وإلا فهي خِوَانٌ ، و (القلم) يسمي قَلَمًا إذا كان مَبْرِيًّا ، وإلا فهو قَصَبَةٌ[3] .

* * *

ثم خرج ابن قتيبة إلى ذكر الفلاسفة فقال : « وَأَرْفَعُ دَرَجَاتِ لَطِيفِنَا – اللَّطِيفُ هَاهُنَا الْمُتَفَلْسِفُ – أَنْ يَنْظُرَ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقَضَاءِ وَحَدِّ الْمَنْطِقِ » – يعني بالقضاء هاهنا أحكام النجوم – إلى أن انتهى به القول في ذكر الفلاسفة إلى قوله : « فَإِذَا سَمِعَ الْغُمْرُ ، وَالْحَدَثُ الْغِرُّ قَوْلَهُ : الْكَوْنُ وَالْفَسَادُ وَسَمْعُ الْكِيَانِ وَالْأَسْمَاءُ الْمُفْرَدَةُ والْكَيْفِيَّةُ وَالْكَمِّيَّةُ ، رَاعَهُ مَاسَمِعَ ، وَظَنَّ أَنَّ تَحْتَ هَذِهِ الْأَلْقَابِ كُلَّ فَائِدَةٍ

---

(١) الأبيات من الرجز . و (الرَّيْطتان) : مثنى رَيْطَة ، وهي كل مُلَاءَة ذات لِفْقَيْن ، كُلُّها نَسْجٌ واحد ، أو هي كل ثوب ليّن دقيق خفيف ، تكاد الريح تطيره ، أو الخَلَق البالي . و (المَيْسُ) : الخشبة الطويلة التي بين الثورين ، ويريد بالشعبتين : آخرةُ الرحل وقادمته .

انظر : ديوانه ١٠٣ ، المخصص ١٢ / ٢٥٧ ، الاقتضاب ٣ / ١٥٧ ، لسان العرب (ميس) .

(٢) في لسان العرب (سكف) : « والإسكاف عند العرب : كل صانع غير من يعمل الخفاف ، فإذا أرادوا معنى الإسكاف في الحضر قالوا : الأسكف » اهـ .

وفي لسان العرب أيضا (قين) : « القَيْن : الحَدَّاد ، وقيل : كل صانع قَيْنٌ » اهـ .

وانظر تخطئة بعضهم لذلك في لسان العرب (سكف ، قين) .

(٣) انظر : درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ١٠ ، ١١ . وانظر تصحيح الخفاجي لهذا الاستعمال في شرح الدرة ٣٨ ، ٣٩ .

وَكُلّ لَطِيفَةٍ ، فَإِذَا طَالَعَهَا لَمْ يَحْلَ مِنْهَا بِطَائِلٍ ، إِنَّمَا هُوَ الْجَوْهَرُ يَقُومُ بِنَفْسِهِ ، وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ ، وَرَأْسُ الْخَطِّ النُّقْطَةُ ، وَالنُّقْطَةُ لَا تَنْقَسِمُ ، وَالْكَلَامُ أَرْبَعَةٌ : أَمْرٌ وَاسْتِخْبَارٌ وَخَبَرٌ وَرَغْبَةٌ ، ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الصِّدْقُ وَالكَذِبُ ، وَوَاحِدٌ يَدْخُلُهُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ - وَهُوَ الْخَبَرُ ، وَالْآنَ حَدُّ الزَّمَانَيْنِ ، مَعَ هَذَيَانٍ كَثِيرٍ » . هذا كُلُّهُ كلام ابن قتيبة .

* * *

وما رأيت أَطْرَفَ من كلامه في هذا الفصل ؛ لأنه جمع بين الحكاية عن المنطق والهندسة ، وعاب الجميع ، وجعله هَذَيَانًا ، من غير أَنْ رَدَّ مسألةً على القوم ، ولا أَبَانَ فَسَادَ شَيْءٍ مما يذهبون إليه بُحِجَّةٍ ولا دليلٍ أَكْثَرَ من أَنْ سَمَّاهُ هَذَيَانًا ، وهذا هو الْعِيُّ الْبَيِّنُ ، والتَّعَجْرُفُ التَّامُّ[1] .

وأعجب من هذا كُلِّهِ أنه أنكر على القوم تحديدهم الجواهر والأعراض ، وليس أَحَدٌ من أصناف المتكلمين ، وسائر الْمِلَلِ والنِّحَلِ ، يدفع الجواهر المقصود بها الأجسام ، وإنما المنازعة فيما يَدَّعِيهِ بعضهم من جَوَاهِرَ تَرَكَّبَتْ منها الأجسام ، ولا يدفع الأعراض وصِحَّتَها إلا من قال بِقِدَمِ الدَّهْرِ ، فلم يُبَيِّنْ شَيْئًا من ذلك ، بل جعله هذيانًا جُمْلَةً ، ومع ذلك فقد أنكر أن يكون الكلام أربعة أقسام - كما ذكره القوم - وهذا شيء يذهب إليه حُذَّاقُ النحويين وعَامَّةُ أهل النظر .

فَأَمَّا مذهب الفلاسفة في المنطق ، فإن الرَّدَّ عليهم ليس هو من طريقة ماذهب إليه ، وإنما هو بأن تُذْكَرَ مذاهبهم ، وتُنْقَضَ وتُعَارَضَ بما يُفْسِدُها - كما قد فعل ذلك جماعة من أصحابنا - وكذلك الرد عليهم في الهندسة .

وجُمْلَةُ القول في هذا الفصل أن كلام ابن قتيبة أَوْلَى[2] أن يُسَمَّى هَذَيَانًا من

---

(١) (العَيّ) : العجز . و (التعجرف) : عدم التَّرَوِّي في الحكم ، مع الجفوة في الكلام والخرق في العمل . (انظر : لسان العرب - عجرف) .

(٢) في الأصل : « أن كلامه أَوْلَى » .

الحكاية التي لم ينقضها ، ولم يَدُلَّ على فسادها .

وأنا أقول في هذا الفصل قَوْلًا وَجِيزًا ، يليق بالموضع حسب ما قصدت إليه من الشرح .

أما قوله : (سَمْعُ الكِيَانِ) فَكِتَابٌ لهم سَمَّوْهُ (سمع الكيان)[1] ، وليس في تسمية الكتاب لنا مَايَدُلُّ على خطأ مافيه ولا صوابه . يقال : سَمْعُ الْكِيَانِ ، وَسِمْعُ الْكِيَان . وتأويله عندهم : اسْمَعْ ما تَكَوَّنَ ، أو مَا يَتَكَوَّنُ .

وأما قوله : (إِنَّمَا هُوَ الْجَوْهَرُ يَقُومُ بِنَفْسِهِ ، وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ) فكذلك نقول أيضًا[2] : إن الأجسام تقوم بِأَنْفُسِهَا ، والأعراضَ توجد فيها فلا تقوم بِأَنْفُسِهَا – وهي الحركات والألوان والطعون ، وما أشبه ذلك – وقد قام الدليل على حدوث الأجسام والأعراض مَعًا ، كما ذُكِرَ ذلك في الكتب الموضوعة[3] لهذا .

وأما قوله : (رَأْسُ الْخَطِّ النُّقْطَةُ ، وَالنُّقْطَةُ لَا تَنْقَسِمُ) فإن هذا قول إِقْلِيدِسَ ، قال في أول كتابه : النقطة شيء لا جُزْءَ له ، والخَطُّ طُولٌ لا عَرْضَ له ، ونهاية الخط نقطتان ، والخط المستقيم هو الموضوع على مقابلة النقطة .

فأما قوله : (النقطة شيء لا جزء له) ، فليس يريد نقطة ينقطها الكاتب ؛ لأن ذلك[4] شيء بسيط ، وإنما تأويله عندهم : أن كل متركب إذا حُلَّ فإنما يَنْحَلُّ إلى ماهو أَقَلُّ منه مما تركب منه . وهذا قول صحيح ؛ لأن المؤلَّف من أشياء إذا فُرِّقَ وفُصِلَ[5] ، فإنما يَنْحَلُّ إلى ما أُلِّفَ منه . قال : فَأَتَمُّ الأشكال

(١) في لسان العرب (كين) : « سَمْعُ الكِيَان : كتاب للعجم ، قال ابن بري : سمع الكيان ، بمعنى سماع الكيان ، وسمع بمعنى ذكر الكيان ، وهو كتاب ألفه أرسطو » .

(٢) في (ب) : « فكذلك أيضا نحن نقول » .

(٣) في (ب) : « الموضوعات » .

(٤) في (ب) : « لأن تلك » .

(٥) في (ب) : « إذا فصل وفرق » .

المجسَّم ، وهو الطويل العريض العميق ذو الجهات السِّتِّ ، التي هي (خَلْفُ وأمام ، ويمين وشمال ، وأسفل وأعلى) فكل طويل عريض عميق ذى جهات سِتٍّ فهو جسم ، وليس إلى وجود شكل أَتَمَّ من هذا سَبِيلٌ .

فإذا حُلَّ الجسم بأن رفع منه العُمْقُ وبَقِيَ الطول والعرض ، فذلك هو الشكل البسيط – وهو الطويل العريض – وذلك مايرى من ظاهر الأشكال إذا لم يُقَدَّرْ تحت ذلك عُمْقٌ .

ثم يَنْحَلُّ هذا البسيط إلى الخطوط ، بأن يُقَدَّرَ رفع العرض منه ، فيبقى الطول وحده – وهو الخط – ، وإنما هو خَطٌّ وَهْمِيٌّ ، لا ما يُصَوِّرُهُ الكاتب . ثم يَنْحَلُّ الخط إلى نقطة ، وهي نهاية مايتناهى إليه ، وليس دُونَها ما هو أصغر منها فَيَنْحَلُّ إليه .

وكذلك يقول أيضا أكثر أهل الإسلام : إن الأجسام تتجزأ أَبَدًا ، حتى تتناهى إلى جزء لا يتجزأ ؛ أي[1] لايقبل التجزئة ؛ لِقِلَّتِهِ ، ماخلا النَّظَّامَ ، فإنه يقول : إن الأجسام تتجزأ أَبَدًا إلى مالا نهاية له ، وَقَوْلُهُ في ذلك – وما أُلْزِمَ بذلك ، حتى قال بالطَّفْرَةِ – مَشْهُورٌ عند المتكلمين ، وليس هذا موضعًا يليق ذكره فيه ، وخالفته الجماعة في ذلك .

وأما حكايته عنهم أن الكلام أربعة أقسام ، مُنْكِرًا ذلك عليهم ، فليس يُمْنَعُ[2] ؛ لأن الكلام عند بعض النحويين عشرة أقسام[3] ، وعند بعضهم ستة أقسام – وهو مذهب الأخفش – وهي (الخبر والاستخبار والأمر والنهي والنداء

---

(١) في (ب) : « لأنه » .

(٢) في (ب) : « وأما حكايته عنهم منكرًا أن الكلام أربعة أقسام فليس بمنكر » .

(٣) هذه الأقسام العشرة هي : الخبر ، والاستخبار ، والأمر ، والنهي ، والدعاء ، والطلب ، والعرض ، والتحضيض ، والتمني ، والتعجب .

انظر : الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ١٥٠ . وهي فيما ذكره البطليوسي : النداء ، والمسألة ، والأمر ، والنهي ، والتشفع ، والتعجب ، والقسم ، والشرط ، والشك ، والاستفهام . (انظر : الاقتضاب ١٩) .

والتمني) وقال قُطْرُبٌ وجماعة من الحُذَّاق : الكلام كله أربعة أقسام (خبر واستخبار وطلب ونداء) فجعل الأمر والنهي دَاخِلَيْنِ تحت الطلب ، وجعل التمني داخلًا تحت الخبر[١] .

وأما قوله : (الْآنَ حَدُّ الزَّمَانَيْنِ) فللفلاسفة فيه كلام كثير ، ليس هو مِنْ غَرَضِنَا ، وَلكِنَّ أَقْرَبَ ماقيل في ذلك أن (الآنَ) آخِرُ الزمان الماضي ، وأول الزمان الآتي[٢] ، وللنحويين فيه أقوال منها :

إن سُئِلُوا[٣] عن (الآن) أَمُعْرَبٌ هو أَمْ مَبْنِيٌّ ؟ . فاتفقوا على أنه مَبْنِيٌّ على الفتح ؛ لأنك تقول : أنت من الآن تفعل كذا وكذا ، فلا يُغَيِّرُهُ العامل ، ولو كان مُعْرَبًا لتغيَّر باختلاف العوامل عليه . وهو من شاذِّ مابُنِيَ ؛ لأن فيه الألِفَ واللامُ ، وسبيلهما أن يُمَكِّنَا ما دخلتا عليه[٤] .

---

(١) وفي حصر هذه المعاني خلاف كبير :
زعم بعضهم أنها تسعة ، فأسقط (الاستفهام) من العشرة السابقة ؛ لأنهم رأوه داخلًا في (المسألة) .
وزعم قوم أنها ثمانية ، فأسقطوا (التشفع) أيضا ؛ لأنهم رأوه داخلا في (الاستفهام) كذلك .
وزعم فريق أنها سبعة ، وأسقطوا (الشك) ؛ لأنه من قسم الخبر .
وزعم آخرون أنها ستة ، وأسقطوا (الشرط) ؛ لأنهم رأوه من قسم الخبر .
وزعم قوم أن الكلام كله قسمان : خبر وغير خبر .
ويرى أكثر النحويين البصريين أن أقسام الكلام لاتكاد تنحصر ، ولذلك لم يتعرضوا هم لحصرها .
وينبغي أن يعلم أن هذه التقسيمات على اختلافها ترتبط بمعاني الكلام لا بأصوله ، إذ إن هذه الأصول ثلاثة : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى . انظر تفصيلا في : الاقتضاب ١٩ ، ٢٠ ، والصاحبي في فقه اللغة ١٢٠ ومابعدها .

(٢) في (ب) : « الزمان المستقبل » اهـ .
و (حَدّ الزمانين) : أي الماضي والمستقبل ، وهو قصير جدًّا لا يكاد يوجد ؛ لأن الزمن حركة الفلك ، وهي مستمرة . وأما قول النحاة : إن المضارع يدل على الحال ، فهو أمر اصطلاحي ، لا يستقيم مع حركة الفلك واقعًا .
وانظر توضيحًا عن الزمن الحاضر الذي يدل عليه لفظ (الآن) في : شرح الجمل لابن عصفور ١ / ١٢٧ وما بعدها ، والاقتضاب / ٦٠ وما بعدها .

(٣) في (ب) : « إن يسألوا » .

(٤) في (ب) : « وسبيلهما أن يُمَكِّنَا ما دخلتا فيه ، ومعنى التمكن هنا التمكن في باب الاسمية التي تصرفه عن سببٍ موجب لبنائه ، فكان حقه أن يكون مُعْرَبًا كسائر الأسماء المعربة » .

فقال سيبويه وأصحابه : إنما بُنِـيَ (الآن) وفيه الألف واللام – لأنه ضَارَعَ الْمُبْهَمَ الـمشار إليه ، وذلك أن سبيل الألف واللام أن يدخلا لتعريف العهد ، كقولك : الرجل والغلام ، فتشير بهما إلى العهد[1] ، أو لتعريف الجنس[2] ، كقولك : قد كَثُرَ الدرهمُ والدينارُ ، ولَسْتَ تقصد به إلى درهم بِعَيْنِهِ ، ولا إلى دينارٍ بِعَيْنِهِ ، ولكنك تريد تعريف الجنس . وكقولك : الـمؤمن أفضل من الكافر ، والرجل أعقل من الـمرأة ، وكُلُّ هذا تعريف للجنس . أو تدخلان على شيء قد غَلَبَ عليه نَعْتُهُ ، فَعُرِفَ به[3] ، كقولك : الحارث والعباس ، وكقولك : الدَّبَران والسِّمَاك والنَّجْم لِلثُّرَيَّا ، وما أشبه ذلك .

---

(١) العهد الذكري ، أو العهد الحضوري : فالأول أن يذكر قبْلًا ، كقوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ [الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة الـمزمل] أي الرسول الذي جرى ذكره من قبل . وأما العهد الحضوري ، فأن يكون حاضرا أمام الـمخاطب ، فمعنى قولك : جاء الرجل ، أي : هذا الذي تراه . (انظر : الجنى الداني ٢١٦ وما بعدها) .

(٢) (أل) الجنسية : هي التي لا يُعْهَدُ مصحوبها ؛ إذ يراد به كل الأفراد حقيقةً أو مجازًا ، وهي قسمان : أحدهما حقيقي ، وهي التي ترد لشمول أفراد الجنس ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [الآية ٢ من سورة العصر] ، والآخر مجازي ، وهي التي ترد لشمول خصائص الجنس على سبيل الـمبالغة ، نحو : أنت الرجل عِلْمًا ، أي الكامل في هذه الصفة ، ويقال لها : (أل) التي للكمال . (انظر : الجنى الداني ٢١٦ وما بعدها) .

(٣) وهذا قسم ثالث من أقسام (أل) وهو (أل) التي تفيد الغلبة ، وهذه هي في الأصل (أل) الـمفيدة للعهد ، ولكن مصحوبها لما غلب على بعض ماله معناه صار علما بالغلبة ، وصارت (أل) لازمة له ، وسلبت التعريف ، ولا تحذف منه إلا في نداء أو إضافة أو في نادر الكلام . (انظر : الجنى الداني ٢١٨) .

وقد خلط الزجاجي هنا في أمثلته بين نوعين من (أل) على التحقيق : هما (أل) التي للغلبة و (أل) التي لِلَمْحِ الصفة ؛ وذلك أن (أل) في (الحارث) و (العباس) لِلَمْحِ الصفة أو لِلَمْحِ الأصل ، فهي زائدة فيهما ؛ للتنبيه على أن أصلهما من الأعلام الوصفية . أما (الدَّبَران والسِّمَاك والثُّرَيَّا) فـ (أل) فيها للغلبة ؛ لجواز إطلاق هذه الأسماء – بحسب الأصل – على أفراد كثيرة ، ولكنها خصت ببعضها دون بعض ، حتى غلبت عليه عند الإطلاق .

ونلاحظ أن الزجاجي ذكرهنا ثلاثة أنواع لـ (أل) ، وبقى من أنواعها أنواع أخرى ، منها : (أل) التي للحضور ، وهي الواقعة بعد اسم الإشارة ، نحو قوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ [الآية الأولى من سورة البلد] . و (أل) الزائدة اللازمة أو غير اللازمة ، فاللازمة نحو الأسماء الـموصولة كالذي والتي ، وغير اللازمة كالزائدة في الكلام ضرورة أو ندورا .

وانظر تفصيلًا في : الجنى الداني في حروف الـمعاني ٢١٦ وما بعدها .

فلما دخلت الألف واللام على (الآن) على غير هذه السبيل – ولكن على معنى الإشارة إلى الوقت الحاضر ، كقولك : هذا الوقت – صار معنى قولك : (الآن) كقولك[1] : هذا الوقت . فوجب بناؤه ؛ لمضارعته اسم الإشارة الْمَبْنِيَّ .

وقال المبرد : إنما وجب بناؤه ؛ لأنه وقع من أَوَّلِ وَهْلَةٍ مُعَرَّفًا بالألف واللام ، وسبيل ما دخلت عليه الألف واللام أن يكون منكورًا أَوَّلًا ، ثم يُعَرَّف بهما ، فلما خرج على غير بابه بُنِيَ[2] .

وقال الفراء : إنما هو على الحكاية ، كأنه منقول من قولك : آنَ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ كذا وكذا ، ثم دخلت عليه الألف واللام ، فَتُرِكَ مَحْكِيًّا على فتحه ، كما روي « نَهَىٰ عَنْ قِيلَ وَقَالَ » بالفتح على الحكاية[3] – ورُوِيَ أيضًا : « عن قِيلٍ وقَالٍ » فَجُعِلَا اسْمَيْنِ مُعْرَبَيْنِ – لا فِعْلَيْنِ – كما يقال : قد أعياني مُذْ شَبَّ إلى دَبَّ[4] ، كأنه قال : مُذْ شَبَّ إلى أَنْ دَبَّ ، وبعضهم يجعلهما اسمين فيعربهما .

---

(١) قوله : « معنى قولك الآن كقولك » غير موجود في (ب) . وهذا الرأي للزجاج ، وقد رده بعضهم بأن تضمين معنى الإشارة بمنزلة اسم الإشارة ، واسم الإشارة لا تدخله (أل) .

انظر رأي الزجاج والرد عليه في : همع الهوامع ٣ / ١٨٥ .

(٢) هذا أيضًا هو رأي ابن السراج والزمخشري ، وَرَدَّهُ ابن مالك بأنه يلزم عليه بناء قولهم : الجَمَّاء الغفير واللاَّت والعُزَّىٰ ، ونحو ذلك مما وقع في أول أحواله بالألف واللام .

انظر الرأي ورَدَّه في : همع الهوامع ٣ / ١٨٥ .

(٣) انظر رأي الفراء في : همع الهوامع ٣ / ١٨٦ . وقد رَدَّهُ بعضهم بأنه لو كان كذلك لم تدخل عليه أل ، كما لا تدخل على (قيل وقال) ، ثم لجاز فيه الإعراب ، كما يجوز في (قيل وقال) . وقوله : « نهى عن قيل وقال » جزء من حديث شريف رواه المغيرة بن شعبة . (انظره في : صحيح البخاري – باب الرقاق ، الزكاة ، وفي صحيح مسلم – باب الأقضية ، والدارمي – باب الرقاق) .

(٤) من أمثال العرب ، ويروى : « أعييتني من شَبٍّ إلى دَبٍّ » ، ومعناه : من لدن شببت إلى أن دببت هرما .

انظر : جمهرة الأمثال للعسكري ١ / ٥٣ ، مجمع الأمثال للميداني في ٢ / ٧ ، لسان العرب (شبب ، دبب) .

قال : وفيه وجه آخر ، وهو أن يكون منصوبًا نَصْبًا صحيحًا ، ولكنه تُرِكَ على فتحه و لم يُغَيَّر بدخول العوامل عليه ، وهذا هو مذهب سيبويه الذي ذكرناه أَوَّلًا[1] .

وفي اشتقاقه قولان[2] :

أحدهما : أن يكون أصله (أَوَان) فحذفت منه الألف ، وقلبت الواو ألفًا ؛ لتحركها وانفتاح ماقبلها ، وساغ ذلك فيها لمَّا حذفت التي بعدها فقيل : آن ، ثم أدخلت عليه الألف واللام ، وإنما يُحْكَمُ بحذف الألف دون الواو ؛ لأنها زائدة .

والآخر : أن تكون الألف فيه منقلبةً عن ياء ، من قولك : آنَ الشيءُ يَئِينُ ، كما تقول : حَانَ يَحِينُ .

مضى القول على (الآن) وجميع مافيه[3] .

* * *

ثم قال ابن قتيبة حَاكِيًا عن المنطقيّين والهندسيّين أنهم قالوا[3] : « وَالْخَبَرُ يَنْقَسِمُ عَلَى تِسْعَةِ آلَافٍ وَكَذَا وَكَذَا مِائَةٍ مِنَ الْوُجُوهِ » .

* * *

---

(١) ينسب هذا إلى الفارسيّ . و (الآن) على هذا الرأي معرب غير مبني ، وفتحته فتحة إعراب على الظرفية ، واستدل له بقول أبي ذؤيب :

(كأنهما مِ الآنِ لم يتغيرا)

بكسر النون من (الآن) ، فَدَلَّ على أنه معرب . قال السيوطي : « والمختار عندي القول بإعرابه ؛ لأنه لم يثبت لبنائه عِلَّةٌ معتبرة ، فهو منصوب على الظرفية ، وإن دخلته (من) جُرَّ ، وخروجه عن الظرفية غير ثابت » .

انظر : همع الهوامع ٣ / ١٨٤ ، والاقتضاب ١ / ٦٣ .

(٢) انظر : همع الهوامع ٣ / ١٨٤ ، والاقتضاب ١ / ٦١ .

(٣) قوله : « مضىٰ القول ... فيه » غير موجود في (ب) .

هكذا الرواية عنه فيما قرأته على الصائغ ، وكذا نقله عنه جميع مَنْ نَقَل بتكرير (كذا) وخفض (مِائة) .

وهذا خطأ من وجوه :

أحدها : أن أَحَدًا لا يقول : إن الخبر لا ينقسم[1] على تسعة آلاف وجه ، ولا أدري : من أين نَقَلَهُ ؟

والآخر : أنه كلام مَلْحُونٌ في اللفظ ، غَلَطٌ في التقدير ؛ لِأَنَّ أَقَلَّ مايقع عليه (كذا وكذا) واحد وعشرون ؛ لأن العدد لا يُعْطَفُ عليه إلا بعد العشرين ، فتقول : ثلاثة ، وأربعة ، وتقول : خَمْسَةَ عَشَرَ ، وكذلك ما أشبهه . ولا تقول : خَمْسَةٌ وسِتَّةٌ ، وأنت تريد : أَحَدَ عَشَرَ . وكذلك لا تقول : ثلاثةٌ وأربعةٌ ، وأنت تريد : سَبْعَةٌ . فالعدد كُلُّهُ غير معطوف عليه ، إلا أن تُجَاوِزَ العشرين ، فتقول حينئذ : واحد وعشرون ، وخمسة وعشرون ، وكذلك ما أشبهه .

فَأَقَلُّ مايقع عليه (كذا وكذا) واحد وعشرون ؛ لأنه إشارةٌ إلى عدد ، فكأنه قال : والخبر ينقسم على تسعة آلاف وإحدى وعشرين مائة ، فهذا يصير : أحد عشر أَلْفًا وَنَيِّفًا – وهذا غَلَطٌ[2] – بعبارةٍ فاسدةٍ . ومع ذلك فقد خفض (مائة) ، والمُمَيِّزُ بَعْدَ العشرين منصوبٌ ، فَإِنْ خَفَضَ (مائة) لَحَنَ وَأَخْطَأَ في العبارة[3] ، وإِنْ نَصَبَها فقد أخطأ في العبارة ، وحَكَى عن القوم ما لا يعترفون به .

وكُنْتُ وافقتُ أبا الحسن عَلِيَّ بْنَ سليمانَ الأخفشَ على هذا ، فقال : هو والله كما قلت ، فاجعلوه على تسعة آلِفٍ وكذا مائة – بغير تكرير (كذا) ؛ ليزول عنه اللحن .

---

(١) في الأصل – وكذلك في (ب) – « لا ينقسم » ، ولا وجه له .

(٢) قوله : « ونيفا ، وهذا غلط » غير موجود في (ب) ، وهو تتمة العدد على التقريب ، وتمامه كاملا هو أن إحدى وعشرين مائة تنتج ٢١٠٠ ، تضاف إلى تسعة آلاف ، فيصير المجموع مائة وأحد عشر أَلْفًا (١١١,٠٠٠) .

(٣) أما وجه اللحن في الإعراب ؛ فلأن تمييز الأعداد المتعاطفة سبيلُهُ أن يكون مفردًا منصوبًا نحو : واحد وعشرون رجلا . وأما وجه الخطأ في العبارة ، فلما سبق من أنه يَؤُولُ إلى المجموع (٢١٠٠) ولم يَقُلْ أحد : إن الخبر ينقسم إلى ذلك كله .

وهذه مسائل من باب (كذا) ، تُبَيِّنُهُ لك[1] :

اعلم أن (كذا) إنما هو إشارة ، وليس سبيله أن يضاف ؛ لأن (ذا) اسم مُبْهَمٌ[2] ، والْمُبْهَمُ لا تجوز إضافته ، نحو : هذا وذاك وهؤلاء - وماأشبه ذلك ؛ لأنه مَعْرِفَةٌ بالإشارة ، فإذا أضفته إلى نكرة فقد أَحَلْتَ ؛ لأنك تجمع عليه تعريفَ الإشارة والتنكيرَ ، وهذا مُحَالٌ - أن تكون معرفةٌ نكرةً في حال - وإن أضفته إلى معرفة لم يَجُز ؛ لأنك تجمع بين معرفتين مختلفين ، وقول أبي الحسن : اجعلوه كذا مائة - بغير تكرير كذا - في التحصيل أَيْضًا غَلَطٌ ، ولكنه يجوز على ضرب من الحكاية ، وقد عُمِلَتْ عليه مسائلُ كالمصطلح عليها ، وهي عندي غير جائزة ، وأنا أذكرها لك .

قالوا : إذا قلت : له عَلَيَّ كذا درهمًا - فَأَقَلُّ ما يلزمه على طريق اللغة عشرون درهما ؛ لأن أَقَلَّ عدد يُمَيَّزُ بمنصوب عشرون .

وإذا قال : له عَلَيَّ كذا كذا درهما - فعليه أَحَدَ عَشَرَ درهمًا ؛ لأن أَقَلَّ عددين جُمِعَا وَمُيِّزَا بمنصوب أَحَدَ عَشَرَ درهمًا . وإنما هذا على مذاهب العربية ، وأكثر هذه المسائل تُخَرَّجُ على مذاهب العراقيّين .

وإذا قال : له عَلَيَّ كذا وكذا درهمًا - فذاك واقعٌ على أَحَدٍ وعشرين ، وقد مضى شرحه .

وإذا قال : له عَلَيَّ كذا دراهمَ[3] - فأقل ذلك ثلاثة دراهم ؛ لأنه أَوَّلُ عدد يُمَيَّزُ بالجمع ، فيقال : ثلاثة دراهم .

وإذا قال : له عَلَيَّ كذا درهم - بالخفض - فهي مائة درهم ؛ لأنه أَوَّلُ عدد

---

(١) في (ب) : « من باب كذا وكذا تنبيه لك » .

(٢) يريد بالمبهم هنا : اسم الإشارة ، وهو من اصطلاح سيبويه ، وقد أطلق على أسماء الإشارة ذلك ؛ لعمومها وصلاحها للإشارة إلى كل جنس ، وإلى أشخاص كل نوع ، نحو : هذا حيوان ، وهذا رجل ، وهذا فرس .. إلخ .

(٣) في (ب) : « له عَلَيَّ كذا وكذا دراهم » وله وجه له .

يُمَيَّزُ بواحدٍ مخفوضٍ ، وهو قبيح للإضافة[1] ، إلا على طريق الحكاية . فَقِسْ على هذا مايرد عليك من المسائل ، إن شاء الله تعالى .

* * *

ثم قال في فصل آخر بعد أن اقْتَصَّ ماعاب به الفلاسفة ، ممالا يحتاج إلى تفسير ؛ لوضوحه : « فَالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَعَاذَ الْوَزِيرَ أَبَا الْحَسنِ – أَيَّدَهُ اللهُ – مِنْ هَذِهِ الرَّذِيلَةِ ، وَأَبَانَهُ بِالْفَضِيلَةِ » .

* * *

يعني (الخاقانيّ) وهو الوزير عُبَيْدُ الله بن يحيى بن خاقان ؛ لأنه عَمِلَ له هذا الكِتَابَ ، فَأَحْسَنَ صِلَتَهُ ، واصْطَنَعَهُ ، وصَرَّفَه[2] .

ثم قال في ذكر الوزير وشُكْرِ الرَّعِيَّةِ له : « وَأَيْدِيهِمْ إِلَى اللهِ فِيهِ مَظَانَّ الْقَبُولِ مُمْتَدَّةٌ » .

(مَظَانّ) : جمع مَظِنَّة ، وهو (مَفْعِلٌ) يراد به الزمان ، ثم جمعه ونصبه نَصْبَ الظروف ، وتقديره : وأيديهم إلى الله فيه مَظَانَّ القبول ممتدة ، أي في الأوقات التي يَظُنُّونَ أنه يُسْتَجَابُ لهم فيهم الدعاءُ .

وقوله في هذا الفصل : « وَيَصُورُ إِلَيْهِ مُخْتَلِفَاتِ الْقُلُوبِ » .

يقول : يعْطِفُهَا عليه ، ويُمِيلُهَا إليه ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾[3] وقال الشاعر :

وَغُلَامٍ رَأَيْتُــهُ صار كَلْبًــا ثُـمَّ فِـي سَاعَتَيْـنِ صَارَ غَـزَالَا[4]

---

(١) لا يجيز البصريون إضافة (ذا) إلى مابعده ؛ لأن المبهم (اسم الإشارة) لا الم ؛ ولذا عَدَّهُ الزجاجي قبيحًا عندهم . وأجاز ذلك الكوفيون ؛ فإن كان المضاف إليه جمعًا كانت (كذا) كناية عن عدد من ثلاثة إلى عشرة ، ويلزمه حينئذ ثلاثة ؛ لأنه الأقل من ذلك ، ما لم يُقِرَّ هو بما فوقه . أما إذا كان المضاف إليه مفردًا ، فإنه يلزمه مائة ، ما لم يُقِرَّ هو بما فوقها ؛ لأن التمييز المفرد المجرور إنما يكون للمائة والألف ومضاعفاتهما .

(٢) أي : صَرَّفَهُ في بعض أعماله ، بأن أسندها إليه ، وأمضى رأيه فيها .

(٣) الآية ٢٦٠ من سورة البقرة .

(٤) البيت من الخفيف ، لم أعرف له قائلا .

أي صار إليه كَلْبًا – أي ضَمَّهُ – فصاد به غزالا ، فَضَمَّهُ إليه .

* * *

ثم ذكر الكُتَّابَ الذين تركوا تَفَقُّدَ هذا من أنفسهم ، فَرَغِبُوا عن العلم حين بلغوا الْبُغْيَةَ بغير آلَةٍ ، ثم قال : « قَدْ – لَعَمْرِي – كَانَ ذَلِكَ ، فَأَيْنَ هِمَّةُ النَّفْسِ ؟ ، وَأَيْنَ الأَنَفَةُ مِنْ مُجَانَسَةِ الْبَهَائِمِ ؟ وَأَيُّ مَوْقِفٍ أَخْزَىٰ لِصَاحِبِهِ مِنْ مَوْقِفِ رَجُلٍ مِنْ الْكُتَّابِ ، اصْطَفَاهُ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ لِنَفْسِهِ ، وَارْتَضَاهُ لِسِرِّهِ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابًا ذُكِرَ فِيه : (مُطِرْنَا مَطَرًا كَثُرَ عَنْهُ الْكَلأُ ، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ مُمْتَحِنًا : وَمَا الْكَلأُ ؟ فَتَعَثَّرَ فِي الجَوَابِ ، ثُمَّ قَالَ : لَا أَدْرِي ! فَقَالَ لَهُ : سَلْ عَنْهُ ! .

* * *

أما قوله : (فَأَيْنَ الأَنَفَةُ مِنْ مُجَانَسَةِ الْبَهَائِمِ ؟) فَكَلامٌ لا زيادةَ عليه في الحَضِّ على العلم ؛ إذ جعل من لا يعلم مقارنًا للبهائم ، وهو كذلك ؛ لأن الله تعالى إنما فَضَّلَ الإنسانَ على سائر الحيوان بالعلم والمنطق ، وإلا فَسَائِرُ ذلك من المأكل والمشرب والبطش والتصرف والنوم والاستيقاظ ، وسائر ذلك يتساوى فيه الجميع .

وقد قال أمير المؤمنين عَلِيُّ بْنُ أبي طالب : قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ[1] ، فَنَادَىٰ على الناس بكلمة واحدة . وأنشدني أبو بكر محمد بن دُرَيْدٍ ، لأمير المؤمنين – عَلِيٍّ – صَلَوَاتُ الله عليه :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفَاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمٌ ، وَالأُمُّ حَـوَّاءُ[2]
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ ... يُفَاخِرُونَ بِهِ ، فَالطِّينُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمُ ... عَلَى الْهُدَىٰ لِمَن اسْتَهْدَىٰ أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

---

(١) انظر : المحاسن والمساوئ ٣٩٩ ، بهجة المجالس ١ / ٦٥ .

(٢) الأبيات من البسيط ، من شعر ينسب إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
انظر : ديوانه ٢ مع تغيير بعض اللفظ .

فأمّا (الكَلأُ) فَاسْمٌ يقع على جميع النبات والْمَرْعَى ، فإذا فُصِلَ بين الرُّطْب واليابس ، قيل للُّرطْب : خَلًا - مقصور - ورُطْب - بضم الراء وإسكان الطاء - ولليابس : حشيش ، ولا يقال له : رُطْبٌ ، ومنه قولهم : أَحَشَّتْ الناقةُ وَلَدَها : إذا ألقته يابسًا ، وحُشَّتْ يَدُ فلان : إذا يَبِسَتْ .

فأما الخليفة السائل عن هذا فهو (المعتصم) ، وكان قليل البضاعة في العربية ، لأنه حُكِيَ أنه رأى يومًا جَنَازَةً لبعض الخدم ، فقال : لَيْتَنِي مِثْلَهُ ؛ لِأَتَخَلَّصَ مِنْ الكُتَّابِ ، فقال له أبوه : وَاللهِ لَأُعَذِّبَنَّكَ بشيءٍ تختار عليه الموت[1] ! .

هذا شيء يُحْكَى من غير رواية فيه صحيحة ؛ إلا أن جُمْلَتَهُ أنه كان ضعيف البصر بالعربية .

وأما الكاتب المسئول عن هذا فهو (أحمد بن عَمّار) أخبرني بكر بن شُقَيْرٍ ، عَمَّنْ يَثِقُ به مِمَّنْ حَدَّثَهُ أن محمد بن داود بن جراح قال : كان أبو جعفر محمد ابن عبد الملك الزيات ، يتولى قَهْرَمَةَ[2] الدار في خلافة المعتصم ، ويُشْرِفُ على المطبخ ، ويَقِفُ في الدار ، في دُرَّاعَةٍ[3] سَوْدَاءَ ، فَوَرَدَ كِتَابٌ على المعتصم من صاحب البريد بالخيل ، يصف فيه خِصْبَ السنة ، فقال فيه : وَكَثُرَ الْكَلأُ ، فقال المعتصم لأحمد بن عمار - وكان يَتَقَلَّدُ العرض عليه - : ما الكلأ ؟ فقال : لا أدري ! فقال : ﴿ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ خليفةٌ أُمِّيٌّ ، وكَاتِبٌ أُمِّيٌّ ! ثم قال : مَنْ يِقْرُبِ مِنَّا مِن الْكُتَّابِ الذين بِرَسْمِ الدار ؟ فَعُرِّفَ مَكَانَ محمد بن عبد الملك ، فَدَعَابِهِ ، فقال له : ما الكلأ ؟ فقال له : النبات كُلُّهُ ، رُطْبُهُ وَيَابِسهُ ، والرُّطْب خاصَّةً يقال له : خَلًا ، واليابس يقال له :

---

(١) انظر هذه الواقعة في : الاقتضاب ١ / ٧٠ .

(٢) القَهْرَمَةُ : إدارة القصر والإشراف على مطالب أهله .

(٣) الدُّرَّاعةُ : ضَرْبٌ من الثياب التي تلبس ، وقيل : جُبَّةٌ مشقوقة المُقَدَّم . (انظر : لسان العرب - درع) .

حشيش . ثم اندفع في صفة النبات من حين ابتدائه ، إلى اكتهاله ، إلى هَيْجِهِ ، فاستحسن المعتصم قوله ، وقال : لِيَتَقَلَّدْ هذا الْعَرْضَ عَلَيَّ ، ثم اسْتَوْزَرَهُ[1] ، وهو القائل يَرْثِي المعتصم – أنشده أبو عبد الله محمد بن الجهم السمري :

قَدْ قُلْتُ إِذْ غَيَّبُوكَ ، وَاصْطَفَقَتْ عَلَيْكَ أَيْدٍ بِالتُّرْبِ وَالطِّينِ[2]
اذْهَبْ ، فَنِعْمَ الْمُعِين كُنْتَ عَلَىٰ الدُّنْيا ، وَنِعْمَ الظَّهِيرُ لِلدِّينِ
لَنْ يَجْبُرَ اللهُ أُمَّةً فَقَدَتْ مِثْلَكَ إِلَّا بِمِثْلِ هَارُونِ

* * *

ثم قال : « وَلَقَدْ حَضَرْتُ جَمَاعَةً مِنْ وُجُوهِ الْكُتَّابِ ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ النَّخَّاسِينَ ، وَمَعَهُ جَارِيَةٌ رُدَّتْ عَلَيْهِ بِسِنٍّ شَاغِيَةٍ زَائِدَةٍ – فَقَالَ : تَبَرَّأْتُ إِلَيْهِمْ مِن الشَّغَا ، فَرَدُّوهَا عَلَيَّ بِالزِّيَادَةِ ، فَكَمْ فِي فَمِ الْإِنْسَانِ مِنْ سِنٍّ ؟ لِيُعْلَمَ هَلْ هَذِهِ السِّنُّ زائدة عَلَىٰ عَدَدِهَا أَمْ هِيَ من الْجُمْلَةِ ، فَمَا كَانَ فِيهِمْ أَحَدٌ عَرَفَ ذَٰلِكَ » .

* * *

(الشَّغَا) اختلاف نِبْتَةِ الأسنان ، وهو أن يتركب بعضها على بعض ، فتخرج عن مَنْبِتِهَا ، ولذلك قيل للعُقَاب : شَغْوَاء ؛ لاختلاف منقارها الأعلى عن الأسفل ؛ لأنه أطول ، فقال لهم النَّخَّاس[3] : لقد تَبَرَّأْتُ إليهم من الشَّغَا ؛ لأنه ليس مما يَنْكَتِمُ ؛ لأن العِيَانَ يَلْحَظُهُ ، فزعموا أن هذه السِّنَّ الشاغيةَ زائدةٌ في العدد ، فَكَمْ في فم الإنسان من سِنٍّ ؟ ، ليعلم : أهذه السن زائدة على عدد الأسنان أم هي من الجملة ؟ فما كان منهم أحد عرف ذلك ! . وعدد الأسنان اثنتان وثلاثون سِنًّا : أربع ثنايا ، وأربع رُبَاعِيَاتٍ ، وأربعة أنياب ، وأربعة ضواحك ، واثنتا عشرة رَحًى ، وأربعة نواجذ – وهي أقصاها – ومنه قيل :

---

(١) انظر هذه الواقعة في : (الاقتضاب ١ / ٧٠ وما بعدها . والآية التي وردت في أثنائها هي الآية ١٥٦ من سورة البقرة .

(٢) الأبيات من المنسرح . و (غَيَّبُوكَ) : دفنوك في اللَّحْد . و (اصطفقت) : اجتمعت لِتُسَوِّي عليه التراب .

(٣) (النَّخَّاس) : بائع الدواب ؛ سُمِّيَ بذلك لنخسه إيَّاها حتى تنشط ، وحرفته (النِّخَاسَة) ، وقد يسمى بائع الرقيق نَخَّاسًا – كما هنا – والأول هو الأصل . (انظر : لسان العرب – نخس) .

رَجُلٌ مُنَجَّذٌ ، إذا أَحْكَمَ الأمور .

* * *

ثم قال : « وَلَقَدْ جَرَىٰ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ كَلَامٌ فِي ذِكْرِ عُيُوبِ الرَّقِيقِ ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَعْرِفُ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْوَكَعِ وَالْكَوَعِ ، وَلَا الْحَنَفَ مِنَ الْفَدَعِ ، وَلَا اللَّمَىٰ مِنَ اللَّطَعِ » .

* * *

(الوَكَعُ) في الرِّجْلِ هو أن تَمِيلَ الإبهام[1] ، ومنه قيل : أَمَةٌ وَكْعَاءُ — و (الْكَوَع) في الكف ، وهو زَيْغُ الكُوع[2] .

و (الْحَنَفُ) في الرِّجلِ ، وهو أن تميل كل واحدة من الإبهامين إلى صاحبتها ، حتى تزول ، فيُرى شَخْصُ أصلها خارجًا[3] ، قال ابن الأعرابي : الْأَحْنَفُ : الذي يمشي على ظهر قدميه ، والْأَقْفَدُ : الذي يمشي على صدرها[4] .

و (الْفَدَعُ) زَيْغُ الرُّسْغِ ، ومنه الحديث عن عمر رحمه الله أنه وَجَّهَ بِابْنِهِ عَبْدِ الله إلى اليهود فَفَدَعُوهُ ، قال : فَعِمِلَ بهم عُمَرُ العجائبَ . وقال الأصمعي وأبو عمرو الشَّيْبَانيّ والكِسَائِيّ : معنى فَدَعُوهُ : كَسَرُوا رِجْلَهُ ، حتى مشى عليها ، كأنها قد ارتفعت عن خَلْقِها ، وهو من الرجال : الذي إذا مشى على الْفَدْعَة ، ثم وَطِيءَ على عصفور لم يقتله .

---

(١) في لسان العرب (وكع) : الوكع : مَيْلُ الأصابع قِبَلَ السبابة حتى تصير كالعقفة خِلْقَةً أو عَرَضًا ، وقد يكون في إبهام الرجل ، فيقبل الإبهام على السبابة حتى يُرَى أصلها خارجا كالعقدة . وقيل : هو ميلان فى صدر القدم نحو الخنصر وربما كان في إبهام اليد ، وأكثر ما يكون ذلك للإماء اللائي يَكْدُدْنَ في العمل . وقيل : هو ركوب الإبهام على السبابة من الرِّجْل .

(٢) فى لسان العرب (كوع) : « الكَوَع » : يُبْسٌ فى الرسغين وإقبال إحدى اليدين على الأخرى . أو هو التواء الكوع ، يكون في اليد فقط . وبعضهم يجعله في الرِّجْل ، بإقبال إبهامها على أخواتها إقبالًا شديدًا ، حتى يظهر عظم أصلها » .

(٣) وقيل : الحَنَفُ هو : انقلاب القدم حتى يصير بطنها ظهرها . وقيل : ميل في صدر القدم .
انظر : لسان العرب (حنف) .

(٤) انظر : آراء أخرى في معنى (القفد) في لسان العرب (قفد) .

وقال المفضل وابن الأعرابي وأبو مِسْحَلٍ : (الفَدَع) : أن تنطوي الرجل ، فيصير أعلاها أسفلها ، فيمشي عليها ، وقال جماعة : معنى الفَدَع في الحديث أنهم خَلَعُوا رجله فجاء كأنه زَمِنٌ ، وإلى هذا كان يذهب ثعلب .

و (اللَّمَىٰ) : سُمْرَةُ الشفتين ، والعرب تستحسنه وتكره اللَّطَعَ ، وهي التي تنقشر وتعلوها حمرة ، قال ذو الرمة .

لَمْيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ ، لَعَسٌ وَفِي اللِّثَاتِ ، وَفِي أَنْيَابِهَا شَنَبُ[1]

واللَّمَىٰ وَالْحُوَّةُ وَاللَّعَسُ – كُلُّهُ واحدٌ . والشَّنَبُ : عذوبة الرِّيقِ وبَرْد الأسنان ، وسُئِلَ رؤبة بن العَجّاج عن الشَّنَب ، فأراهم حَبَّ الرُّمَّانِ ، وقال : هذا هو الشَّنَبُ .

* * *

وقال ابن قتيبة : « وَلَيْسَتْ كُتُبُنَا هَٰذِهِ لِمن لَمْ يَتَعَلَّقْ مِن الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا بِالْجِسْمِ ، وَمِن الْكِتَابَةِ إِلَّا بِالاسْمِ ، وَلَكِنَّهَا لمنْ شَدَا شَيْئًا مِنْ الْإِعْرَاب . فَعَرَفَ الصَّدْرَ وَالْمَصْدَرَ وَالْحَالَ وَالظَّرْفَ ، وَشَيْئًا مِن التَّصَارِيفِ وَالْأَبْنِيَةِ وَانْقِلَابِ الْيَاءِ عَن الْوَاوِ ، وَالْوَاوِ عَنْ الْيَاءِ ، وَالْأَلِفِ عَنْهُمَا » .

* * *

قال أبو إسحاق : أمَّا مَنْ عَرَفَ هذه الأشياء التي ذكرها في هذا الفصل ، فَمُسْتَغْنٍ عن أكثر ما ضَمَّنَهُ كتابه ؛ لأنه إذا عَرَفَ الصَّدْرَ فقد عرف مجاري الفعل ، وإذا عَرَفَ المَصْدَرَ فقد عَرَفَ قِطْعَةً مِمَّا في كتابه ، وإذا عرف الأبنية فقد استغنى عن كتابه في الأبنية ، وإذا عرف التصريف فقد زاد على ما في كتابه ؛ لأنه ليس في كتابه منه إلا شَيْءٌ من شَوَاذِّ التصريف .

وأنا أذكر لك من هذه الأشياء في هذا الموضع جُمَلًا مُوجَزَةً تَلِيقُ به ، وتدل على ما يَرِدُ عليك منها ، إن شاء الله تعالى .

أما (المصدر) فهو اسم الفعل ، والفعل مشتقّ منه . و (الصَّدْرُ) الفِعْلُ ،

---

(٤) البيت من البسيط .

انظر : ديوانه ٥ ، الخصائص ٣ / ٢٩١ .

وهو صادر عن المصدر ، مأخوذ منه ، فالمصدر قَبْلَ الفعل ؛ لأنه اسم الحدث ، والفعل عبارة عنه . هذا مذهب الخليل وسيبويه وجميع البصريين . وأما الفراء والكوفيون فيقولون : المصدر مأخوذ من الفعل ، وذلك قولك : قام قيامًا ، وقعد قعودًا ، وخرج خروجًا . وليس يليق ذكر احتجاج الفريقين في هذا الموضع فَيَخْرُجَ عن الغرض المقصود به[1] .

والمصدر منصوب ، إذا جئت به في موضعه[2] ، ولا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ ، إلا أن تُدْخِلَ عليه الهاءَ فيصير محدودًا ، أو تختلفَ أنواعه[3] ، كقولك : قام زيد قِيامًا ، وقام الزيدون قيامًا ، وخرج إخوتك خروجًا ؛ لأنه يقع على القليل والكثير من جنسه ، فإذا أَدْخَلْتَ عليه الهاءَ قلت : ضربت زيدًا ضَرْبَةً ، وضربت الزيدين ضَرْبَتَيْنِ ، وضربت الزيدين ضَرَبَاتٍ .

وما كان على (فَعَلَ) غير مُتَعَدٍّ فمصدره[4] اللازم له (فُعُولٌ) نحو : خرج خروجًا ، وقعد قعودًا . وإن كان متعديًا فمصدره اللازم له (فَعْلٌ) نحو : ضرب ضربًا ، وقتل قتلًا ، وشتم شتمًا .

وإن كان على (فَعِلَ يَفْعَلُ) – وكان غير مُتَعَدٍّ – فمصدره اللازم له (فَعَلٌ) نحو : عَجِبَ عَجَبًا ، وبَطِرَ يَبْطَرُ بَطَرًا ، وقد يأتي على غير ذلك . وإن كان متعديًا فمصدره اللازم له (فَعْلٌ وفِعْلٌ وفُعْلٌ) ، نحو : جَهِلَ جَهْلًا ، وعَلِمَ عِلْمًا ، وشَرِبَ شُرْبًا ، وقد يختلف .

---

(١) انظر تفصيل هذا الخلاف في : شرح عيون الإعراب للمجاشعي ١٥٨ مع الهوامش .

(٢) أي جئت بالمصدر بعد فعل من لفظه أو من معناه ، وهذا احتراز من المصدر الواقع على غير هذا ، فإن إعرابه على حسب موقعه ، نحو : الصيام فرض في شهر رمضان .

(٣) يريد بالمصدر الذي لا يثنى ولا يجمع (المصدر المؤكد لفعله) ، ويريد بالمصدر المحدود (الدال على العدد) ، ويريد بالمصدر المختلف أنواعه (المبين لنوع الفعل) .

(٤) في الأصل : « وما كان على فعل غير متعد ، فمصدره اللازم له فعل ، نحو : ضرب ضربا وقتل قتلا وشتم شتما » اهـ . وفيها اضطراب ، والتصويب مثبت من (ب) .

وإن كان على (فَعُلَ يَفْعُلُ) فمصدره يجيء على (فُعْلٍ وَفَعَالَةٍ وفَعَلٍ) ، نحو : حَسُنَ حُسْنًا ، ونَبُلَ نُبْلًا ، وقَبُحَ قَبَاحَةً وقُبْحًا ، وشَجُعَ شَجَاعَةً ، وكَرُمَ كَرَمًا[1] .

وما كان على (أَفْعَلَ) فمصدره على (إِفْعَال) ، نحو : أكرم إكرامًا ، وأقبل إقبالًا .

وما كان على (استفعل) فمصدره على (استفعال) ، نحو : استخرج استخراجًا . وكل فعل في أوله زيادة فتلك الزيادة تلزم في مصدره ، نحو : استخرج استخراجًا ، وانطلق انطلاقًا ، واكتسب اكتسابًا[2] .

وما كان على (فَعَّلَ) فمصدره (التفعيل) ، نحو : كَسَّر تكسيرًا ، وقَطَّع تقطيعًا .

وما كان على (تَفَعَّلَ) فمصدره (التَّفَعُّل) ، نحو : تَصَرَّفَ تَصَرُّفًا ، وتَقَلَّبَ تَقَلُّبًا[3] .

وما كان على (فَاعَلَ) فمصدره (المفاعلة والفِعَال) ، نحو : قاتل مقاتلةً وقتالًا .

وما كان على (تَفَاعَل) فمصدره (التَّفَاعُل) ، نحو : تَطَاوَلَ تَطَاوُلًا .

وفي هذه دليل على ما يَرِدُ منه ، إن شاء الله .

وأما (الظروف) فعلى ضربين : ظرف زمان ، وظرف مكان .

فالظرف من (الزمان) ، نحو : ليلة ويوم وغُدْوَة وعَشِيَّة وبُكْرَة وضَحْوة وعَتَمَة – وما أشبه ذلك .

---

(١) انظر تفصيلًا لمصادر الثلاثي – المطَّرد منها وغير المطَّرد – وكذلك مصادر غير الثلاثي ، في شرح ابن عقيل على الألفية ٢ ، ١٢٣ وما بعدها ، وباب المصادر من كتب الصرف .

(٢) قوله : « وكل فعل ... اكتسابا » ساقط من الأصل .

(٣) قوله : « كسر تكسيرا ... تقلبا » غير موجود في (ب) .

والظرف من (المكان) ، نحو : خَلْف وأمام وقُدَّام وفَرْسَخ وَمِيل – وما أشبه ذلك ، نحو قولك : خرجت يوم الجمعة ، وركبت غُدْوَةً ، وسِرْت مِيلَيْنِ – وكذلك ما أشبهه .

و(الحال) : كُلُّ اسم نكرة جاء بعد اسم معرفة قَدْ تَمَّ الكلام دُونَهُ[1] ، كقولك : خرج عبد الله مسرعًا ، وانطلق زيد راكبًا – وما أشبه ذلك .

(انقلاب الواو ياءً)[2] :

١ – (الواو تنقلب ياءً) : إذا اجتمعت هي والياء ، وسبقت إحداهما بالسكون ، تقلب الواو ياءً ، وتُدْغَمُ الأولى في الثانية ، نحو : سَيِّد وميِّت وهَيِّن وطَيِّب ، والأصل : سَيْوِد ومَيْوِت وهَيْوِن وطَيْوِب – فقلبت الواو ياءً وأدغم . وهذا ما سبقت فيه الياءُ ساكنةً . فَأَمَّا ماسبقت فيه الواو ساكنةً فقولك : طَوَيْتُ طَيًّا ، ولَوَيْتُ لَيًّا ، ورَوَيْتُ رَيًّا . والأصل : طَوْيًا ولَوْيًا ورَوْيًا – فقلبت الواوُ ياءً .

٢ – و (تقلب الواوُ ياءً) : إذا سَكَنَتْ وانكسر ماقبلها ، نحو : مِيزان ومِيقات ومِيعاد . والأصل : مِوْزان ومِوْقات ومِوْعاد ، فقلبت الواوُ ياءً ؛ لسكونها وانكسار ماقبلها . فإذا جَمَعْتَ رَجَعْتَ إلى الأصل ، فقلت : موازين ومواقيت ومواعيد .

٣ – و (تقلب الواو ياء) : إذا وقعت رابعةً فصاعدًا ، نحو : أَغْزَيْتُ واسْتَغْزَيْتُ وعَادَيْتُ وآلَيْتُ وصَلَّيْتُ[3] .

٤ – و (تقلب الواو ياء) : إذا انكسر ماقبلها في مثل : غُزِيَ ودُعِيَ[4] –

---

(١) تعريف لـ (الحال) فيه شيء من التسامح ، وهو عند النحاة : اسم فضلة منصوب على معنى (في) ، يبين هيئة الفاعل أو المفعول حين إيقاع الفعل .

(٢) انظر تفصيلًا لانقلاب الواو ياء ، ومايلي ذلك من مسائل ، وشروط ذلك ومحترزاته وشواذه – في أوضح المسالك ٤ / ٣٨٥ ومابعدها ، وفي باب (الإعلال والإبدال) من كتب الصرف .

(٣) أصلها من : الغزو والعدو والأَلْو – بمعنى التقصير – والصَّلْو ، بدليل الجمع على صَلَوَات .

(٤) أصلها من : الغزو والدعوة .

وما أشبه ذلك . وفي التثنية والجمع ، نحو : يُدْعَيَانِ ويُغْزَيَانِ ويُعْطِيَانِ ، فتصير كأنها من ذوات الياء ، كـ (يَرْمِيانَ ويُعْطيان) ؛ لتجاوزهما ثلاثةَ أحرف .

٥ - و (تقلب الواو ياء) : لاجتماع الحرفين المثلين[١] بَدَلًا من أحدهما ، نحو : تَسَرَّيْتُ وتَقَضَّيْتُ وتَمَطَّيْتُ . وأصله : تَسَرَّرْتُ وتَقَضَّضْتُ وتَمَطَّطْتُ . ونحو : دِيبَاج ودِيمَاس ودِيوَان - أصله : دِبَّاج ودِمَّاس و دِوَّان . فإذا جمعت قلت : دواوين ، فتردها إلى أصلها ، كما قالوا : عيد وأعياد ، ودِيمَة ودِيَمٌ ، وأصله الواو ، وينشد :

عَدَاني أَنْ أَزُورَكِ أُمَّ عَمْرٍو دَيَاوِينٌ تُخَلَّطُ بِالْمِدَادِ[٢]

٦ - و (تقلب الواو ياء) في : عَتَا[٣] عِتِيًّا - وأصله : عُتُوٌّ . والأجود : عَتَا عُتُوًّا ، إلا أن تريد به الجمع ، فتقول : عَاتٍ وعِتِيٌّ - بالقلب لا غير .

٧ - وقد قلبت الواو ياء في : قَيَّام ودَيَّار ودَيُّور[٤] - وما أشبه ذلك - وفي : ذَيَّلْتُ تَذْيِيلًا ، وتَحَيَّرْتُ تَحَيُّرًا[٥] .

---

(١) القلب في هذا وما بعده غير مقيس ، إذ هو وقف على السماع عن العرب ، ومعاني الكمات الواردة هنا هي : (تَسَرَّيت) : اتخذت جارية للمِلْك والجماع . و (تقضّيت) : تتبعت أثره . و (تقضّيْتُ) : سقطت من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ ، وأصله : الطائر يهوى من طيرانه ليسقط على صيد ونحوه . و (تمطيت) : تبخترت ومددت يدي عند المشي . و (الديباج) : نوع من الثياب الحريرية المزخرفة . و (الديوان) : مجمع الصحف . و (الدِّيمَاس) : الحَمَّام ، أو السَّرَب المظلم . و (الدِّيمَةُ) : المطر ليس فيه رعد ولا برق ، وأقَلُّهُ ثلث النهار ، أو ثلث الليل . (انظر : لسان العرب في موادّ هذه الكلمات) .

(٢) البيت من الوافر ، لم ينسب إلى أحد ، ويروى : (تشقق بالمداد) . ومعناه : أنه يعتذر من عدم زيارته أم عمرو ؛ لأنه إذا غاب عن الجند كتب غيابه في الديوان - أي كتاب الجند - وحرم العطاء .
انظر : الخصائص ٣ / ١٥٨ .

(٣) (عتا) : استكبر وجاوز الحد : ويقال : عتا الرجل ، إذا أَسَنَّ وكبر . (انظر : لسان العرب - عتا) .

(٤) (قَيَّام) : قائم بتدبير أمر الخلق ، وهو - كالقَيُّوم - من صفات الله تعالى ، فَيْعال أو فَيْعُول من (قام يقوم) . و (دَيَّار) و (دَيُّور) : أَحَدٌ ، يقال : ما بالدار دَيَّارٌ ، أي أحد ، وهو فَيْعَال أو فَيْعُول من [دار يدور] . (انظر : لسان العرب - قوم ، دير) .

(٥) كذا ، ولعله يريد بقوله : (ذَيَّلْتُ) : كتبت ذالًا ، وهو الحرف المعروف من حروف الهجاء . والألف في (الذال) مجهولة الأصل ، وقد حمل العلماء كل ألف مجهولة الأصل على أن أصلها الواو ؛ لكثرة انقلاب الألف عن الواو في كلام العرب . ووزن (ذَيَّل) على هذا : فَيْعَلَ أو فَعْيَلَ .
ولعله أيضا يريد بقوله : (تَحَيَّرْتُ) : رجعت عن الشيء أو إليه ، مأخوذ من الحَوْر وهو الرجوع ، ووزن (تَحَيَّر) على هذا : تَفَعْيَلَ أو تَفَيْعَلَ .

٨ – وتقلب الواو ياء في تصغير : كِرْدَوس وبُهْلُول[1] ، إذا قلت : كُرَيْدِيسٌ وبُهَيْلِيلٌ . وكذلك في الجمع : كراديس وبهاليل .

٩ – وتقلب الواو ياء في (مفعول) إذا كانت اللام منه ياءً ، نحو : قَضَيْتُ ورَمَيْتُ وسَعَيْتُ – إذا قلت في مفعول منه : مَقْضِيّ ومَرْمِيّ ومَسْعِيّ . وقد أبدلت في (دينار) من النون ، وفي (قيراط) من الراء – والأصل : دِنَّار وقِرَّاط ، والدليل على ذلك أنك تقول في الجمع : دنانير وقراريط . وقد قلبت الواو ياء في : قام قِيَامًا ، وحالت الناقة حِيَالًا[2] ، وفي سَوْطٌ وسِيَاط ، ورَوْضَةٌ ورِيَاضٌ ، وفي : حِقْوٌ وأَحْقٍ ، ودَلْوٌ وَأَدْلٍ ، وجَرْوٌ وَأَجْرٍ[3] .

(إبدال الياء واوًا) :

١ – الياء تقلب واوًا ؛ إذا سكنت وانْضَمَّ ما قبلها ، نحو : مُوسِر ومُوقِن – فإذا جمعت رجعت إلى الأصل ، فقلت : مياسير ومياقين .

٢ – وتقلب في نسب المقصور واوًا ، في قولهم : رَحَوِيّ ونَوَوِي[4] – وما أشبه ذلك .

٣ – وتبدل في (فَعْلَى) إذا كانت اسْمًا ، نحو : التَّقْوَى والشَّرْوَى[5] ؛ لأنه من : شَرَيْتُ ، ومن التُّقْيَة .

---

(١) (الكِرْدَوْسُ) : الخيل العظيمة ، أو الفِقْرَةُ من فِقَار الظهر . و (البُهْلُولُ) : العزيز الجامع لكل خير . (انظر : لسان العرب – كردس ، بهلل) .

(٢) الناقة الحائل : هي التي حمل عليها فلم تَلْقَحْ . وقيل : التي لم تحمل سنة أو سنتين أو سنوات . (انظر : لسان العرب – حول) .

(٣) (الحِقْو) هو : الخِصْر – ومَشَدُّ الإزار من الجنب . و (الجِرْوُ) هو : الصغير من كل شيء . (انظر : لسان العرب – حقو ، جرو) .

(٤) في النسب إلى : الرَّحَى ، والنواة .

(٥) شَرْوَى الشيء : مِثْلُهُ ، وَاوُهْ مبدلةٌ من الياء ؛ لأن الشيء إنما يُشْرَى بمثله ، ولكنها قلبت ياء ، كما قلبت في تقوى ونحوها ، يقال : هذا شَرْوَاه وشَرِيُّهُ : أي مثله . (انظر : لسان العرب – شرو) .

٤ – وقد أبدلت في (فُعْلَى) وهي عَيْنٌ ، نحو قولهم : الطُّوبَى والكُوسَى[١] .

(قلب الألف من الياء والواو) :

١ – تقلب الواو والياء أَلِفَيْنِ ، إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما ، نحو : قَضَى ومَشَى ودَعَا وغَزَا ولَهَا – وكذلك ما أشبهه .

٢ – وكذلك أيضًا إذا كانتا في موضع العين ، مثل : صاغ وقال وطال – وأصله : صَوَغَ وقَوَلَ وَطَوُلَ ، فقلبت ألفًا . وكذلك الياء ، نحو : كال وباع وسار ، بأيِّ حركةٍ تحركتا ، قُلِبَتَا أَلِفَيْنِ ، إذا كانت قبلهما فَتْحَةٌ .

٣ – وقد أبدلت منها – وهي فاء الفعل – في لغة من يقول في (يَوْجَلُ) : يَاجَلُ ، وفي (يَوْجِل) : يَاجِلُ .

وقد أبدلت الألف من النون الخفيفة فى الوقف ، في قولهم : اضْرِبَا زَيْدًا ، و ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾[٢] و ﴿ لَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾[٣] .

وتبدل من التنوين في الأسماء في الوقف ، في قولك : رأيت زيدًا ، وأكرمت عمرًا .

(إبدال الهمزة من الياء والواو) :

١ – تبدل الهمزة منهما ، إذا كانتا لَامَيْن ، وقبلهما ألف ، في مثل : قضاء وعطاء ورداء وكساء ، وفي (فِعَال) ، نحو : حِذَاء وسِقَاء – وما أشبه ذلك .

٢ – وتبدل من الألف المنقلبة من الياء والواو ، إذا كانتا عينين ، في : قائم وبائع وضائع ونائم – وما أشبه ذلك .

---

(١) (الطُّوبَى) هي : الطَّيِّب ، أصله : طُيْبَى ، وفُسِّرت بالجنة ، أو شجرة فيها ، أو بكل خير .
و (الكُوسَى) هي : الكَيِّس ، بمعنى الخفة والتوقد ، أصله : كُيْسَى . (انظر : لسان العرب – طيب ، كيس) .

(٢) الآية ١٥ من سورة العلق .

(٣) الآية ٣٢ من سورة يوسف .

٣ – وإذا كان الفعل مُعْتَلَّ اللام ، نحو : قضى يقضي وغزا يغزو ، اعْتَلَّ اسم الفاعل منه والـمفعول ، فقلت : قاضٍ وغازٍ ، ومَقْضِيّ ومَغْزُوّ .

٤ – وإذا كان مُعْتَلَّ العين هَمَزْتَ موضع العين من اسم الفاعل ، نحو : بائع وقائل وحائل : وحَذَفْتَ من اسم الـمفعول حَرْفًا ، كقولك : مَصُوغٌ ومَقُولٌ ومَبِيعٌ ومَكِيلٌ .

وإذا كان موضع الفاء من الفعل وَاوًا ، وكان على (فَعَل) ، جاء مستقبله على يَفْعِل – بالكسر – وسقطت منه الواو ، نحو : وَزَن يَزِنُ ، ووَعَدَ يَعِدُ . وصَحَّتْ في اسم الفاعل والـمفعول ، كقولك : وَاعِدٌ ومَوْعُودٌ ، ووَازِنٌ ومَوْزُونٌ .

وإن كان على (فَعِلَ يَفْعَلُ) صَحَّتِ الواو منه ، نحو : وَجِلَ يَوْجَلُ ، وَوَحِلَ يَوْحَلُ – هذه أفصح اللغات – ومنهم من يقلبها أَلِفًا ، فيقول : يَاجَلُ ويَاحَلُ ، ومنهم من يقلبها ياء ، فيقول : يَيْجَلُ ويَيْحَلُ ، ومنهم من يكسر أوله لِيَسُوغَ له قلب الواو ياءً ، فيقول : يِيْجَلُ ويِيْحَلُ[1] فهذا كَافٍ منه في هذا الفصل .

* * *

قال ابن قتيبة : « وَلَابُدَّ لِلْكَاتِبِ مَعَ كُتُبِنَا هَٰذِهِ مِنَ النَّظَرِ فِي الْفِقْهِ ، ومَعْرِفَةِ أُصُولِهِ ، مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَقَوْلِهِ : « الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي ، وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَىٰ عَلَيْهِ[2] ، وَالْخَرَاجُ بِالضَّمَانِ[3] ، وَجُرْحُ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ[4] ، وَلَا يَغْلَقُ الرَّهْنُ[5] ، وَالْمِنْحَةُ مَرْدُودَةٌ[6] ، وَالْعَارِيَّـةُ مُؤَدَّاةٌ[7] ، وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ[8] ، وَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ[9] ، وَلَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا

---

(١) انظر هذه اللهجات في : (لسان العرب – وجل)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الرهن) و (الشهادات) .

(٣) أخرجه الترمذي في البيوع ، وابن ماجه في (التجارات) .

(٤) انظر : الفائق للزمخشري (باب العين مع الجيم) .

(٥) أخرجه ابن ماجه في (الرهون) .

(٦) انظر : الفائق للزمخشري (الـميم مع النون) .

(٧) انظر : الفائق للزمخشري (الـميم مع النون) .

(٨) انظر : الفائق للزمخشري (الـميم مع النون) .

(٩) أخرجه البخاري في (الوصايا) .

كُثْرٍ[1] ، وَلَا قَوَدَ إِلَّا بِحَدِيدَةٍ[2] ، وَالْمَرْأَةُ تُعَاقِلُ الرَّجُلَ إِلَى ثُلُثِ دِيَتِها ، وَلَا تَعْقِلُ الْعَاقِلَةُ عَمْدًا وَلَا عَبْدًا وَلَا صُلْحًا وَلَا ٱعتِرَافًا ، وَلَا طَلَاقَ فِي إِغْلَاقٍ[3] ، وَالْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَالَمْ يَفْتَرِقَا[4] ، وَالْجَارُ أَحَقُّ بِصَقَبِهِ[5] ، وَالطَّلَاقُ بِالرِّجَالِ ، وَالْعِدَّةُ بِالنِّسَاءِ[6] . وَكَنَهْيِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبُيُوعِ عَنِ الْمُخَابَرَةِ وَالْمُحَاقَلَةِ وَالْمُزَابَنَةِ[7] وَالْمُعَاوَمَةِ وَالثُّنْيا ، وَعَنْ رِبْحِ مَالَمْ يَضْمَنْ وَبَيْعِ مَالَمْ يَقْبِضْ ، وَعَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ ، وَعَنْ شَرْطَيْنِ فَي بَيْعٍ ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ، وَبَيْعِ الْمُوَاصَفَةِ[8] ، وَعَنْ تَلَقِّى الرُّكْبَان ، وَعَنِ الْكَالِئِ بِالْكَالِئِ[9] — فِي أَشْبَاهٍ لِهَذَا ، إِذَا هُوَ حَفِظَهَا وَتَفَهَّمَ مَعَانِيها ، فَتَدَبَّرَهَا ، أَغْنَتْهُ بِإِذْنِ اللهِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ إِطَالَةِ الْفُقَهَاءِ » .

* * *

قال أبو إسحاق : أما قوله ﷺ : « الْخَرَاجُ بِالضَّمَانِ » فيقع في ضروب من الابتياعات ، وتأويله : أن من اشترى شيئًا فَاسْتَغَلَّهُ مُدَّةً ، ثم وَجَبَ له رَدُّهُ على صاحبه بِعَيْبٍ تَبَيَّنَهُ فيه ، كان به قبل ابتياعه ، فإنه يَرُدُّهُ ، وله ما اسْتَغَلَّهُ بضمانه إِيَّاهُ قَبْلَ رَدِّهِ ؛ لأنه لو تَلِفَ قبل أن يَتَبَيَّنَ العَيْبَ لَتَلِفَ من ماله ، كَرَجُلٍ اشترى عَبْدًا فَأَغَلَّهُ كُلَّ يوم دينارًا ، ثم وجب له رَدُّهُ على بائعه بمثل ما ذكرنا ، فإنه يَرُدُّهُ ، وله ما أَغَلَّهُ بضمانه رَقَبَتَهُ ؛ لأنه لو تَلِفَ لَتَلِفَ من ماله ، لا من مال البائع .

---

(١) انظر : الفائق للزمخشري (الكاف مع الثاء) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في (الديات) برواية : لا قود إلا بالسيف .

(٣) انظر : الفائق للزمخشري (الغين مع اللام) .

(٤) انظر : سنن الدارمي (البيوع) .

(٥) انظر : الفائق للزمخشري (الصاد مع القاف) .

(٦) انظر : الموطأ (الطلاق) .

(٧) انظر : الفائق للزمخشري (الخاء مع الباء) .

(٨) انظر : الفائق للزمخشري (الواو مع الصاد) .

(٩) انظر : الفائق للزمخشري (الكاف مع اللام) .

وأما قوله عليه السلام : « وَجُرْحُ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ » فإنه يُرْوَى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « العجماء جُبَارٌ ، والبئر جُبَارٌ ، والْمَعْدِنُ جُبَارٌ ، وفي الرِّكَازِ الْخُمْسُ » .

فـ (العجماء) : البهيمة ، سميت بذلك ، لاستعجامها عن الكلام ، والجُبَارُ : الْهَدَرُ ، وإنما جُعِلَ جُرْحُ العجماء هَدَرًا ، إذا كانت مُنْفَلِتَةً ، ليس معها قائد ولا سائق ولا راكب ، فإذا كان معها أحد هؤلاء ، فهو ضامن ؛ لأن الجناية حينئذ له لا للعجماء ، إلا فيما لا يمكنه مَنْعُهَا منه ، نحو أن تَنْفَحَ[1] برجلها ؛ لأنه لايبصر ما خلفه ، ولا يمكنه منعها منه في حال سيره . فإن كان واقفًا عليها في طريق لا يملكه ، ضمن ما أصابت بيدها أو برجلها أو غير ذلك .

و (البئر جُبَارٌ) : قيل : هي البئر العَادِيَّة[2] ، لا يُعْرَفُ مَنْ حَفَرَهَا ، تكون في فَلَاةٍ ، فمن وقع فيها فهو جُبَارٌ . وقيل : هي البئر التي تكون في ملك الإنسان ، فإن سقط فيها إنسان أو دابة فلا ضمان عليه . وقيل : هو الرجل يَكْتَرِي مَنْ يَحْفِرُ له بئرًا في ملكه ، فَتَنْهارُ عليه ، فلا ضمان عليه .

وأما قوله : (وَالْمَعْدِنُ جُبَارٌ) : فإنها هذه المعادن التي يستخرج منها الذهب والفضة ، فيجيء قوم فيحفرون فيها بشيء مُسَمًّى ، فَرُبَّمَا انْهَارَ المعدن عليهم فقتلهم ، فدماؤهم هَدَرٌ ؛ لأنهم عملوا بأجرة . وهذا أصل في كل عامل عمل بِكِرَاءٍ[3] فَعَطِبَ ، فإنه هَدَرٌ لا ضمان على من استعمله .

و (الرِّكَازُ) عند أهل العراق : المعادن ، فما استخرج منها من شيء ، فَلِمُسْتَخْرِجِهِ أربعة أخماس ، ولبيت المال الخُمْسُ ، وكذلك المال العَادِيُّ

---

(١) نَفَحَتِ الدابة :رَفَسَتْ برجلها ، ورَمَتْ بِحَدِّ حافرها . وقيل النفح بالرجل الواحدة ، والرَّمْحُ بالرجلين معًا . (انظر : لسان العرب – نفح) .

(٢) البئر العاديّة : هي القديمة ، كأنها نسبت إلى عاد ، وهم قوم هود عليه السلام . وكل قديم ينسبونه إلى عاد ، وإن لم يدركهم . (انظر : لسان العرب – عود) .

(٣) (الكِرَاءُ) : أجرة المستأجَر .

يُوجَدُ مَدْفُونًا . وقال أهل الحجاز : الرِّكَازُ : الـمال الـمدفون خاصّةً ، مما كَنَزَهُ بنو آدَمَ قَبْلَ الإسلام ، فَأَمَّا الـمعادنُ فليست بِرِكَازٍ ، إنما فيها مثل ما في أموال الـمسلمين من الزكاة : في كل مائتي درهم خَمْسَةُ دراهمَ ، وفي كل عشرين مثقالًا نِصْفُ مثقال ، وما زاد فَبِحِسَاب ذلك .

هذه حكاية أبي عبيد وتفسيره ، وأما على طريق اللغة فَجَائِزٌ أن يُسَمَّى الجميعُ رِكَازًا ؛ لأنه من الثبات والدوام ، من قولك : رَكَزْتُ الشيءَ في الأرض ، ورَكَزَ هو .

وأما قوله : (وَلَا يَغْلَقُ الرَّهْنُ) يقول : لا يُحَالُ بينه وبين صاحبه إذا أَدَّى فِكَاكَهُ ، من قولك : أَغْلَقْتُ البابَ . والفقهاءُ يختلفون في الرهن إذا تَلِفَ عند الْمُرْتَهِنِ : فمنهم من يقول : هو بما عليه . ومنهم من يقول : هو من مال الراهن ، له فضله وعليه نقصانه .

وقوله : (الْمِنْحَةُ مَرْدُودَةٌ) : فأصل (الـمِنْحَة) الناقةُ أو الشاةُ يَمْنَحُهَا الرجل أخاه لينتفع بلبنها مُدَّةً ، ثم يَرُدُّها ، يقول فَرَدُّهَا وَاجِبٌ – على ما كانت جَرَتْ به عادة العرب قبل الإسلام ، وليس دفعه إِيَّاهَا إلى صاحبه – على الوجه الذي كانوا قد تعارفوا بينهم – بِمُخْرِجِها عن مِلْكِ صاحبها . فهذا أصل الـمنحة ، ثم كثر استعمالهم لها ، حتى صارت الـمنحة تستعمل في الهِبَاتِ والصِّلَاتِ ، فيقال : منحت فلانًا مالًا وغير ذلك ، إذا وهبته له ، واتُّسِعَ في ذلك حتى قيل : مَنَحْتُهُ وُدِّي ونُصْحِي ورَأْيِي – وَكُلُّ ذلك اتِّسَاعٌ – والأصل ما ذكرتُ لك ، أنشدني بعض أصحابنا :

إِذَا مَا اجْتَهَدْتَ الرَّأْيَ وَالنُّصْحَ لِامْرِئٍ ... وَكَانَ يَظُنُّ الْغِشَّ مَالَا تُتَابِعُـهْ[1]
فَلَا تَمْنَحَنَّ النُّصْحَ مَالَيْسَ أَهْلَهُ ... فَلَا النُّصْحُ مَقْبُولٌ ، وَلَا أَنْتَ نَافِعُهْ

و (الْمَنِيحُ) : سهم من سهام الْـمَيْسِرِ ، التي كانت العرب تَتَيَاسَرُ بها – وهي عشرة أسهم – وهي الأَزْلَامُ ، واحدها زَلَمٌ وَزُلْمٌ ، لِسَبْعَةٍ منها أنصباءُ ، وهي :

---

(١) البيتان من الطويل ، ولم أظفر لهما بقائل .

الْفَذُّ والتُّوَامُ والرَّقِيبُ والْحِلْسُ والنّافِسُ والْمُسْبِل والْمُعَلّى – فَنَصِيبُ كل واحد منها على مرتبته من العدد ، فللفَذّ واحد ، وللتُّوَام اثنان ، وكذلك باقيها .

وثلاثة أسهم يقال لها : (الأَغْفَال) ؛ لأنها لا نصيب لها ، وإنما تُكَثَّر بها السهام ، وهي : الْمُصْفَحُ ، والْمَنِيحُ والْوَغْدُ . أنشدني أبو إسحاق الزجاج وأبو الحسن الأخفش ، عن أبي العباس المبرد ، لعُرْوَةَ بْنِ الْوَرْد – وهو عُرْوَةُ الصَّعَالِيك :

لَحَىٰ اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ ... مَضَىٰ فِي الْمُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزَرِ[1]
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ ، مَا يَسْتَعِنَّهُ ... فَيَضْحَىٰ طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ
وَلَكِنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحةُ وَجْهِهِ ... كَضَوْءِ شِهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ
مُطِلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ ... بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمُشَهَّرِ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَهَا ... حَمِيدًا ، وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ

وللعرب أَسْمَاءٌ سبعةٌ تَضَعُهَا مَوَاضِعَ العَارِيّة ؛ لينتفع بها الْمُعَارُ ، ثم تُرَدُّ إلى الْمُعِيرِ ، فمنها الْمَنِيحَة والعَارِيَّة والعَرِيَّة والإِفْقَارُ والإِخْبَال والإِكْفَاءُ والإِعْمَارُ والإِرْقَابُ .

فأما (الْمَنِيحَة) : فالشاةُ والناقة يُعِيرُهَا الرَّجُلُ صاحِبَهُ؛ لينتفعَ بِلَبَنِهَا – وقد مضى شرحها .

وأما (الْعَرِيَّةُ) : فالنخلةُ يُعْرِي الرجلُ ثَمَرَها من نخله كُلِّهِ لِرَجُلٍ ، فيكون له ثمرها عَامَهُ ذلك ، يقال منه : أَعْرَيْتُ الرجل نَخْلَةً ، وهي من الإِعْراء والتجرد من الثياب ، كأنه – لَمَّا جعل ثمرها لِلْمُعْرَى – أَعْرَاها من الثمر ، وهي التي رُخِّصَ في بيع ثمرها قبل أن يُصْرَمَ .

---

(١) الأبيات من الطويل . و (لَحَاهُ) الله : لعنه وقبحه . و (الصعلوك) : الفقير . و (المشاش) : الأرض اللينة . و (طليح) : مجهد متعب من كثرة السير . و (المُحَسَّر) : المتعب المهزول . و (المَنِيح) : الذي لا غُنْمَ له ولا غُرْمَ عليه ، وأصله : أحد القداح الأربعة في الميسر ، التي لا تفوز ولا تخسر . انظر : ديوان عروة ٣٧ .

وأما (الإِفْقَارُ) : فهو أن يُعْطِي الرجلُ رجلًا دَابَّةً ، فيركبها - ما أَحَبَّ في سفر أو حضر - ، ثم يردها عليه ، وإنما هو من فِقَارِ الظَّهْرِ ، وهي خَرَزُ الصُّلْب ، وقوله : أَفْقَرَهُ : أي أمكنه من ذلك المكان ، ويقال في غير هذا : قد أَفْقَرَكَ الصَّيْدُ : إذا أمكنك من أن تَرْمِيَهُ .

وأما (الإِخْبَالُ) : فَأَنْ يُعْطِيَ الرجلُ الرجلَ البعيرَ أو الناقةَ ، يركبها ويَجْتَزُّ وَبَرَهَا ، وينتفع بها ثم يَرُدُّهَا ، وإِيَّاهَا عَنَى زُهَيْرٌ في قوله لقوم يمدحهم :

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا الْمَالَ يُخْبِلُوا ... وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا ، وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا[1]

وكان أبو عبيدة يرويه : (إِنْ يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخْوِلُوا) - من الْخَوَل - واشتقاقه من قولهم : به خَبَلٌ ، لا خَبَالٌ ، والخَبَلُ فساد الأعضاء ، ومنه قول كُثَيِّرٍ :

فَلَا تَعْجَلِي يَاعَزَّ أَنْ تَتَفَهَّمِي ... بِنُصْحٍ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِخُبُولِ[2]

فإذا أصاب الرَّجُلَ السَّنَةُ أو الشِّدَّةُ ، جاء إلى صاحبه فَاسْتَخْبَلَهُ ، أي اسْتَدْعَى منه مَعُونَتَهُ على ما به من خَبَل ، فَأَخْبَلَهُ ، أي أعطاه ما يستعين به .

وأما (الإِكْفَاءُ) : فَأَنْ يُعْطِيَ الرجلُ الرجلَ الناقةَ ؛ لينتفع بلبنها ووبرها وما تَلِدُهُ في عامها ذلك .

والفرق بين الإكفاء والإخبال : أن الإخبال ليس فيه أن يكون الولد لِلْمُخْبِل ، والْمُكْفَأُ له الولد والوبر واللبن ، والاسم منه الكُفْأَةُ ، وأنشد الأصمعي :

تَرَى كُفْأَتَيْهَا تَنْفُضَانِ ، وَلَمْ يَجِدْ ... لَهَا ثِيلَ سَقْبٍ فِي النِّتَاجَيْنِ لَامِسُ[3]

---

(١) البيت من الطويل ، من قصيدة لزهير بن أبي سلمى . و (ييسروا) : من الميسر ، يقول : إذا قامروا بالميسر ، يأخذون سمان الجزر ، فيقامرون عليها ، ولا ينحرون إلا غالية .

انظر : ديوان زهير ٨٦ .

(٢) البيت من الطويل .

انظر : ديوان كثير ١٥٠ .

(٣) البيت من الطويل ، من شعر ذي الرمة ، ورواية الصحاح : (كِلَا كُفْأَتَيْهَا) ، وهي رواية الديوان .

انظر : لسان العرب (كفأ) ، ديوان ذي الرمة ٢٠٠ .

وأما (الإِعْمَارُ) و (الإِرْقَابُ) : ففي الدُّورِ والمساكن ، والاسم منه الْعُمْرَىٰ والرُّقْبَىٰ . فـ (الْعُمْرَىٰ) أن يُسْكِنَ الرجلُ الرجلَ دارًا ، فإذا مات الساكن أخذها الْمُسْكِن ، كأنه جعلها له عُمْرَهُ ، فإذا انقضى وجب له استرجاعها . و (الرُّقْبَىٰ) : أن يُسْكِنَ الرجلُ الرجلَ دارًا ، فإذا مات الْمُسْكِنُ يَرُدُّهَا الساكنُ عَلَى وَرَثَةِ الْمُسْكِن ، يقال : أَعْمَرْتُكَ دَارًا ، وأرقبتك دَارًا .

قوله : (وَالْعَارِيَّةُ مُؤَدَّاةٌ) يقول : رَدُّهَا واجبٌ على الْمُعِيرِ ، وليس يُزِيلُ إعارتها له مِلْكُهُ عنها ، وفي اشتقاقها قولان :

قال بعض أهل اللغة : إنما سميت عارية ؛ لأنها عَارٌ على المستعير ، وليس هذا القول بشيء .

وقال آخرون : أصلها (فَعَلِيّة) ، وتقديرها (عَوَرِيّة) ، ثم قلبت الواو ألفًا ، لتحركها وانفتاح ماقبلها ، فصارت (عَارِيّة) .

واشتقاقها من المناولة والتناول ، تقول : عَاوَرْتُ صاحبي : أي ناولته وناولني ، وقولهم في الجمع : عَوَارِيُّ - بالواو - يَدُلُّ على أن أَلِفَ عارية منقلبة عن واو ، قال ذو الرمة :

وَسِقْطٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَرْتُ صَاحِبِي ... أَبَاهَا ، وَهَيَّأْنَا لِمَوْقِعِهَا وَكْـرَا[1]

ويقال : أَعَرْنَا الخيلَ ، أي : سَمَّنَّاهَا ، وفرس مُعَارٌ : أي سمين ، وينشد :

أَعِيرُوا خَيْلَكُمْ ، ثُمَّ ارْكُضُوهَا ... أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمُعَـارُ[2]

يعني السمين ، وقال آخر :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ ... أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمُعَـارُ[2]

---

(١) البيت من الطويل ، من شعر ذي الرمة .
انظر : ديوانه ١٦٠ ، لسان العرب (عور) .

(٢) البيتان من الوافر : ينسبان إلى بشر بن أبي خازم ، أو الطِّرِمَّاح ، وهما من الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه (٣ / ٣٢٧) .
انظر : المقتضب ٤ / ١٠ ، المخصص ٦ / ١٨٥ ، سر الصناعة ١ / ٢٣٦ .

وقوله : (وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ) : الزَّعِيمُ : الضَّمِينُ والكَفِيلُ وَالقَبِيلُ ، يقال : قَبِلْتُ به : أَقْبَلُ : إذا كَفَلْتَ به ، فأَمَّا الْجَرِيُّ فَالْوَكِيلُ . قال عمر بن أبي ربيعة :

إنَّ كَفِّي لَكِ رَهْنٌ بِالـرِّضَا فَاقْبَلِي يَا هِنْدُ ، قَالَتْ : قَدْ وَجَبْ[1]

وقوله : (لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ) فللرجل أن يُوصِي بثلث ماله ، ولا يزيد عليه ، ويُسْتَحَبُّ له أن يُوصِيَ بِأَقَلَّ من ثلث ماله ؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله لِسَعْدٍ : « وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ، لَأَنْ تَتْرُكَ وَرَثَتَكَ - أَوْ عِيَالَكَ - أَغْنِيَاءَ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتْرُكَهُم عَالَةً ، يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ »[2] . فإذا أوصى بثلث مَالِهِ لم يَجُزْ له أن يُوصِي من ذلك الثلث لمن يَرِثُهُ بشيء ، ولا يُجْمَعُ بين الميراث والوصية ، وإنما هذا ؛ لكراهية إِزْوَاءِ المال عن الورثة .

وقوله : (لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كُثْرٍ) الكُثْر : الْجُمَّارُ[3] ، أي لا قطع في الثمر إذا أُخِذَ من رءوس الشجر ، فأمَّا إذا أُحْرِزَ فحكمه حكم غيره من الْمُحْرَزَاتِ .

وقوله : (لَا قَوَدَ إِلَّا بِحَدِيدَةٍ) فيه اختلاف بين الفقهاء ، منهم مَنْ تَعَلَّقَ به وقال : أي لا يُقْتَلُ إلا من قَتَلَ بحديدة ، بل تؤخذ منه الدِّيَةُ ، وبعضهم يقول : إذا قَتَلَ بما مِثْلُهُ يَقْتُلُ قُتِلَ ، مثل أن يرميه بصخرة عظيمة - وما أشبه ذلك .

وقوله : (وَالْمَرْأَةُ تُعَاقِلُ الرَّجُلَ إِلَى ثُلُثِ دِيَتِهَا) فَدِيَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ نِصْفِ دِيَةِ الرجل ، فأما في الأعضاء : فما كان فيه أقل من ثلث الدية - نحو الإِصْبَع - فإن فيه عَشْرًا من الإبل ، وكذلك الإصبعان والثلاث - وما أشبه ذلك مما لا يجب فيه ثلث الدية ، فإن دِيَةَ أعضاء المرأة كَدِيَةِ أعضاء الرجل تُعَاقِلُهُ أي تساويه في ذلك . فإذا بلغ الثلث صارت دِيَةُ المرأة على النصف من دِيَةِ الرجل ، نحو دِيَةِ اليد

---

(١) البيت من الرمل ، من شعر عمر بن أبي ربيعة ، ورواية الديوان (فَازْعُمِي يا هند) . ومعناها : اضمني . انظر : ديوانه ٥٦ .

(٢) من حديث أخرجه البخاري في باب رثى النبي ﷺ سعد بن خولة ، عن سعد بن أبي وقاص .

(٣) في لسان العرب (كثر) : الكُثْرُ والكَثَرُ : جُمَّارُ النخل ، أنصارية ، وهو شحمه الذي في وسط النخلة في كلام الأنصار . ويقال : الكثر : طلع النخل . وقيل : الجُمَّار عامة .

والرجل والعين والْأَمَة من الشَّجَاج – وما أشبه ذلك .

وقوله : (وَلَا تَعْقِلُ الْعَاقِلَةُ عَمْدًا وَلَا عَبْدًا وَلَا صُلْحًا وَلَا اعْتِرَافًا) يقول : لا تَحْمِلُ عاقلةُ الرجل أن تؤدي عنه قَتْلَ الْعَمْدِ ؛ لأن ذلك في صُلْبِ ماله ، ولا صُلْحًا ، ولا ما اعترف به ، ولا عَبْدًا .

وقوله : (الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَالَمْ يَفْتَرِقَا) هما البائع والمشتري ، سُمِّيَا بَيِّعَيْنِ ، لأن كل واحد منهما يقال له : بائع . و (الْبَيْعُ) في كلام العرب من الأضداد ، يقال : بِعْتُ الشيء : إذا بِعْتَهُ أو اشتريتَهُ ، وأَبَعْتُهُ : إذا عَرَّضْتَهُ للبيع ، وأنشدنا الزجاج :

وَرَضِيتُ آلَاءَ الْكُمَيْتِ ، فَمَنْ يُبِعْ فَرَسًا ، فَلَيْسَ جَوَادُنَا بِمُبَاعِ[1]

أي : ليس بِمُعَرَّضٍ للبيع .

ومن الفقهاء من يَرَىٰ أن الافتراقَ افتراقُ الأَبْدَانِ ، ومنهم من يَرَىٰ أن الافتراق بالقول ووقوع العقد .

وقوله : (وَالْجَارُ أَحَقُّ بِصَقَبِهِ) يريد : بما لَاصَقَهُ وقَارَبَهُ ، والصَّقَبُ : القُرْبُ ، يقال : أَصْقَبَتْ دَارُكَ ، أي : دَنَتْ – يريد الشُّفْعَةَ .

وقوله : (وَكَنَهْيِهِ فِي الْبُيُوعِ عَنِ الْمُخَابَرَةِ وَالْمُحَاقَلَةِ وَالْمُزَابَنَةِ وَالْمُعَاوَمَةِ وَالثُّنْيَا) .

قال أبو إسحاق : (المخابرة) هي المزارعة على النصف والثلث والربع ، وأكثر من ذلك وأقَلّ ، وهو الخِبْرُ أَيْضًا – ومن ذلك قيل لِلْأَكَّارِ : خَبِيرٌ ، والْخُبْرَةُ أَيْضًا النصيب ، قال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

إِذَا مَا جَعَلْتُ الشَّاةَ لِلْقَوْمِ خُبْرَةً فَشَأْنُكِ ، إِنِّي ذَاهِبٌ لِشُئُونِي[2]

---

(١) البيت من الكامل ، ينسب إلى الهمداني .
انظر : المشوف المعلم ١ / ١٢٣ ، لسان العرب (بيع) ، المقاييس لابن فارس ١ / ٣٢٧ .

(٢) البيت من الطويل .
انظر : ديوانه ١٠٨ ، الاقتضاب ١ / ٩٣ .

قال : وَالْخُبْرَةُ : أن تشتري الجماعة الشاة فيقتسمونها ، وكان ابن الأعرابي يقول : أصل الـمخابرة من خَيْبَرَ ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أَقَرَّهَا في أيدي أهلها على النصف ، فقال : خَابِرُوهُمْ ،أي عَامِلُوهُمْ في خَيْبَر ، قال : ثم تنازعوا ، فَنَهَىٰ عن ذلك ، ثم جازت بعده . وفي (الـمحاقلة) ثلاثة أقوال :

قال بعضهم : هو بيع الزرع في سُنْبُلِهِ بالحِنْطَةِ ، وقيل : هو اكْتِرَاءُ الأرض بالحنطة ، وقيل : هي الـمزارعة بالثلث والربع وأقل من ذلك وأكثر . وهذا الوَجْهُ أَشْبَهُ بها على طريق اللغة ، لأن الـمحاقلةَ مأخوذةٌ من الْحَقْلِ ، والْحَقْلُ : الْقَرَاحُ[1] ، والـمفاعلة من اثنين في أمر واحد ، كالـمزارعة من اثنين ، والـمضاربة والـمشاتمة ، ويقال لِلأَقْرِحة : الْمَحَاقِلُ ، كما يقال لها : الـمزارع .

وأما (الـمُخَاضَرَة) التي نهى عنها فهي بيع الثمار وهي خُضْرٌ لم يَبْدُ صَلَاحُهَا ، سميت بذلك من الـمفاعلة أيضًا ؛ لأن الـمتبايعين تبايعا شيئًا أَخْضَرَ ، فهي مأخوذة من اثنين من الخُضْرَة .

و (الـمُزَابَنَةُ) : بيع الثمر في رءوس النخل بالتمر كَيْلًا ، وبيع العنب على الكَرْمِ بالزبيب كَيْلًا وإنما جاء النهي في ذلك ، لأنه من الكيل ، ولا يجوز شيء من الكيل والوزن – إذا كان من جنس واحد – إلا مِثْلًا بِمِثْلٍ ، ويَدًا بِيَدٍ ، وقد رُخِّصَ في العَرَايَا – واحدتها عَرِيَّة – وقد مضى شرحها .

وإنما سمي هذا النوع من الشراء والبيع (مُزَابَنَة) ، من الزَّبْن – يقال : زَبَنَتْهُ الناقةُ ، إذا دفعته ، والـمزابنة : التدافع ، وذلك أن الـمتبايعين ، إذا وقفا فيه على الغَبْن ، أراد الـمغبون أن يَفْسَخَ البيع ، وأراد الغابن أن يُمْضِيَهُ ، فَتَزَابَنَا ، أي تدافعا واختصما ، وَرُوِيَ عن مالك أنه قال : الـمزابنة : كُلُّ شَيْءٍ من الْجُزَافِ ، الذي لا يُعْرَفُ كَيْلُهُ ولا وَزْنُه ولا عَدَدُهُ ، مع شَيْءٍ مُسَمًّى من الكيل والوزن

---

(١) (القَرَاح) : الأرض الـمُخْلَصَةُ لزرع أو لغرس . وقيل : الـمزرعة ليس عليها بناء ، ولا فيها شجر . (انظر : لسان العرب – قرح) .

والعدد . وشَبِيهٌ بهذا قولهم لما يدفع من السلامة والعيب في السلعة : (أَوْشٌ) لأن الـمبتاع للثوب على أنه صحيح ، إذا وقف على خَرْقٍ أو عَيْبٍ فيه ، وقع لذلك بينه وبين البائع أَرْشٌ ، أي : خصومة واختلاف ، من قولك : أَرَّشْتُ بين الرَّجُلَيْنِ ، إذا أَغْرَيْتَ أحدهما بالآخر ، وأوقعت بينهما الشَّرَّ ، فَسُمِّي مَا نقص العَيْبُ من الثوب أَرْشًا ؛ إذ كان سَبَبًا لِلأَرْشِ .

وأما (الـمُعَاوَمَة) فَبَيْعُ النخل والشجر سنتين أو ثلاثًا أو أكثر من ذلك ، قال الأصمعي ، يقال للنخلة إذا حملت سنة ، و لم تحمل سنة : قد عَاوَمَتْ وسَانَهَتْ . ويقال : عاملت فلانًا مُعَاوَمَةً ومُسَانَهَةً ومُسَانَاةً ومُشَاهَرَةً ومُيَاوَمَةً ومُلَايَلَةً ومُسَاوَعَةً ومُحَايَنَةً ومُشَاتَاةً ومُصَايَفَةً ومُرَابَعَةً ومُخَارَفَةً ومُدَاهَرَةً ومُزَامَنَةً[1] .

وأما (الثُّنْيَا) فأن يبيع الرجل شيئا جُزَافًا ، فلا يجوز أن يستثني منه شيئا – قَلَّ أو كَثُرَ ، لأنه لا يُدْرَىٰ : لعل ما استثناه يأتي على جميعه ، إذا كان مما لا يؤمن فيه هذا ، ولا يُدْرَىٰ : كم يبقى منه ؟ هذا مذهب الشافعي في الاستثناء ، وقال مالك : من باع ثمره فاستثنى منه مَكِيلَةً فلا بأس بذلك ، إذا كان الـمستثنى ثلث الشيء ، فما دُونَهُ .

وتكون الثُّنيا في الـمزارعة : أن يَسْتَثْنِيَ بعد النصف والثلث كَيْلًا معلومًا . فهذا معنى الثُّنْيَا .

وأما الحديث الآخر : « لَا ثِنَي فِي الصَّدَقَةِ »[2] فإنما معناه : لا تؤخذ في السنة مرتين ، قال الشاعر :

أَفِي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعَتْنِي مَلَامَةٌ ... لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامَتُهَا ثِنَى[3]

يقول : ليس بَاوَّل لَوْمِها ، أي : قد فعلته قبل هذا ، وهذا ثِنًى بعده .

---

(١) مصدر على وزن (الـمفاعلة) ، من العام والسنة والشهر واليوم والليلة والساعة والحين والشتاء والصيف والربيع والخريف والدهر والزمن .

(٢) أخرجه أبو عبيد في الأموال ٥١٨ ، عن فاطمة بنت حسين مرفوعًا ، وهو في كنز العمال ٦ / ٣٣٢ عن أنس ، مَعْزُوًّا إلى الديلمي . وانظر : غريب الحديث للخطابي ٣ / ٢٤٤ .

(٣) البيت من الطويل ، ينسب إلى كعب بن زهير ، وكانت امرأته لَامَتْهُ في بَكْرٍ نَحَرَهُ . انظر : لسان العرب (ثنى) .

وأما (بَيْعُ مَالَمْ يَقْبِضْ) ففيه وجوه : منها أن يُسْلِفَ الرجلُ في طعام ، ثم يبيعه من غير الـمُسْتَسْلِف قبل أن يقبضه ، فإن باعه بأكثر من الثمن ، فهو رِبْحُ مالـم يضمن ، وإن باعه من الـمستسلف عند مَحَلِّ الأجل ، فذلك الدَّيْنُ بالدَّينِ ، وهو الكَالِئُ بالكَالِئ ، وهو النَّسِيئَةُ بالنَّسِيئَة - مهموز - من قولهم : أَنْسَأَ اللهُ فُلاَنًا أَجَلَهُ ، ونَسَأَ اللهُ فِي أَجَلِهِ - بغير ألف .

وأمّا (البَيْعُ والسَّلَفُ) : فهو أن يقول الرجل لصاحبه : أَبِيعُكَ هذه السلعةَ بكذا وكذا ، على أن تُسْلِفَنِي كذا وكذا درهمًا - ونحو هذا -؛ لأنه لا يمكن أن يكون بَاعَهُ السلعةَ بأقل من ثمنها من أجل القرض .

و (الشَّرْطَانِ فِي بَيْعٍ) : هو أن يشتري الرجل السلعة إلى شهرين بدينارين ، وإلى ثلاثة أشهر بثلاثة دنانير ، فهو في معنى بيعتين في بيعة .

و (تَلَقِّى الرُّكْبَانِ) : هو أن أهل الأمصار كانوا إذا بَلَغَهُمْ وُرُودُ الأَعْرَابِ بالسِّلَعِ تَلَقَّوْهُمْ قبل أن يدخلوها ، فَاشْتَرَوْا منهم ، ولا عِلْمَ للأعراب بسعر الأمصار ، فَغَشُّوهُمْ ، ثم أدخلوه فَبَاعُوهُ وأَغْلَوْهُ .

ومثل ذلك النهي عن بيع الحاضر للبَادِي ، وكان الأعراب إذا قدِمُوا بالسلع لم يُقِيمُوا على بَيْعها ، وتَسَهَّلُوا فيه . وكان ناسٌ من أهل الـمصر يتوكلون لهم ببيعهم ، وينطلق الأعراب إلى باديتهم ، فَنُهُوا عن ذلك ؛ ليصيب الناسِ منهم .

وأما قوله : (لَاطَلَاقَ فِي إِغْلَاقٍ) فـ (الإِغْلَاقُ) : الإِكراهُ ، وهو من : إِغْلَاقِ الباب ، كأنه لا سبيل له إلى التخلص مما أُكْرِهَ عليه ، فكأنه مُغْلَقٌ عليه .

وقوله : (الطَّلَاقُ بِالرِّجَالِ ، وَالْعِدَّةُ بِالنِّسَاءِ) : فهو مذهب أهل الـمدينة ؛ وذلك في الْأَمَةِ تِكون تحت الْحُرِّ ، فَإِنَّ عِدَّتَهَا حَيْضَتَانِ ، والْحُرَّةُ تكون تحت العبد ، فَعِدَّتُها ثَلَاثُ حِيَضٍ . وكذلك قال أهل العراق في العِدَّة ، وخالفوا في الطلاق ، فقالوا : الطلاق بالنساء . وقال أهل الـمدينة : هو بالرجال .

و (بَيْعُ الـمُوَاصَفَةِ) هو أن يبيع الرجل سلعةً ليست عنده ، ثم يبتاعها بَعْدُ ، فيدفعها إلى الـمشتري . وإنما قيل لها : (مُوَاصَفَةٌ) ؛ لأنه باع بالصِّفَةِ من غير

نَظَرٍ ولا خِيَارٍ ولا حِيَازَةِ مِلْكٍ . وكان عبد الله بن عمر يقول للبائع : لَا تَبِعْ ماليس عندك ، ويقول للمشتري : لا تَبْتَعْ منه ماليس عنده .

فهذا تفسير هذه الألفاظ ، التي ذُكِرَتْ في هذا الكتاب .

وَلِلنَّهْيِ ألفاظٌ أُخَرُ ، قد وردت عن النبي صلى الله عليه وآله في البيوع وغيرها ، وأنا أذكر بعضها هاهنا ؛ فإن فيه فائدةً للمتفقهين وأهل اللغة .

فمن ذلك النهي عن بيع الثمر قبل أن يزهو[1] ، وفي حديث آخر : قبل أن يُشَقِّحَ[2] أي يَتَلَوَّنَ ، والنَّهْيُ عن بيع العُرْبَان[3] ، وعن النَّجْشِ[4] ، والـمُنَابَذَةِ ، والـمُلَامَسَةِ ، ومن ذلك نهيه صلى الله عليه وآله عن أن يُضَحِّيَ الرجل بِشَرْقَاءَ ، أَوْ خَرْقَاءَ ، أو مُقَابَلَةٍ ، أو مُدَابَرَةٍ ، أَوْ جَدْعَاءَ[5] ، وعن حُلْوَانِ الكَاهِنِ ، ولحوم الجَلَّالَةِ[6] ، وعن عَسْبِ الْفَحْلِ[7] ، والـمُكَاعَمَةِ ، والـمُكَامَعَةِ[8] وعن الفَرْعِ ، والْعَتِيرَةِ ، وعن الْمَجْرِ ، والـمَلَاقِيح ، والـمَضَامِين[9] ، وحَبَلِ الْحَبَلَةِ .

فأمَّا (زَهْوُ الثَّمَرِ) : فهو أن يَبْدُوَ صَلَاحُه ، فَيَحْمَرَّ أَوْ يَصْفَرَّ ، يقال منه : زَهَىٰ وأَزْهَىٰ .

و (التَّشْقِيح) كذلك ، وهو أن يَبْدُوَ فيه نُقَطٌ ، من الإِرْطَابِ .

و (بيع العُرْبَان) أن يَسْتَامَ الرَّجُلَ بالسلعة ، ثم يدفع إلى صاحبها دينارًا أو

---

(١) انظر : الفائق للزمخشري (الزاي مع الهاء) .

(٢) انظر : الفائق للزمخشري (الشين مع القاف) .

(٣) انظر : الفائق للزمخشري (العين مع الراء) .

(٤) انظر : الفائق للزمخشري (النون مع الجيم) .

(٥) انظر : الفائق للزمخشري (الشين مع الراء) .

(٦) انظر : الفائق للزمخشري (الحاء مع اللام ، الجيم مع اللام) .

(٧) انظر : الفائق للزمخشري (العين مع السين) .

(٨) انظر : الفائق للزمخشري (الكاف مع العين) .

(٩) انظر : الفائق للزمخشري (الفاء مع الراء ، الميم مع الجيم ، اللام مع القاف) .

درهمًا ، عَرْبُونًا على أنه إن اشترى السلعةَ كان الذي دفعه إليه من الثمن ، وإن لم يَشْتَرِهَا كان ذلك الشيءُ لصاحبها ، لا يرتجعه منه ، ويقال : عُرْبَانٌ وَعَرْبُون ، وأُرْبَان وأُرْبُون[1] فأمَّا (الرَّبُونُ) فَقَوْلُ العامة . و (النَّجْشُ) في المبايعة : أن يزيد الرجل في ثمن السلعة ، وهو لا يريد شراءها ؛ لِيَزِيدَ غَيْرُهُ بزيادته ، وأصل النَّجشِ : الْخَتْلُ ، ومنه قيل للصياد : نَجَّاشٌ ونَاجِشٌ ؛ لأنه يَخْتِلُ الصَّيْدَ بِحَبَائِلَ له ، وكل من استثار شيئًا فقد نَجَشَهُ . و (المُنَابَذَةُ) : أن يقول الرجل لصاحبه : انْبِذْ إِلَيَّ الثوبَ - أو غيره من المتاع - أو أَنْبِذُهُ إليك ، فقد وجب البيع بكذا وكذا . وقيل : إنما هو أن يقول الرجل للرجل : إذا نَبَذْتُ إليك الحَصَاةَ من يدي فقد وجب البيع ، وهذا معنى قوله : إنه نهى عن بيع الحصاة .

و (المُلَامَسَةُ) : أن يقول الرجل لصاحبه : إذا لَمَسْتَ ثوبي أو لَمَسْتُ ثوبك فقد وجب البيع بكذا وكذا . وقيل : بل هو أن يَلْمِسَ المتاعَ من وراء الثوب - لا ينظر إليه - ويقع البيع على ذلك .

وهذه بُيُوعٌ كان أهل الجاهلية يتبايعونها ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنها .

و (الشَّرْقَاءُ) : من الغنم ، المشقوقة الأذن باثنتين .

و (الْخَرْقَاءُ) : أن يكون في الأذن ثُقْبٌ مستدير .

و (المُقَابَلَة) : أن يُقْطَعَ من مُقَدَّمِ أذنها شيء ، ثم يُتْرَكَ مُعَلَّقًا غَيْرَ بائن ، كأنه زَنَمَةٌ ، ويقال لمثل ذلك من الإبل : (الْمُزَنَّم) ، ويسمى ذلك المُعَلَّق : (الرَّعْلُ) .

و (الْجَدْعَاءُ) : المقطوعة الأذن ، والْجَدْعُ : القطع .

---

(١) (العَرَبُون) بفتح العين والراء هو : أن يشتري الرجل شيئا ، أو يستأجره ، ويعطي بعض الثمن أو الأجرة ، ثم يقول : إن تم العقد احتسبناه ، وإلا فهو لك ولا آخذه منك . وفيه لغة أخرى بضم فسكون على وزن (عصفور) . وثالثة هي (العُرْبان) بضم فسكون أيضا . (انظر : لسان العرب - عربن) .
ونجد الزجاجي هنا لم يذكر (العَرَبُون) بفتحتين ، وذكر (الأُرْبَان والأُرْبُون) بإبدال العين همزة فيهما ، وقال : إن (الرَّبُون) من لحن العامة .
وفي لسان العرب أن إبدال العين همزة من لحن العامة ، ولم يذكر (الربون) بحذف الهمزة مطلقا .

وأما (حُلْوَانُ الكاهن) : فهو ما يُعْطَاهُ على كَهَانَتِهِ ، يقال منه : حَلَوْتُ الرَّجُلَ حُلْوَانًا : إذا حَبَوْتَهُ ، والحُلْوَانُ : الرِّشْوَةُ أيضًا ، يقال : حَلَوْتُ الرجلَ : إذا رَشَوْتَهُ ، والحُلْوَانُ : أن يأخذ الرجل من مَهْرِ ابنته لنفسه ، وهو عَارٌ عند العرب .

وأمّا (لحوم الجَلَّالَة) : فهي الإبل التي تأكل الجِلَّةَ ، والجِلَّةُ : البَعْرُ وَالعَذِرَةُ . وأمّا (عَسْبُ الْفَحْلِ) ، فهو : الكِرَاءُ الذي يؤخذ على ضِرَابِه ، إذا اكْتُرِيَ لذلك ، وقال بعضهم : الْعَسْبُ هو الضِّرَابُ نَفْسُهُ ، فَسُمِّيَ الكِرَاءُ عليه عَسْبًا بِهِ . وأما (الـمُكَاعَمَةُ) فَأَنْ يَلْثُمَ الرجلُ صاحبَهُ في فيه ، أخِذَ من كَعَامِ البعير ، وهو أن يُسَدَّ فُوهُ إذا هاج ، يقال منه : كَعَمْتُهُ فهو مكعوم .

و (الـمُكَامَعَةُ) : أن يضاجع صاحبه في ثوب واحد ، أُخِذَ من (الكَمِيع) ، وهو الضجيع ، ومنه قيل لزوج الـمرأة : كَمِيعُهَا . قال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

وَهَبَّتِ الشَّمْأَلُ الْبَلِيلُ وَإِذْ بَاتَ كَمِيعُ الْفَتَاةِ مُلْتَفِعَا[٢]

الكَمِيعُ : الضجيع .

و (الفَرْعُ والفَرَعَةُ) : أَوَّلُ وَلَدٍ تَلِدُهُ الناقةُ ، وكانوا يذبحون ذلك لِآلِهَتِهِمْ ، فَنُهوا عنه .

و (الْعَتِيرَةُ) الرَّجَبِيَّةُ ، وهي ذبائح كانت تُذْبَحُ في رَجَبٍ ، كان أهل الجاهلية يتقربون بها ، ثم جاء الإسلام فكانوا على ذلك حتى نُهُوا عنه . والْعَتْرُ : الذبح ، قال الحارث بن حِلِّزَة :

---

(١) انظر الفائق للزمخشري (الحاء مع الصاد) .

(٢) البيت من الـمنسرح ، من مرثية أوس بن حجر . ويروى : (وعَزَّت الشمأل الرياح) . و (عَزَّت) : غلبت . والشمأل : الريح التي تهب من قِبَلِ الشام عن يسار القبلة .

انظر : ديوانه ٥٣ ، الأمالي للقالي ٣ / ٣٩ .

عَنَنًا بَـاطِلًا وَظُلْمًـا. كَمَـا تُعْــ ـتَرُ عن حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّبَـاءُ[1]

تُعْتَرُ : أي تُذْبَحُ . حدثنا أبو القاسم الصائغ ، عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، قال : حدثني أحمد بن سعيد اللحياني ، قال : حدثنا أبو الحسن الأخفش ، قال : حدثنا أبو العباس المبرد ، قال : حدثني أبو محمد التوزي ، عن أبي عمرو الشيباني ، قال : كُنَّا بِالرَّقَّةِ ، فأنشد الأصمعي :

عَنَنًا بَـاطِلًا وَظُلْمًـا كَمَـا تُعْــ ـنَزُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّبَـاءُ

فقلت له : إنما هو تُعْتَرُ : من العَتِيرَة ، والعَتْرُ : الذَّبح ، فقال الأصمعي : تُعْنَزُ : أي تُطْعَنُ بالعَنَزَةِ — وهي الْحَرْبَة — وجعل يصيح ويَشْغَبُ ، فقلت له : تَكَلَّمْ كَلَامَ النَّمْلِ وَأَصِبْ ، وَاللهِ لَوْ نَفَخْتَ فِي شَبُّورِ يَهُودِيٍّ ، وَصِحْتَ إِلَى التَّنَادِ مَا نَفَعَكَ شَيْءٌ ، وَلَا كَانَ إِلَّا تُعْتَرُ ، والْعَتْرُ : الذبح ، ولا رَوَيْتَهُ أَنْتَ بَعْدَ هذا اليوم إِلَّا تُعْتَرُ ، فقال الأصمعي : والله لا رَوَيْتُه بعد هذا اليوم إلا تُعْتَرُ ، والعتر : الذبح ، والعتيرة : الذبيحة . والْحَجْرَةُ : الحظيرة ، والرَّبِيضُ : جَمَاعَةُ الْغَنَمِ . وكان الرجل من العرب يَنْذِرُ نَذْرًا عن شَائِهِ ، إذا بلغت مائةً ، أن يذبح من كل عشرة منها شاةً في رَجَبٍ ، وكانت تسمى تلك الرَّجَبِيَّة — وهي العتائر — وكان الرجل منهم رُبَّمَا بَخِلَ بِشَاتِهِ ، فيصيد الظباءَ ، فيذبحها عن غنمه ؛ لِيُوفِي بنذره ، فيقول هذا الشاعر : إنكم تأخذوننا بذنوب غيرنا ، كما يذبح أولئك الظِّبَاءَ عن غنمهم .

وأما النهي عن (الْمَجْر) : فـ (المجر) : أن يَشْتَرِيَ الرجلُ البعيرَ أو الناقةَ أو غير ذلك بما في بطن ناقته قبل أن تضعه ، فيأخذ البائعُ البعيرَ أو الناقةَ أو غير ذلك ، فإذا وضعت ناقته أخذ المشتري ولدها .

---

(١) البيت من الخفيف ، من معلقة الحارث بن حلزة . و (العنن) : الاعتراض .
انظر : المعلقات العشر ١٧٣ ، الخصائص ٣ / ٣٠٧ .
وانظر ما جرى بين الأصمعي وأبي عمرو الشيباني أو أبي عمرو بن العلاء في تصحيف (تعتر) في : شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري ٩٣ وما بعدها .

قال أبو عمرو الشيباني : (الْغَذَوِيّ) : أن يُبَاعَ البعيرُ أو الفرسُ أو غَيْرُ ذلك بما يَضْرِبُ هذا الفَحْلُ في عَامِهِ ، وأنشد للفرزدق يذكر قومه :

وَمُهُورُ نِسوَتِهِمْ إِذَا مَا أَنْكَحُوا غَذَوِيُّ كُلِّ هَبَنْقَعٍ تِنْبَالِ[1]

و (الـمَلَاقِيحُ) : ما في البطون وهي أَجِنَّةٌ لم تُولَدْ ، واحدها (مَلْقُوحَةٌ) .

و (الْمَضَامِين) : ما في أصلاب الفحول ، كانوا يتبايعون الجنين الذي في بطن الناقة ، وما يَضْرِبُ الفحلُ في عامه ، أو في أعوام ، وهذا الْغَذَوِيّ الذي ذكرناه .

وأمَّا (حَبَلُ الْحَبَلَةِ) : فهو نِتَاجُ النِّتَاجِ ، كأنه وَلَدُ مالـم يُولَدْ بَعْدُ ، إذا وُلِدَ ثم وَلَدَ وَلَدًا ، فالـمولود الثاني هو حَبَلُ الْحَبَلَةِ .

وهذا كله كان في الجاهلية ، ثم نُهِيَ عنه في الإسلام ؛ لأنه من الْغَرَرِ .

* * *

وقال ابن قتيبة : « وَلَا بُدَّ لَهُ – يعني الكاتب – مِنَ النَّظَرِ فِي الْأَشْكَالِ لِمِسَاحَةِ الْأَرَضِينَ ؛ حَتَّى يَعْرِفَ الْمُثَلَّثَ الْقَائِمَ الزَّاوِيَةِ ، وَالْمُثَلَّثَ الْحَادَّ وَالْمُنْفَرِجَ ، وَمَسَاقِطَ الْأَحْجَارِ ، وَالْمُرَبَّعَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ ، وَالْقِسِيِّ ، وَالْمُدَوَّرَاتِ » .

* * *

قال أبو إسحاق : فقد أَوْجَبَ له في هذا الفصل أن يكون عَارِفًا بِالْمِسَاحَةِ كُلِّها ، وأنا أذكر منها جُمَلًا ، تكفي النَّاظِرَ فيها مَاسِوَاهَا .

اعلم أن الناس في الـمساحة على ضربين : منهم من يَمْسَحُ بِحَبْلٍ طُولُهُ ستون ذِرَاعًا ، ومنهم من يَمْسَحُ بِقَصَبَةٍ طُولُها سِتُّ أَذْرُعٍ . والحَبْلُ يسمى

---

(١) البيت من الكامل . و (الهَبَنْقَع) : الـمَزْهُوّ الأحمق الذي يحب محادثة النساء . و (الغَذَوِيّ) : أن يباع البعير أو غيره بما يضرب الفحل ، وقيل : هو أن تباع الشاة بِنِتَاجِ مَاتَرَا به الكبش ذلك العام . و (التنبال) القصير .

انظر : لسان العرب (هبقع ، غدا) .

(الأَشْل)[1] –وهو سِتُّونَ ذِرَاعًا – والقَصَبَةُ عُشْرُ الأَشْل – وتسمى (الباب) – وهي سِتُّ أذرع ، بالذراع الهاشمية . وأنا أذكر لك الأَذْرُع وأجناسها في موضعه من هذا الفصل ، إن شاء الله . إلا أن الذراع الهاشمية ذراع وثلث بذراع اليد ، فـ(الباب) – إذَنْ – ثماني أَذْرُعٍ بذراع اليد ، والذراع سُدْسُ الباب ، والقصبة سُدْسُ الذراع ؛ لأن الذراع سِتُّ قَبَضَاتٍ ، والإصْبَعُ رُبْعُ القبضة ؛ لأن القبضة أَرْبَعُ أصابعَ ، والإصبع – إذَنْ – ثُلُثُ ثُمُنِ ذراعٍ ؛ لأن جملة الذراع أربع وعشرون إصْبَعًا ، والواحد منها ثُلُثُ الثُّمُنِ .

مثال ذلك طول سبع وستين ذراعًا ورُبْعٍ وسُدْسٍ وثُمُنِ ذراع ، تقول : هو أَشْلٌ وباب وذراع وثلاث قبضات وإصبع . فالأَشْل ستون ذراعًا ، والباب سِتُّ أذرع ، والذراع واحد ، والربع والسدس والثُّمن إذا نسبته من الذراع وجدته ثلاث قبضات وإصبعًا .

واعلم أن جميع مايتولد من ضرب هذه الأشياء بعضها في بعض ، هو من غير جنسها . وهي أربعة أصناف : الجُرْبَان ، والقُفْزَان ، والعُشْرَان ، وكسور العُشْران . وقد غلط بعض الرؤساء من الكتاب ، فقال في مجلسه : في دار فلان بستانٌ جَرِيبٌ في جَرِيبٍ ، فحُفِظَ ذلك عليه[2] ، وإنما أتاه الغلط من قِبَلِ جهله بالفرق بين الطول والبَسْط .

وهذه المنازل الخمس المضروب بعضها في بعض إنما هي أطوال فقط ، ومجراها مجرى الشيء الذي يسميه المهندسون الخط ؛ لأن الخط إذا وُضِعَ وفُرِضَ عند نهايته خط آخر عرضًا على الزاوية التي تسمى (القائمة) تَوَلَّدَ عن ذلك شيء له طول وعرض ، وهو الذي يسميه المهندسون (الشكل البسيط) ، ويسمونه (السَّطَيح) أيضًا ، وهو جنس آخر غير الخطين المفروضين ، فلذلك صارت

---

(١) في لسان العرب (أشل) : الأَشْل من الذراع – بلغة أهل البصرة – يقولون : كذا وكذا حَبْلًا ، وكذا وكذا أَشْلًا – لمقدار معلوم عندهم . وقال أبو منصور : وما أُرَاهُ عربيًّا ، وقال أبو سعيد : الأُشُول هي الحبال ، وهي لغة من لغات النبط ، ولولا أنني نَبَطِي ما عرفته .

(٢)أي : أُخِذَت عليه وعُدَّتْ من سقطاته .

هذه الـمنازل التي هي أطوال – كما بَيَّنْتُ لك – إذا هي ضُرِبَتْ في مثلها ، تَوَلَّدَ منها شيء آخر ليس من جنسها ، فَسَمَّوْا الـمُتَوَلِّدَ عن أَوَّل الـمنازل – وهو الأَشْل – إذا ضرب في مثله جريبًا . ونَزَّلُوا الجريب ثلاثة منازل : إحداها عُشْر هذا الجريب ، فَسَمَّوْهُ (قفيزًا) ، والتي دُونَها عُشْرُ هذا القفيز ، وسَمَّوْه (عشيرًا) ، وبعد ذلك كَسْرُ هذا العشير مُقَدَّرًا على اسمه ، فصارت الـمنازل الـمتولدة عن ضرب ما ذكرنا أربعًا ، وهي : الجُرْبَانُ والقُفْزانُ والعُشْرانُ وكُسُور العُشْران ؛ لأن الـمنازل الـمضروب بعضها في بعض ، يكون ضرب بعضها [في بعض] على خمسةَ عشر وَجْهًا . منها الأُشُولُ في مثلها ، ثم في الأَرْبَعِ الـمنازلِ اللَّوَاتي بعدها، وهي الأبواب والأذرع والقبضات والأصابع، فهذه خمسة أوجه .

ومنها الأبواب في مثلها ، ثم في الثلاث منازل التي بعدها ، أربعة أوجه .

ومنها الأذرع في مثلها ، ثم في الـمنزلتين اللتين بعدها ، ثلاثة أوجه .

ومنها القبضات في مثلها ، ثم في الـمنزلة التي بعدها ، وجهان .

ومنها الأصابع في مثلها ، وجه واحد .

(معرفة ما يخرج من ضرب هذه الـمنازل بعضها في بعض) .

فالأُشُول في الأُشُول : جُرْبَانٌ ، وفي الأبواب : قُفْزَانٌ ، وفي الأذرع : أَسْدَاسُ القُفْزَانِ ، وكل واحد من أسداس القفزان يُحْكَى بعشير وثلثي عشير ، وفي القبضات ما يحكى كل واحد منه بسُدْس وتُسْع عشير . وفي الأصابع ما كُلُّ واحد منه ثُلُثُ ثُمُن ، ورُبْعُ تُسْعِ عشير .

والأبواب في الأبواب عُشْرَانٌ ، وفي الأذرع أسداس عُشْران ، وفي القبضات أرباع أتساع عُشْران ، وفي الأصابع أنصاف أثمان أتساع عُشْرَان .

والأذرع في الأذرع أرباع أتساع عُشْران . وفي القبضات أثلاث أثمان أتساع عُشْران . وفي الأصابع أنصاف أسداس أثمان أتساع عُشْران .

والقبضات في القبضات أرباع أثمان أتساع عُشْران . وكل واحدة من الأصابع في مثلها ربع ثمن تسع عشير .

وجملة هذا أن تقول : الأُشُول في الأُشُول جُرْبَانٌ ، وفي الأبواب قُفْزَانٌ ، وفي الأذرع أسداس قُفْزَان ، لكل ستين منها جريب ، ولكل ستةٍ قفيز – ولكل واحد سُدْسُ قفيز ، وهو عشير وثلثا عشير .

والأبواب في الأبواب واحدها عشير ، وعَشَرَتها قفيز ، ومائتها جريب . والأبواب في الأذرع واحدها سدس عشير ، وكل ستة منها عشير ، وكل ستين قفيزٌ ، وكل ستمائة جريبٌ .

والأذرع في الأذرع ، واحدها ربع تسع عشير ، وكل سِتَّةٍ منها سُدْسُ عشير ، وكُلُّ ستة وثلاثين عشيرٌ ، وكل ثلثمائة وستين قفيزٌ ، وكل ثلاثة آلاف وستمائة جريبٌ . وأقرب من هذا في العمل أن تُنَزِّلَ الأشوال منزلة العُشْران في الضرب ، وتنزل الأبواب منزلة الآحاد ، وتنزل الأذرع منزلة الدَّوَانيق – وهي الأسداس – ثم تضرب بعضه في بعض ، وتأخذ لكل مائة جريبًا ، ولكل عشرة قفيزًا ، ولكل واحد عشيرًا ، وتَنْسُبَ مابعد ذلك على منزلته من الكسر .

مثال ذلك : أَشْلٌ وثلاثة أبواب وذراعان ، في أَشْل وسبعة أبواب وأربع أذرع ، إذا قيل لك : كيف تضرب بعضها في بعض ؟ فكأنه قال لك : كيف تضرب ثلاثة عشر وثلثا في سبعة عشر وثلثين ؟ فاضرب بعضه في بعض ، فيكون مائتين وخمسةً وثلاثين ونصفًا ونصفَ تُسْعٍ ، فيكون ذلك جريبين وثلاثة أقفزة وخمسة أَعْشُر ونصفًا ونصف عشير . فهذا مأخذ قريب سهل ، إن شاء الله . واعلم أن الجريب – على ماذكرت لك – ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مُكَسَّرًا ؛ لأنه ستون في ستين . (ومعنى قولهم : (مُكَسَّر) هو أن الجريب ثلاثة آلاف وستمائة قطعة مربعة ، وكل قطعة منها ذراعٌ طَولًا في ذراع عَرْضًا . وهكذا جميع مايقال لك : هذا كذا وكذا ذراعًا مُكَسَّرًا . فهذا معنى التكسير ، فَتَفَهَّمْهُ ، فإنه يذهب على خَلْقٍ كثير معنى التكسير .

والقفيز ثلثمائة وستون ذراعًا مُكَسَّرًا ، والعشير سِتٌّ وثلاثون ذراعًا – على ما ذكرت لك .

(القول في الأشكال التي تقع عليها المساحة)

وهي ستة أجناس : المربّعات والمثلثات والمدوّرات والمقوّسات والمطبّلات وذوات الأضلاع الكثيرة .

(القول في المربعات وتحديدها) :

اعلم أن المربع المطلق هو كل شكل أحاطت به أربعة خطوط متساوية ، وكانت زواياه الأربع قوائم – وستقف على الزاوية القائمة في تحديد الزوايا ، إن شاء الله – فهذا هو المربع المطلق وهكذا حَدُّهُ إقليدس في كتابه ، فالمربعات خمسة أجناس[1] :

أولها : المربع المطلق الذي تقدم ذكره ، وهو المتساوي الأضلاع ، القائم الزوايا .

والثاني : المختلف الأضلاع ، القائم الزوايا .

والثالث : المُعَيَّنُ ، وهو الذي استوت أضلاعه ، واختلفت زواياه .

والرابع : المُشَبَّه بالمُعَيَّن ، وهو الذي طولاه متساويان ، وعَرْضَاه متساويان ، إلا أن عرضه مخالف لطوله ، وزواياه مختلفة .

والخامس : المختلف الأضلاع والزوايا .

(القول في تحديد الزوايا والخطوط) :

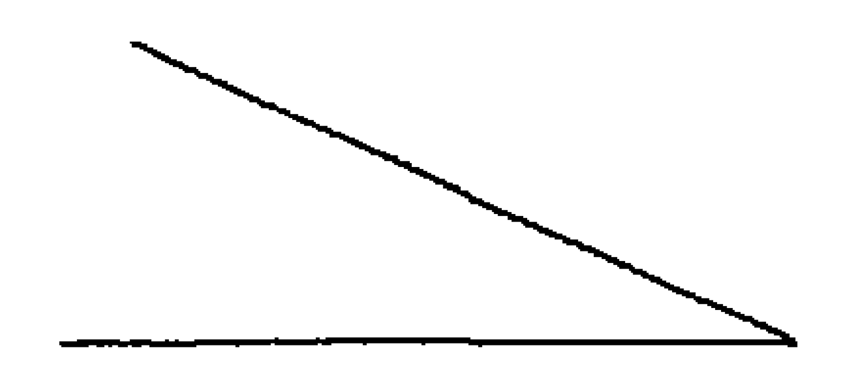
وإنما قَدَّمْنَا هذا لِنَذْكُرَ بَعْدَهُ المثلثَ ، ولابُدَّ من معرفة الزوايا في تحديد المثلثات . فالزاوية : انحراف خَطَّيْن ، كُلُّ واحد منهما عن[2] نقطةٍ في بسيط على غير استقامة ، وهي[3] شكل يحيط به خطّان على هذا المثال :

---

(١) قوله : « وهكذا حده ... أجناس » ساقط من الأصل ، ومكانه فيه : « وهو الذي تقدم ذكره » .

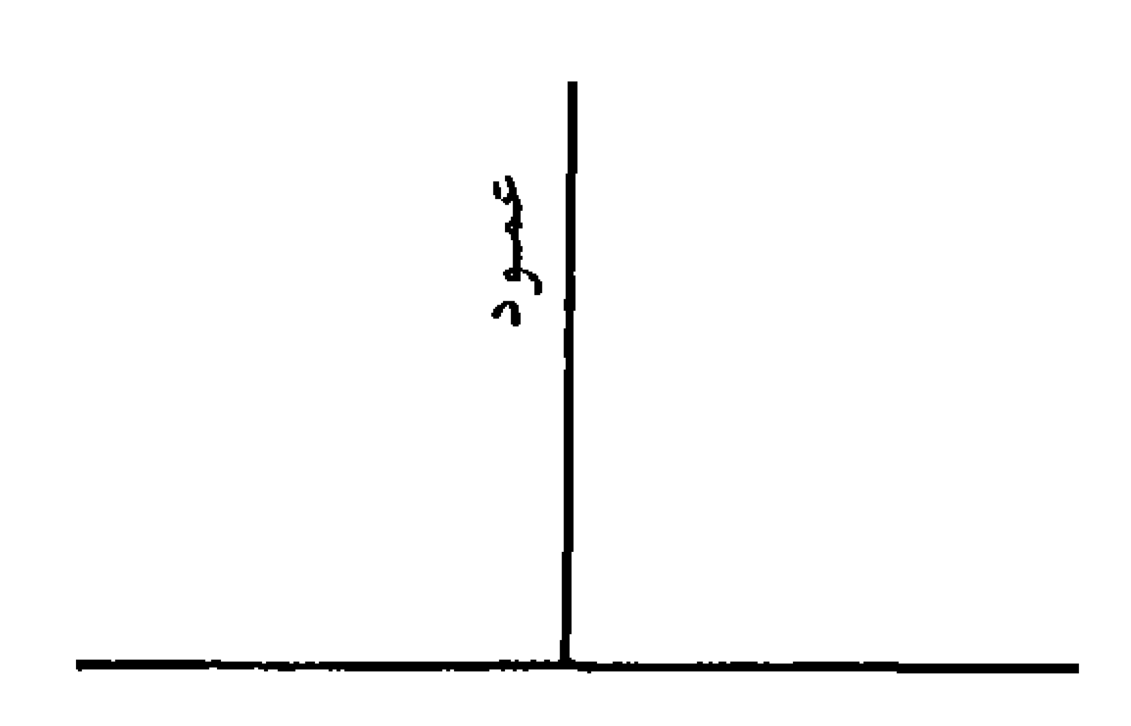
(٢) في (ب) : « على نقطة » .

(٣) في الأصل : « هو » .

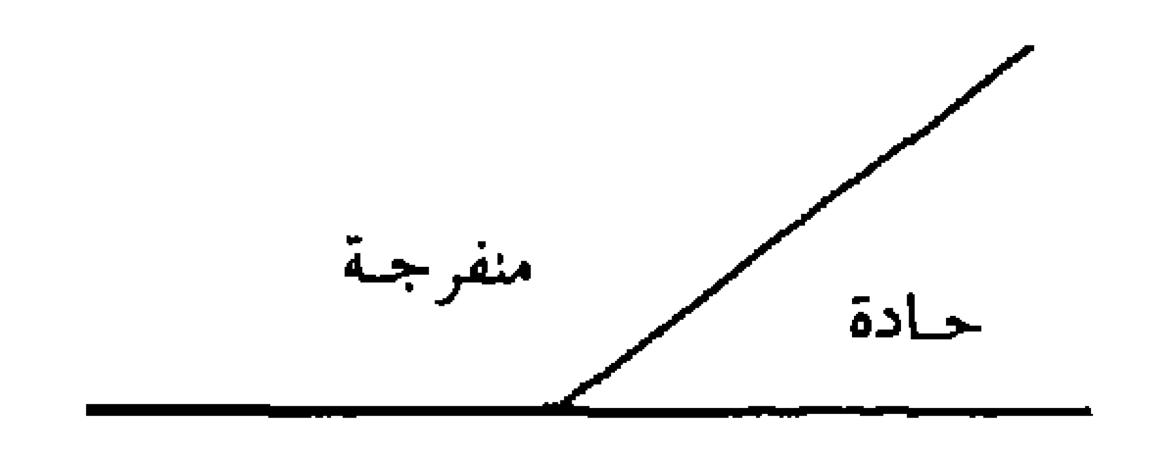


والزوايا ثلاث[1] : قائمة وحادَّة ومنفرجة .

فالزاوية القائمة هي : أن يقوم خط مستقيم على خط مستقيم ، فتصير الزاويتان اللتان عن جنبيه متساويتين ، فذلك الخط عمود على الخط الواقع عليه ، وكل واحد من الزاويتين قائمة ، وهذه صورته :



فَإِنْ صُيِّر (إحدى)[2] الزاويتين اللتين عن جنبيه أَعْظَمَ من الأخرى فليس بعمود ، والكبرى من الزوايتين منفرجة ، والصغرى حادة ، وهذه صورته :



(القول في تحديد الخطوط) :

الخطوط ثلاثة : خط مستقيم ، وخط غير مستقيم ، وخط مُدَوَّر .

فالخط المستقيم : قال إقليدس : هو الموضوع على مُقَابِلِهِ ، أيّ النُّقَطِ كانت

(١) « ثلاث » ساقط من الأصل .

(٢) « إحدى » ساقط من الأصل .

عليه بعضها[١] ببعض ، يعني أنك إذا وصلت بين نقطتين متقابلتين بخط ، فذلك الخط هو الخط المستقيم . وقال غيره : الخط المستقيم هو كل خط وُجِدَ فيه ثلاث نُقَط على سَمْتٍ واحد .

وقال قُسْطَا[٢] : الخط المستقيم هو أقصر خط وَصَل بين نقطتين .

وغير المستقيم يدخل تحته المُقَوَّسُ والدائرة . وإذا انحرف الخط عن الاستقامة فهو غير مستقيم ، فإن تَقَوَّسَ و لم يَلْتَقِ طرفاه فهو (قَوْسٌ) وإن التقى طرفاه وكان له[٣] مركز وتساوت الخطوط الخارجة منه إلى المركز المحيط ، فذلك (دائرة) .

(القول في تحديد المثلثات) :

المثلثات ثلاثة أجناس ، مثلث (حادّ الزوايا) : وهو أن تكون زواياه الثلاث[٤] حَوَادَّ . ومثلث (قائم الزاوية) : وهو أن تكون فيه زاوية واحدة قائمة وزاويتان حادتان ، فيقال له : قائم الزاوية ، ولا يجوز أن يقع في مثلث زاويتان قائمتان ؛ لأن كل مثلث زواياه الثلاث مساويات لزاويتين قائمتين[٥] ، فَمُحَالٌ أن تقع فيه زاويتان قائمتان ، فإذا لم تقع فيه قائمتان فالمنفرجات أَبْعَدُ ؛ لأن المنفرجة أكثر من القائمة – كما مَثَّلْتُ لك – . ومثلث (منفرج الزاوية) : وهو أن تقع فيه زاوية منفرجة وزاويتان حادّتان ، ومُحَالٌ أن تقع فيه زاويتان منفرجتان ، أو زاوية منفرجة وزاوية قائمة والأخرى حادة .

وقد بَرْهَنَ إقليدس في المقالة الأولى من كتابه أن زوايا كل مثلث ، ثلاثتها مساوية لزاويتين قائمتين ببرهان هندسيّ .

وتحديد المثلث من خطوطه أيضًا يكون ثلاثةَ أجناس :

مثلث (متساوي الأضلاع) : وهو أن تتساوى أضلاعه الثلاث ، وهو أول

---

(١) « ثلاث » ساقط من الأصل .

(١) هو : قُسْطَا بن لُوقَا البعلبكي النصراني ، طبيب حكيم ، منجم عالم بالهندسة والحساب والعلوم الطبيعية والمنطق ، كان حيًّا حتى سنة ٢٦٠هـ .

(٢) « له » ساقط من الأصل .

(٣) في الأصل : « زوايا المثلث » .

(٤) في الأصل : « لأن كل مثلث ، فإن زواياه الثلاث متساويات في زاويتين قائمتين فمحال ... » .

شكل عمله إقليدس في كتابه

ومثلث (متساوي الساقين) : وهو أن يتساوى ضلعان منه ويخالف الثالث ، والثالث هو القاعدة ، والمتساويان ساقاه .

والثالث (ما اختلفت أضلاعه الثلاث) .

(القول في تحديد الـمقوَّس) :

الـمُقَوَّسُ شكل يحيط به خط مقوّس لا يلتقي طرفاه ، وخط مستقيم يصل بين طرفيه[1] ، وهو بعض الدائرة ، وهو ثلاثة أجناس : مقوّس هو نصف الدائرة ، ومقوّس أكبر من نصف الدائرة ، ومقوّس أصغر من نصف الدائرة ، والخط الذي يصل بين طرفيه يقال له : (الْوَتَر) ، وسَهْمُه خط يصل بين القوس والوتر .

(القول في الدائرة) :

الدائرة شكل بسيط ، يحيط به خط واحد مستدير ، دَاخِلُهُ نقطةٌ هي مركزها ، وكل الخطوط التي تخرج من مركز تلك الدائرة إلى محيطها متساوية[2] .

(القول في الـمُطَبَّل) :

الـمطبل شكل يحيط به أربعة خطوط في وسطها انحراف عن الاستقامة إلى داخله ، فَوَسَطُهُ أصغر من طرفيه .

وأما ذوات الأضلاع الكثيرة ، فهي الأشكال التي يحيط بكل واحد منها أكثر من أربعة خطوط .

(القول في مساحة هذه الأشكال) :

قال محمد بن موسى الخوارزمي[3] : كل مربع متساوي الأضلاع ، فَضَرْبُكَ الطولَ في العرض هو تكسيره . وكل سطح قائم الزوايا ، فَضَرْبُكَ الطولَ في

---

(١) في (ب) : « خط مقوس لا يلتقي طرفاه » .

(٢) في الأصل : « التي تخرج من تلك النقطة إلى محيطها » .

(٣) هو : محمد بن موسى ، فلكي رياضي مؤرخ جغرافي ، كان منقطعا إلى خزانة كتب الحكمة للمأمون ، توفى سنة ٢٣٥هـ .

العرض هو تكسيره . وكل سطح قائم الزوايا ، فَضَرْبُكَ الطولَ في العرض هو تكسيره . وكل مثلث متساوي الأضلاع ، فَضَرْبُكَ العمودَ في نصف القاعدة التي يقع عليها العمود هو تكسيره . وكل مُعَيَّنَةٍ متساوية الأضلاع ، فإن ضَرْبَكَ أَحَدَ القُطْرَيْنِ في نصف القطر الآخر هو تكسيرها . وكل مُدَوَّرة ، فإن ضَرْبَ القطر – وهو الخط الذي يَجُوزُ بمركزها فينتهي إلى كلا الجانبين ويقطعها بنصفين – في ثلاثة وسُبْعٍ هو الدَّوْر الذي يحيط بها ، وهو اصطلاح بين الناس ، وليس هو في الحقيقة كذلك . ولأهل الهندسة فيه قولان :

أحدهما : أن تضرب القُطْر في مثله ثم في عشرة ، ثم تأخذ جِذْرَ ما اجتمع ، فما بلغ فهو الدَّوْر .

والقول الآخر : لأصحاب النجوم ، وهو أن يُضْرَبَ القطر في اثنين وستين ألفًا وثمانمائة واثنتين وثلاثين ، وتقسمه على عشرين أَلْفًا ، فما خرج فهو الدَّوْر . وكل ذلك قريب بعضه من بعض . والدَّوْر إذا قسم على ثلاثة ، فما خرج فهو القطر .

وكل مُدَوَّرَةٍ ، فإنْ ضُرِبَ نصف القطر في نصف الدور ، فهو التكسير ؛ لأن كل ذات أضلاع وزوايا متساوية من المثلثات والمربعات والمخمسات ، ومافوق ذلك ، فإن نصف ما يحيط بها في نصف قطر أو سُبْعِ دائرة يقع فيها هو تكسيرها .

وكل مُدَوَّرة فإن قطرها مضروبًا في مثله ، منقوصًا منه سُبُعُهُ وِنصْفُ سُبُعِهِ ، فهو التكسير ، وهو موافق للأول .

وكل قطعة مُدَوَّرَةٍ شبيهة بقوس ، فإن كان السهم القوس مثل نصف الوتر ، فهي نصف مُدَوَّرة ، وإن كان السهم أقل من نصف الوَتَر ، فهي أقل من نصف دائرة . وإن كان أكثر من نصف الوتر ، فهي أكثر من نصف مُدَوَّرته . فإن أردت أن تعرف من أيِّ دائرة هي ؟ فاضرب نصف الوتر في مثله ، واقسمه على السهم ، وَرُدَّ ماخرج على السهم ، فما بلغ فهو قطر المدوَّرة التي تلك القوس منها . فإن

أردت تكسير القوس فاضرب نصف قطر الـمدوَّرة في نصف القوس ، واحفظ ماخرج ، ثم انقص سهم القوس من نصف قدر الـمدوّرة ، إن كانت أقل من نصف مدوّرة . وإن كانت أكثر من نصف مدوَّرة ، فانقص نصف قَدْرِ الـمدوَّرة من سهم القوس[1] ، واضرب مابقي في نصف وَتَرِ القوس ، وانقصه مما حفظت إن كانت القوس أقل من نصف مدوَّرة ، وَزِدْ عليه إن كانت أكثر من نصف مدوَّرة ، فما بلغ بعد الزيادة والنقص فهو تكسير القوس .

(**القول في الـمُجَسَّمَات**) :

وكل جسم[2] مُرَبَّع ، فإنَّ ضَرْبَ الطول في العرض في العمق هو التكسير . فَإِنْ كان على غير تربيع ، وكان مدوَّرًا أو مثلثًا أو غير ذلك - إلا أن عمقه على الاستواء والـموازاة - فإن مساحة ذلك أن تَمْسَحَ سَطْحَهُ وتعرف تكسيره ، فما كان ضَرَبْتَهُ في العمق ، فهو التكسير .

(الـمخروط) : وأما الـمخروط الـمثلث والـمربع والـمدور ، فإن الذي يكون من ضرب ثلث مساحة أسفله في عموده هو التكسير .

(الـمثلثات) : وكل مثلث قائم الزاوية ، كان ضرب ضِلْعَيْه الأَقْصَرَيْن[3] ، كُلُّ واحد منهما في نفسه مجموعًا ذلك مثل الذي يكون من ضرب ضلعه الأَطْوَلِ في نفسه .

(الزاوية الحادة من المثلثين) : ضرب ضلعيها الأقصرين ، كل واحد منهما في نفسه .

و (الـمنفرجة) : هي زاوية إذا ضَرَبْتَ ضلعيها الأقصرين ، كل واحد منهما

---

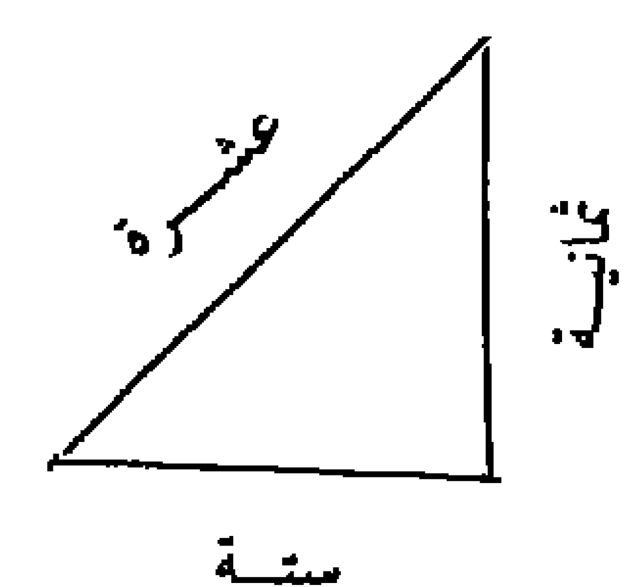
(١) في الأصل : « وإن كانت أقل من نصف مدورة ، فانقص نصف قطر الـمدورة من سهم القوس ، واضرب مابقي ...» .

(٢) في الأصل : « وكل بجسم » .

(٣) كذا ، والأولى « القُصْرَيَيْنِ » مثنى قُصْرَى ، أنثى الأقصر ؛ لأن الضِّلَعَ مؤنثة ، واسم التفضيل الـمُحَلَّى بـ (أل) يطابق موصوفه .

في نفسه وجمعته ، كانا أقل من الضلع الأطول في نفسه[١] .

و (القائمة) : هي التي لها عمودان وقطر ، وهي نصف مربعة ، فمعرفة تكسيرها أن يُضْرَبَ أحد الضلعين المحيطين بالزاوية القائمة في نصف الآخر ، فما كان ، فهو التكسير . مثال ذلك : مثلثة قائمة الزاوية ، ضلع منها سِتُّ أذرع وضلع ثمانية أذرع والقطر عشرة أذرع ، وهذه صورتها :



فحساب ذلك أن تضرب ثمانية في ثلاثة ، فتكون أربعة وعشرين ، فإن أحببت أن تحسبها بالعمود ، فإنَّ عمودها لايقع إلا على الضلع الأطول ؛ لأن الضلعين الآخرين عمودان ، فإذا أردت ذلك ، فاضرب عمودها في نصف القاعدة ، فما بلغ فهو تكسيرها .

والجنس الثاني : مثلثة متساوية الأضلاع ، حادة الزوايا ، من كل جانب عشرة ، فتكسيرها يُعْرَفُ من قِبَلِ عمودها ومَسْقِطِ حَجَرِها .

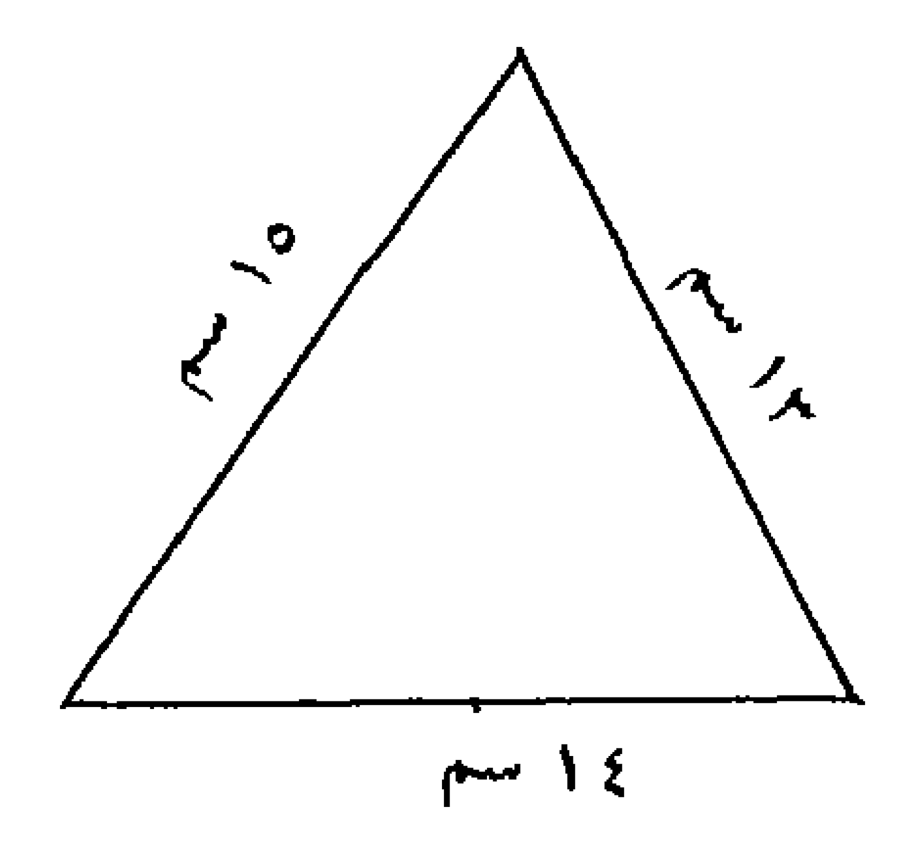
واعلم أن كل ضلعين مستويين في مثلث يخرج بينهما عمود في قاعدة[٢] ، فإنَّ مسقط حجر العمود يقع على نصف القاعدة سَوَاءً ، إذا استوى الضلعان . فإن اختلفا خالف مسقط الحجر عن نصف القاعدة . ولكن قد علمنا أن مسقط حجر هذه المثلثة على أيِّ أضلاعها جَعَلْتَهُ لا يقع إلا على نصفه ؛ وذلك خَمْسُ أذرع ، فمعرفة العمود أن تضرب الخمسة في مثلها ، وتضرب أحد الضلعين في مثله ونصف عُشْرِهِ ، فيكون مائةً فتنقص منها مبلغ الخمسة في مثلها – وهي خمسة وعشرون – فتبقى خمسة وسبعون ، فَجِذْرُ ذلك هو العمود ، لأن العمود قد صار

(١) قوله : « الزاوية الحادة ... في نفسه » ساقط من الأصل .

(٢) قوله : « واعلم أن كل ... قاعدة » ساقط من الأصل .

ضلعًا لـمثلثين على زاويتين قائمتين . فإن أردت التكسير فاضرب جِذْرَ الخمسة والسبعين في نصف القاعدة – وهو خمسة – وهو أن تضرب[1] الخمسة في مثلها ، حتى يكون جذر خمسة وسبعين في جذر خمسة وعشرين ، فاضرب خمسة وعشرين في خمسة وسبعين ، فتكون أَلْفًا وثمانمائة وخمسة وسبعين ، فَجِذْرُ ذلك هو تكسير هذه المثلثة ، وهي ثلاثة وأربعون وشيء قليل .

وقد تكون في هذه الزوايا الحادة زاوية مختلفة الأضلاع ، يُعْلَمُ تكسيرها من قِبَلِ مسقط حجرها وعمودها ، وهو أن تكون مثلثة مثل هذه : من جانب خمسة عشر ، ومن جانب أربعة عشر ، ومن جانب ثلاثة عشر ، وهذه صورتها :



فإن أردت مسقط حجرها ، فاجعل القاعدة أيَّ الجوانب شئت[2] . فإن جعلناها أربعة عشر فمسقط الحجر يقع منها على شيء ممايلي أيِّ الضعلين أحببت ، فجعلنا الشيء ممايلي الثلاثة عشر ، فضربناه في مثله فصار مالا ، ونقصناه من ثلاثة عشر في مثلها – التي هي مائة وتسعة وستون – فصار ذلك مائة وتسعة وستين إلا مالا ، فعلمنا أن جذرها هو العمود . وقد بقي من القاعدة أربعة عشر إلا شيئًا ، فضربناه في مثله ، فكان مائة وستة وتسعين ومالا إلا ثمانية وعشرين شيئًا ، فنقصناه من خمسة عشر في مثلها ، فبقي تسعة وعشرون وثمانية وعشرون شيئا إلّا مالا . وجذرها هو العمود ، فلما صار جذرها هو العمود ، وجذر مائة وتسعة وستين إلّا مالا هو العمود ، علمنا أنهما متساويان ، فتقابل بهما ، وهو أن تُلْقِي

---

(١) قوله : « جذر الخمسة .. تضرب » ساقط من الأصل .
(٢) في الأصل : « ثم تأخذ جذره » .

مالا بمال ؛ لأن المالين ناقصان ، فتبقى مائة وتسعة وستون تعادل تسعة وعشرين وثمانية وعشرين شيئًا ، فَأَلْقِ تسعة وعشرين من مائة وتسعة وستين ، فتبقى مائة وأربعون ، تعدل ثمانية وعشرين شيئًا ، فالشيء الواحد هو خمسة ، وهو مسقط الحجر ممايلي الثلاثة عشر ، وتمام القاعدة ممايلي الضلع الأخرى .

فإن أردت أن تعرف العمود ، فاضرب هذه الخمسة في مثلها ، فتكون خمسة وعشرين ، فانقصها من الضلع التي تليها مضروبًا في مثله وهو ثلاثة عشر في ثلاثة عشر فتبقى مائة وأربعة وأربعون ، فجذر ذلك العمود ، وهو اثنا عشر . والعمود أبدًا يقع على هذه القاعدة على زاويتين قائمتين ، ولذلك سُمِّيَ عمودًا ؛ لأنه مُسْتَوٍ ، فاضرب العمود في نصف القاعدة ، وهو سبعة وخمسون ، فيكون أربعة وثمانين ، وذلك هو التكسير .

(المنفرجة) : وهي التي فيها زاوية منفرجة ، وهي مثلثة : من جانب خمسة ، ومن جانب ستة ، ومن جانب تسعة ، فمعرفة تكسرها مِنْ قِبَلِ عمودها ومسقط حجرها ، ولا يقع مسقط حجر هذه في جوفها إلا على الضلع الطُّولَى ، فاجعله قاعدةً . ولو جعلت إحدى الضلعين الأَقْصَرَيْنِ قاعدة وقع مسقط الحجر خارجها ، وعِلْمُ مسقط الحجر وعمودها على مثال ماعملت به في الحادّة ، فَعَلَى هذا القياس فَاعْمَلْ ، إن شاء الله .

(الْمُرَبَّعَاتُ) : وكُلُّ مربع متساوي الأضلاع قائم الزوايا ، أو مختلف الأضلاع قائم الزوايا ، فَضَرْبُكَ طُولَهُ في عرضه هو التكسير . وقال غير الخُوَارَزْمِيّ : إذا كانت المربعة مختلفة الطولين والعزضين ، فاجمع الطولين والعرضين ، ثم خُذْ نصف الطولين ونصف العرضين ، واضرب بعضه في بعض ، فما بلغ فهو التكسير .

قال الخُوَارَزْمِيّ : وأما المعيَّنة المستوية الأضلاع ، التي كل جانب منها خمسة أذرع ، وأحد قطريها ثمانية ، والآخر ستة ، فَعِلْمُ تكسيرها أن تعرف القطرين أو أحدهما ، فإن عرفتهما جميعًا ، فإن الذي يكون من ضرب أحدهما في

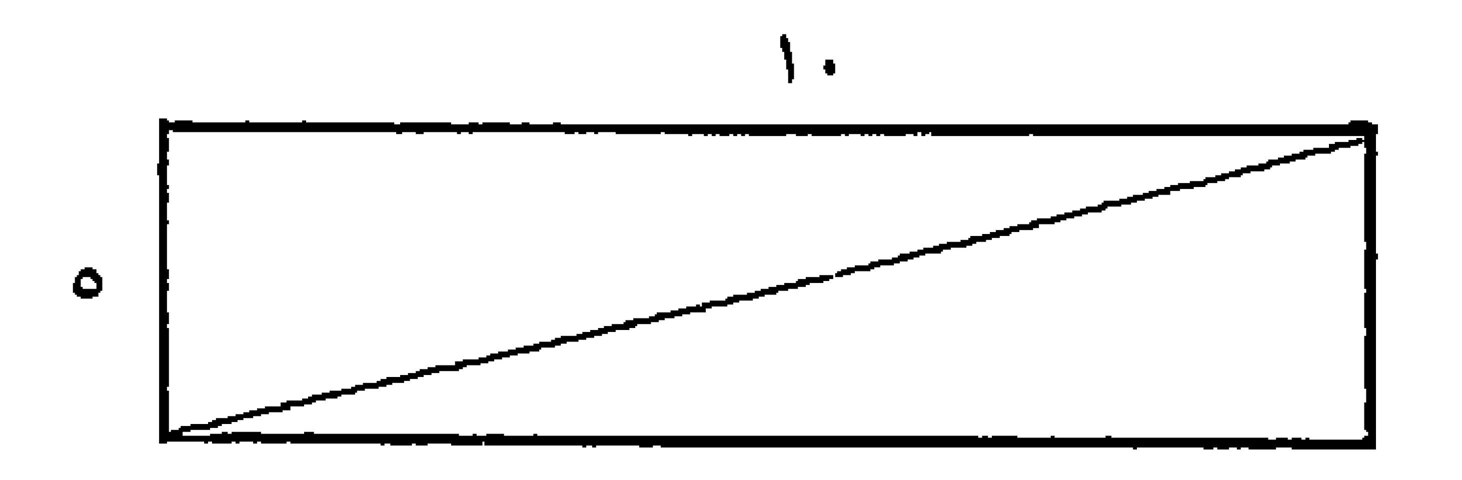
نصف الآخر هو تكسيرها . وذلك أن تضرب ثمانية في ثلاثة ، وستة في أربعة فيكون أربعة وعشرين ، فذلك تكسيرها . وإذا عرفت قطراً واحدًا فقط ، علمت أنهما مثلثتان ، كل واحدة ضلعاها خمسة في خمسة ، والضلع الثالثة هي قطرها ، فَاحْسِبْهَا على حساب المثلثات .

وأما (الشبيه بالمعيّنة) فعلى مثال المعينة .

وأما (سائر المربعات) : فإنما تحسب تكسيرها من قِبَلِ القُطْر ، فتخرج إلى حساب المثلثات . فإن قيل لك : مربعة من كل جانب عشرة ، كم مبلغ قطرها ؟ فاضرب الطولين بعضهما في بعض ، فيكون مائة ، ثم افعل بالعرضين مثل ذلك ، وتجمع الجميع ، فيكون مائتين ، فَخُذْ جِذْرَهُ ، فذلك القطر ، وهو أَصَمُّ وأَقْرَبُ الجذور إليه أربعة عشر وسُبْع ، فذلك القطر.

فإن قيل لك : مربعة قطرها عشرة أبواب ، كم كل جانب منها ؟ فَبَابُهُ أن تضرب القطر في مثله ، فيكون مائة ، ثم تأخذ نصف ذلك[1] ، فيكون خمسين ، ثم تأخذ جِذْرَهُ ، وهو سبعة ونصف سُبُع ، فذلك كل جانب منها ، فتضربه في مثله ، فهو تكسيرها .

فإن قيل لك : أرض مربعة على مثال هذه الصورة :



والطول من كل جانب عشرة أبواب ، كم تكسيرها ؟ وكم قطرها ؟ . أما تكسيرها فعشرة في خمسة ، تكون خمسين ، وهي خمسة أقفزة . وقطرها أن تضرب عشرة في عشرة فيكون مائة فاحفظها ، ثم ترجع فتضرب خمسة في خمسة – وهو

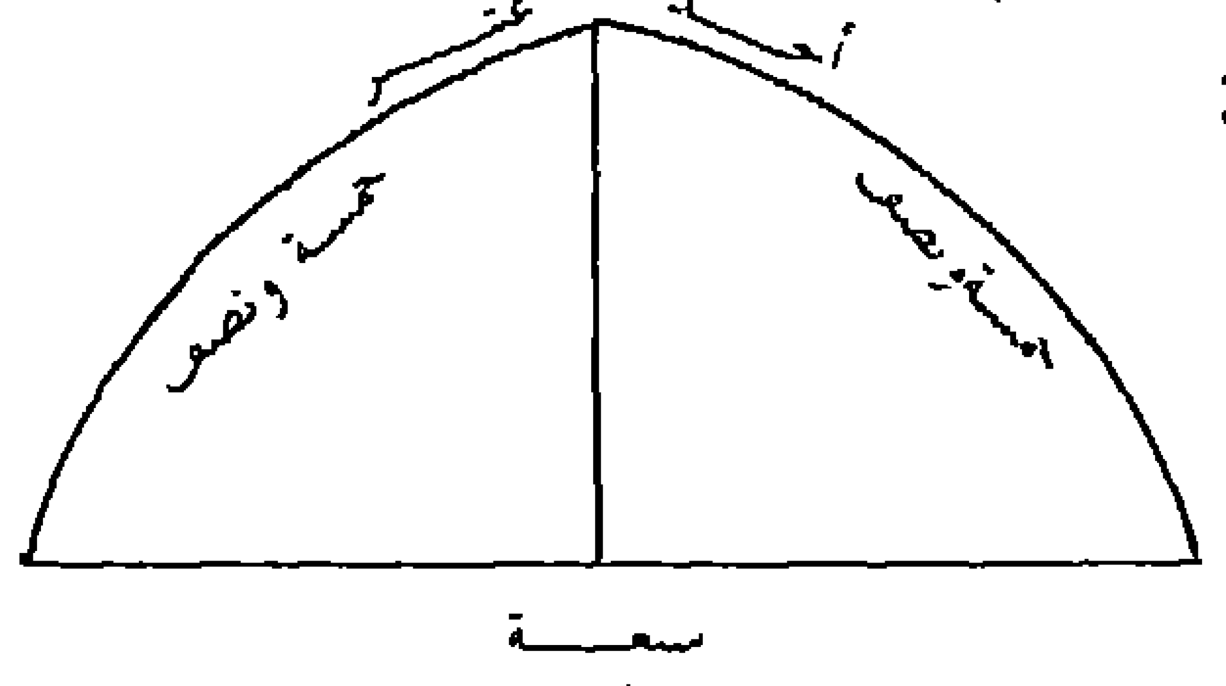
---

(١) في الأصل زيادة : « مع وتر نصف التقويس » .

العرض – فتكون خمسة وعشرين ، فتأخذ جذر ذلك ، وهو أَصَمٌّ ، وأقرب الجذور إليها أحد عشر وسُدُسٌ .

(الـمدوَّرات) : قد مضى القول في الـمدوَّرات في أول الباب ، وهو أن تضرب نصف القطر في نصف ما يحيط بها ، فذلك تكسيرها . وإن أَحْبَبْتَ فَاضْرِبْ القطر في مثله ، ثم انقص مما يجتمع سُبُعَهُ ونصف سُبعِه ، فما بقي فهو التكسير . وإن شئت فاضرب الدَّوْر في ربع القطر ، فما كان فهو تكسيرها . وإن شئت فاضرب مايحيط بها في القطر ، وخُذْ ربع ما ارتفع فهو تكسيرها .

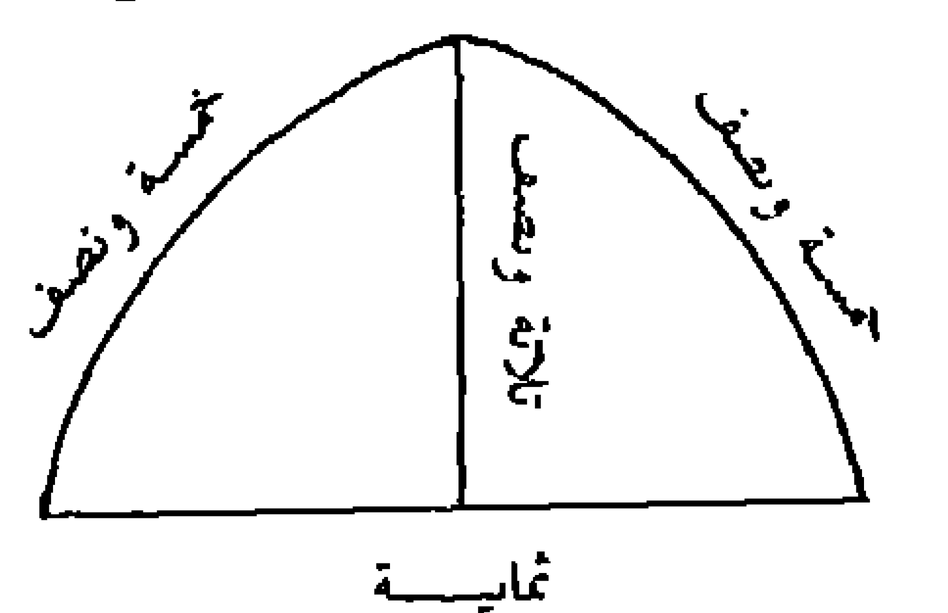
(الـمقوَّسَات) : قد عَرَّفْتُكَ أن الـمقوسات ثلاثة أنواع : أحدها نصف دائرة ، والثاني أقل من نصف دائرة ، والثالث أكثر من نصف دائرة . فأما التي تكون نصف دائرة فإن مساحتها أن تضرب السهم في نصف القوس فما كان فهو مساحتها . مثال ذلك : مقوسة على هذه الصوة:



وترها سبعة ، وسهمها ثلاثة ونصف ، كم يكون تكسيرها ؟ .

فَبَابُها : أن يُضْرَبُ السهم – وهو ثلاثة . ونصف – في نصف القوس – وهو خمسة ونصف – فتكون تسعة عشر وربعًا ، وهو تكسيرها .

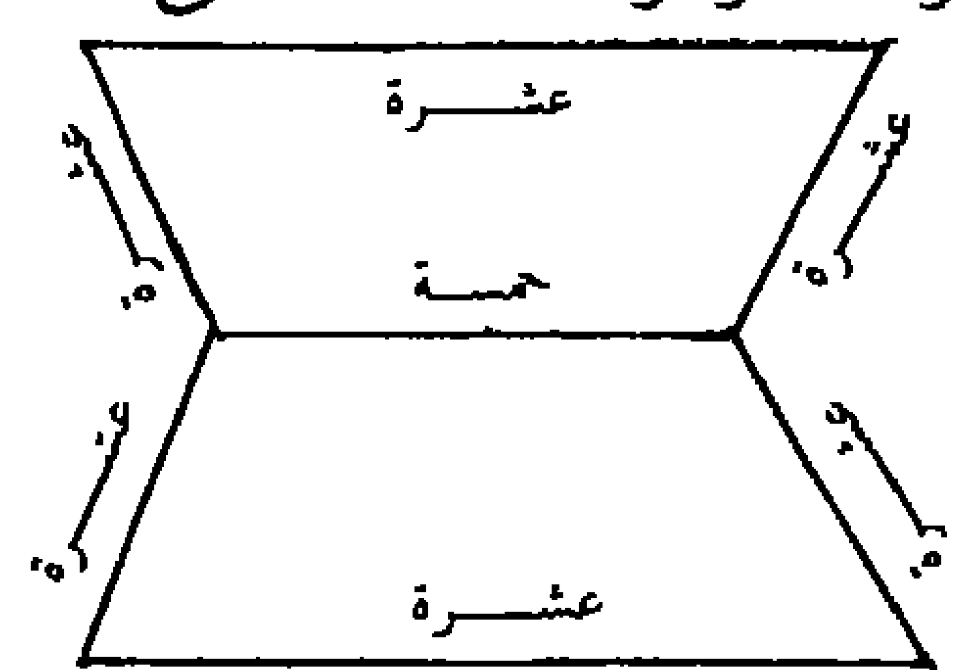
وأما التي هي أكبر من نصف دائرة ، أو أصغر منها : فاضرب السهم في الوتر ، واحفظ ذلك . ثم اجمع نصف التقويس ، فَنَصِّفْهُ ، واضرب ذلك في السهم – وهو نصف التقويس – وهو السهم الأصغر – فما كان فَزِدْهُ على ما حفظت ، فما بلغ فهو مساحة التقويس[1] كلها . مثال ذلك : مقوسة وَتَرُها ثمانية ، وسهمها ثلاثة ، وهذه صورتها :



(١) في الأصل : « فما بلغ فهو القوس » .

أَرَدْتَ معرفة تكسيرها : فاضرب السهم – وهو ثلاثة – في نصف الوتر – وهو أربعة – فيكون اثني عشر – فاحفظه – ثم امسح القوس ، فكأنه مَثَلًا أحد عشر ، فتأخذ نصفه – وهو خمسة ونصف – وتزيده على وَتَر الخمسة ، فيكون عشرة ونصفًا ، ثم تأخذ نصف ذلك – وهو خمسة وربع – فتضربه في السهم الأصغر – فكأنه ذراع – فيكون خمسة ورُبْعًا ، فتزيدها على الاثني عشر ، فيكون سبعة عشر وربعًا – وهو تكسير القوس .

(المطبلات) : إذا قيل لك : أرض مُطَبَّلة ، من كل جانب عشرة في العرضين ، والطول عشرون ، والوسط خمسة على هذه الصورة :



فَبَابُ ذلك أن تجمع الطرفين – قَلَّ أو كَثُرَ – وهو عشرون ونصف – وتضعف الوسط ، فيكون عشرة ، فتجمع الجميع ، فيكون ثلاثين ، فتأخذ ربعه – وهو سبعة ونصف – فتضربه في الطول . وهو عشرون – فيصير جَرِيبًا وخمسة أقفزة ، وكذلك حساب (المجوَّفات) التي يزيد وسطها على الطرفين .

(المُخَمَّسَاتُ والمُسَدَّسَاتُ) : اعلم أن كل مُخَمَّسَةٍ مؤلَّفةٌ من خمس مثلثات متساويات ، قاعدة كل واحدة منها أحد الأضلاع الخمس . وكل مُسَدَّسَة مؤلَّفةٌ من سِتِّ مثلثات متساويات ، قاعدة كل واحدة منها أحد الأضلاع السِّتِّ . وكذلك المسبَّعة والمثمّنة والمعشّرة ، كل واحدة منها مؤلفة[1] من مثلثات متساويات ، قاعدتها مثل قاعدة أضلاع الصورة .

فإن أردت أن تمسح المخمسة ، فأخرج من أحد أضلاعها عمودًا ، ثم اضربه في القاعدة – وهو أحد الجوانب .

---

(١) في الأصل : « مربعة » .

وكل ما جاء من هذا الفن من ذكر المساحة ، فَقِسْهُ على هذا ؛ فإنما ذكرنا منه جُمَلًا يليق ذكرها بهذا الموضع ، ومن أراد بلوغ النهاية نَظَرَ في الكتب الموضوعة في المساحة ، وهي كثيرة ، وإن أراد معرفة الحقائق في ذلك ، دون التقريب – فإن كتب المساحة أكثرها على التقريب – فَلْيَنْظُرْ في كتب الرياضيات الهندسية ، فإنه يبلغ مراده ، بإذن الله .

* * *

وأما قول ابن قتيبة : « وَيُمْتَحَنُ مَعْرِفَتُهُ بِالْعَمَلِ فِي الْأَرَضِينَ ، لَا فِي الدَّفَاتِرِ ، فَإِنَّ الْمُخْبَرَ لَيْسَ كَالْمُعَايِنِ » .

فليس كما قال ، لأن كتب الرياضات الهندسية – نحو كتاب إقليدس والْمِجَسْطِي واختلاف المناظر ، وسائر ذلك – إنما يُدْرَكُ عِلْمُها من الكتب ، لا من الأَرَضِين ، ومع ذلك فليس بين شكل الأرضين المستوية وبين صورتها في الدفتر فرقٌ لِمَرْأَى العين ، فالعامل لذلك والمحصِّلُ له من الكتب قد أدركه عِلْمًا ومُعَايَنَةً ، وليس بِمُخْبَرٍ فقط ، بل مُخْبَرٌ مُعَايِنٌ ، فمن أخذ علوم المساحة والهندسة من الكتب ، وَارْتَاضَ فيها عن العلماء وأتقنها ، كان ذلك كالعمل بالذراع في الأرضين سواء .

وأما قوله : (فِي الْأَرَضِينَ) : فإنه بفتح الراء ولا يجوز إسكانها ، والعِلَّة في ذلك أنه لا يُجْمَعُ بالواو والنون والياء والنون ، إلا المذكر ممن يعقل – وهو الجمع السالم – نحو قولك : الزيدون والعَمْرُون والبَكْرُون ، أو المنقوص من المؤنث ، نحو : ثُبُونَ وعِزُونَ وعِضُونَ[1] ، والجموع المجهولة التي لا يقصد بها تأنيث دون تذكير ، ولا تذكير دون تأنيث ، نحو قولك : سِتُّونَ وَأَرْبَعُونَ .

---

(١) (ثِبُونَ) مفرده : ثُبَةٌ . وهي الجماعة من الفرسان ، أو الناس .
و (عِزُونَ) مفرده : عِزَةٌ . وهي العصبة من الناس .
و (عِضُونَ) مفرده : عِضَةٌ . وهي القطعة والفرقة .
[انظر : لسان العرب – ثبا – عزا – عضا] .

فقولهم : (أَرَضُونَ) شاذٌ محمولٌ على قولهم : سِنُونَ وعِضُونَ ؛ لأنه مؤنث مثله ، فجمع بالواو والنون . و(أَرْضٌ) ساكنة الأوسط ، وما كان من المؤنث على هذا الوزن ساكن الأوسط فجمع بالألف والتاء حُرِّكَ أَوْسَطُهُ ، نحو قولك : طَلَحات وضَرَبَات وجَفَنَات ، فلما جمعت (أرض) بالواو والنون ، حُرِّك أَوْسَطُها ، كما حرك أوسط جَفَنَات ، ولم تجمع (أَرْضٌ) بالألف والتاء ، فجعل هذا عِوَضًا من ذلك .

* * *

تمت رسالة أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، التي جعلها تفسيرًا لرسالة كتاب أبي محمد بن مسلم بن قتيبة .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على نبيّه سيدنا محمد وأهل بيته الطاهرين .

(فُرِغَ من نَسْخِهَا في العشر الأُخَرِ من المُحَرَّمِ سَنَةَ سِتٍّ وثمانين وخمسائة)[1] .

(١) في (ب) : « تم تفسير الرسالة بحمد الله وعونه ، وصلى الله على محمد نبيه » .

المراجع والمصادر

* أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٦٣ م ، مطبعة السعادة بمصر .
* أدب الكُتّاب ، للصولي ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، ونظر فيه علاّمة العراق السيد محمد شكري الآلوسي ، دار الباز بمكة المكرمة .
* إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أما بعد ، لإسماعيل بن غنيم الجوهري (بهامش الرسالة الكبرى على البسملة للصبان) ، المطبعة الخيرية بمصر ، سنة ١٣٢٥ هـ .
* الأعلام ، للزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٨٦ م .
* الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، للبطليوسيّ ، تحقيق مصطفى السقا ، وحامد عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٨١ م .
* الأمالي ، لابن دريد ، تحقيق السيد مصطفى السنوسيّ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٤ م ، الكويت .
* الأمالي ، لابن الشجري ، حيدر آباد ، سنة ١٣٤٩ هـ .
* الأمالي ، للقالي ، دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٢٦ م .
* إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقِفطِيّ ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٥٥ م .
* أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٩٧٩ م .
* البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٩٨٣ م .
* البخلاء ، للجاحظ ، تحقيق طه الحاجري ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧١ م .
* بغية الوعاة ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة الحلبي بمصر ، سنة ١٩٦٥ م .
* البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، سنة ١٩٤٨ م .
* تذكر النحاة ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق عفيف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٩٨٦ م .

* تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، القاهرة ، سنة ١٩٤٨ م .
* الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧ م .
* جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق محمد أبي الفضل ، وقطامش ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤ م .
* الجنى الدَّاني في حروف المعاني ، للمرادي ، تحقيق طه محسن ، بغداد ، سنة ١٩٧٦ م .
* الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٩٨٨ م .
* خزانة الأدب ، للبغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بمصر .
* الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٥٢ م .
* درة الغَوّاص في أوهام الخَوَاصّ ، للحريري ، تحقيق محمد أبي الفضل ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥ م .
* ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٢ م .
* ديوان أبي العتاهية (الأنوار الزاهية) ، مطبعة اليسوعيين ، بيروت ، سنة ١٨٨٦ م .
* ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) ، شرح مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨٧ م .
* ديوان أوس بن حجر ، تحقيق محمد يونس نجم ، بيروت ، سنة ١٩٦٠ م .
* ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٣ م .
* ديوان تميم بن مقبل ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ، سنة ١٩٦٢م .
* ديوان ذي الرمة (شرح أبي نصر الباهلي) تحقيق عبد القدوس أبي صالح ، دمشق ، سنة ١٩٧٢ م .
* ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح على فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨٨ م .
* ديوان عروة بن الورد (شرح ابن السكيت) تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق ، سنة ١٩٦٦ م .
* ديوان على بن أبي طالب ، المطبعة العامرة المليجية بالقاهرة ، سنة ١٣٣٠ هـ .
* ديوان عمر بن أبي ربيعة ، شرح محمد العناني ، مطبعة السعادة بمصر ، سنة ١٣٣٠ هـ .

* ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٦٦ م .
* ديوان كثير ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، سنة ١٩٧١ م .
* ديوان عبيد بن ربيعة ، تحقيق إحسان عباس ، الكويت ، سنة ١٩٦٢ م .
* ديوان النابغة الذبياني ، تقديم وشرح عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨٦ م .
* الزاهر في معاني كلمات الناس ، للأنباري ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، دار الرشيد ، بغداد ، سنة ١٩٧٩ م .
* سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، تحقيق حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، سنة ١٩٨٥ م .
* سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة الحلبي بمصر ، سنة ١٩٥٢ م .
* سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، سنة ١٩٣٧ م .
* شذور الذهب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، سنة ١٩٦٠ م .
* شرح الجمل ، لابن عصفور ، تحقيق صاحب أبو جناح ، بغداد ، سنة ١٩٨٢ م .
* شرح الشافية ، للأسترا باذى ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، سنة ١٣٥٦ هـ .
* شرح الشهاب الخفاجي على درة الغواص ، مطبعة الجوائب ، سنة ١٢٩٩ هـ .
* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر .
* شرح عيون الإعراب ، للمجاشعي ، تحقيق عبد الفتاح سليم ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٨٩ م .
* شرح ما يقع فيه التحريف والتصحيف ، للحسن بن عبد الله العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، مطبعة الحلبي ، سنة ١٩٦٣ م .
* شرح المعلقات السبع ، للزوزني ، مكتبة القاهرة ، سنة ١٩٧٩ م .
* الصاحبي في فقه اللغة ، لابن فارس ، تحقيق مصطفى الشويمي ، بيروت ، سنة ١٩٦٤ م .
* صحيح البخاري ، المطبعة المنبرية بمصر ، سنة ١٩٢٨ م .

* طبقات النحاة واللغويين ، لابن قاضي شهبة ، نشر محسن غياض ، النجف ، سنة ١٩٧٤ م .
* طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة ، سنة ١٩٧٤ م .
* غريب الحديث ، للخطابي ، تحقيق عبد الكريم العزباوي ، دار الفكر بدمشق ، سنة ١٩٨٢ م .
* الفائق في غريب الحديث ، للزمخشري ، تحقيق على محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة الحلبي بمصر ، سنة ١٩٧١ م .
* الفاخر ، للمفضل بن سلمة ، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، ومحمد على النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٤ م .
* الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨١ م .
* الفصيح ، لثعلب ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة النموذجية بالقاهرة ، سنة ١٩٤٩ م .
* القصائد الهاشميات ، للكميت ، مطبعة الموسوعات بمصر ، سنة ١٣٢١ هـ .
* الكامل ، للمبرد ، تحقيق زكي مبارك وأحمد شاكر ، مطبعة الحلبي بمصر ، سنة ١٩٣٦ م .
* كتاب الأمثال ، لابن سلام ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المأمون للتراث ، سنة ١٩٨٠ م .
* كتاب سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القلم ، سنة ١٩٦٦ م .
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، إستانبول ، سنة ١٩٤١ م .
* لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
* مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، تحقيق فؤاد شركين ، مطبعة الخانجي بمصر ، سنة ١٩٥٤ م .
* مجمع الأمثال ، للميداني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، سنة ١٩٥٩ م .
* المحتسب ، لابن جني ، تحقيق محمد على النجار وآخرين ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦ م .
* المخصص ، لابن سيده ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، سنة ١٣١٨ هـ .
* مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة نهضة مصر ، سنة ١٩٥٥ م .

* المَشُوفُ المُعْلَمُ ، للعُكْبَرِي ، تحقيق ياسين محمد السواس ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، بمكة المكرمة ، سنة ١٩٨٣ م .
* المصباح المنير ، للفيومي ، المطبعة الأميرية ببولاق ، سنة ١٩٠٦ م .
* مغني اللبيب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٩٧٩ م .
* المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .
* المقرب ، لابن عصفور ، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة العاني ، بغداد ، سنة ١٩٧١ م .
* نزهة الألباء ، للأنباري ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة المدني بمصر .
* هدية العارفين ، لإسماعيل باشا ، مطبعة إستانبول ، سنة ١٩٦٤ م .
* همع الهوامع ، للسيوطي ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، الكويت ، سنة ١٩٧٥ م .
* الوحشيات (الحماسة الصغرى) ، لأبي تمام ، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٣ م .
* وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، سنة ١٩٤٨ م .

« الفهارس الفنية »

الصفحة

(١)
« الآيات القرآنية »

(سورة البقرة)

﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾	(ى ٢٦٠)	١١٨

(سورة الأنعام)

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾	(ى ٩١)	٩٨

(سورة الأعراف)

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاَثِينَ لَيْلَةً ﴾	(ى ١٤٢)	٩٧

(سورة يوسف)

﴿ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾	(ى ٣٢)	١٢٩
﴿ اجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾	(ى ٥٥)	١٠٣

(سورة الإسراء)

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾	(ى ٦)	٧٩

(سورة مريم)

﴿ فَإِمَّا تَرِينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِى : إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا ﴾	(ى ٢٦)	٥٧

(سورة المؤمنون)

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾	(ى ٧٤)	٦٨

(سورة الروم)

﴿ للهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾	(ى ٤)	٥٧

(سورة فاطر)

﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾	(ى ١)	١٠٣

(٢)

« الحديث الشريف »

(٣)

« الأمثال وما في حكمها »

الصفحة

(٤)

« الأمثلة اللغوية ، والكلام المأثور »

(٥)

« الشعر »

« ما رويه الهمزة »

« مارويه الباء »

« ما رويه التاء »

« ما رويه الجيم »

« ما رويه الحاء »

« ما رويه الدال »

« ما رويه الراء »

« ما رويه العين »

« ما رويه الغين »

« ما رويه الفاء »

« ما رويه القاف »

« ما رويه الكاف »

« ما رويه اللام »

لك القلم الأعلى الذي بشباته   يصاب من الأمر الكلى والمفاصل   ١٠٤

(عشرة أبيات)

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا   وإن يسألوا يعطوا ، وإن ييسروا يغلوا   ١٣٥

أنا الضامن الحامي الذمار ، وإنما   يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي   ٥٦

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكـا   غلقت لضحكته رقـاب المال   ٧٨

كـــأنَّ في أذنـــابهن الشُّوَّلِ   من عبس الصيف قرون الأُيَّـل   ٨٣

إن الصنيعـة لاتكـون صنيعـة   حتى تصيب بها طريق المقتـل   ١٠٠

أبلغ سليمان أنى عنه في سعة   وفي غنى ، غير أنى لست ذا مال   ١٠٧

(أربعة أبيات)

فلا تعجلى يا عز ، أن تتفهمي   بنصح أتى الواشون أم بحبول ؟   ١٣٥

ومهور نسوتهم إذا ما أُنْكِحُوا   غـذوى كل هَبَنْقَـعٍ تِنْبَـالِ   ١٤٦

« ما رويه الميم »

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت   له الرقاب ، ودانت خَوْفَهُ الأُمَمُ   ١٠٦

(ثلاثة أبيات)

سلام الله يـا مَطَـرٌ عـليها   وليس عليك يا مَطَرُ السلامُ   ٦١

(ثلاثة أبيات)

فأمـا كـيس فنجـا ، ولكـن   عسى يَغْتَـرَّ بى حمق لـئيم   ٦٧

خليلي إن الدار غفر لذي الهوى   كما يغفر المحموم أو صاحب الكلم   ٨٢

« ما رويه النون »

فأمـا يـوم خشيتنـا عـليهم   فتصبـح خيلنـا عُصَبًـا ثُبِينَـا   ٦٧

(بيتان)

إن شرخ الشباب والشعر الأســ   ـود مالم يُعَاصَ كان جنونـا   ٧٥

قد علمت سلمـى وجـاراتها   مـا قطـر الفـارس إلا أنـا   ٥٦

إذا ما جلسنا ، لاتزال قرومنا   سليم لـدى أبياتنـا وهـوازن   ٩٦

فإمـا أن تكـون أخـي بصدق   فأعرف منك غَثِّى من سمينـي   ٥٧

(بيتان)

* * *

(٦)
« الألفاظ اللغوية المفسَّرة* »

* مرتبة على حسب الحرف الأول ، بعد تجريد الزوائد

(الهاء)

(الواو)

* * *

(٧)

« النحويّات ، والصرفيّات »

« أولا : النحويات »

(ا) الحروف

(ب) المسائل النحوية

« ثانيا : الصرفيات »

(الإعلال والإبدال)*

* قلب = إبدال ، والعكس .

(٨)

« الألفاظ الفلكية »

(٩)

« الألفاظ الهندسية والمساحية »

* * *

(١٠)

« الأماكن »

(١١)

« الكتب »

(١٢)

« الطيور »

(١٣)

« الجماعات »

(١٤)

« الأعلام »

(الهمزة)

(ابن ...)

(أبو ...)

الباء

(١٥)

« الموضوعات والعبارات المفسرة »

« من كلام ابن قتيبة »

ثمن النسخة :

* **داخل مصر :** ٧ جنيهات

* **خارج مصر :** ٤ دولارات شاملة نفقات البريد

المراسلات : ص . ب ٨٧ الدقي – القاهرة – ج . م ع .

الهواتف : ٣٦١٦٤٠١ – ٣٦١٦٤٠٢ – ٣٦١٦٤٠٣ – ٣٦١٦٤٠٥ .

المقر : نهاية محيي الدين أبو العز – المهندسين .

